

د. فاديا الشهري



جمنون ٢

JHAMNIN II



جَمْنُون ۲

Jhamnun II

ح) مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤٥ هـ

الشهري، ناديا
جَمْنون الجزء الثاني. / ناديا الشهري - ط ١ - الدمام، ١٤٤٦ هـ

رقم الإيداع: ١٤٤٦/١١٥٥٤
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤٩٩-٣٧-٥

مجهد هذه النسخة: أشرف غالب

مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع

الموقع الإلكتروني:

[Www.Adab-Book.Com](http://www.Adab-Book.Com)

مركز الأدب العربي

@Services_Book

@ServicesBook

مركز الأدب العربي

adabarabic

services_book@outlook.com



مركز الأدب العربي
للتوزيع

مسؤول النشر:
للتواصل

0597777444

المملكة العربية السعودية - الدمام

لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

00971569767989

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي

00201120102172

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي

الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر.

جميع العبارات والأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر.

روايات عوالم ناديا
عوالم الرعب والحب بين يديك

تحذير: لا يقرأها من هم أقل من ١٦ عامًا وقد أعذر من أنذر.

جَمْنُون ٢

Jhamnun II

عندما تتألف الأرواح بعد ضياعها
(رواية)

تأليف وقصائد
د. ناديا الشهري



@authornaiah

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

ميساء طه.

جميع الحقوق محفوظة ©



مكتبة صَاد الإلكترونية
t.me/twinkling4



أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
<https://t.me/twinkling4>

اذكروا من وفر لكم هذه الرواية بدعواتكم. فإنه والله
لم يطلب مقابلا لهذا سوى دعواتكم

أحداث هذه الرواية قد تكون حقيقية..

وقد تكون خيالية..

وقد تكون مزيجاً بين الواقع والخيال.

ولكن الجن فيها واقع وليسوا خرافة.

واقع قد ذُكر في القرآن وفي الأحاديث النبوية، وفي الكتب.

واقع قد عاشه وعرفه بعض الناس.

وللجن أسرار وخفايا..

إن كانت خافية على البعض، فالبعض الآخر قد لمسها

وعرفها وذاق ويلاتها وأهوالها.

إن لم تكن ذا قلب شجاع فنصيحة: لا تقرأ الرواية.

الإهداء

إلى ذلك الكيان وتلك العوالم . . .

وإلى كل قارئٍ أحب جَمُنونَ ومنى، واشتاق إلى معرفة كامل قصة

عشقهما . . .

أهدي هذا الكتاب .

د. ناديا الشهري.

مقدمة السلسلة

العالم حولنا مليء بالأحداث والغرائب...

والأحاسيس والمشاعر..

ولكي نُميط اللثام عما يحدث حولنا...

نقرأ روايات عوالم ناديا.

لنعوض في بحر من الغرائب والأحاسيس والأمور الغامضة المثيرة.. ثم نسير بخطوات مرتجفة لنسبر أعماق كهف مظلم مخيف، أو نزور قلاعاً مهيبه، فنرى الأطياف والخيالات التي ستلاحقنا وترعب قلوبنا في عالم الرعب المهيّب بكل عوالمه المخيفة والغامضة، فنسعى إلى فك طلاسمه وكشف أسرارهِ..

ونذوق بين الأهوال طعم العشق ونشم عبير الغرام بين الدماء، ونلمس الحب بين الأشواك..

كل ذلك وأكثر في كتاب واحد..

ندخل فيه من عالم إلى عالم آخر..

من عالم الأمان إلى عالم الخوف..

من عالم الرعب إلى عالم الحب..

فروايات عوالم ناديا

عوالم الرعب والحب بين يديك.

د. ناديا الشهري.

جَمْنون الجزء الثاني

عندما تتألف الأرواح بعد ضياعها

من بين الأعراس تقدّم نحوي نمر أسود جبلي، سواده بهيم، هيئته تهزّ الجبل من تحت قدميه، كبير الحجم، جميل المحيا رغم أنه خطير ومفترس، كان يمشي الهويني وهو يتقدم نحوي، حينها التقت عيناى بعينيه الخضراوين، وبدلاً من شعوري بالخوف قفز قلبي فرحاً وأنا أرى الدفء والحنان والحب في عينيه، ركض نمر الـ (جاكوار) نحوي، وبدل الهروب منه وجدتُ نفسي أفتح ذراعِيّ بلهفة لأضمه نحو صدري، كم فرحتُ عندما استقرّ رأسه بين يدي لأضعه على صدري، فأخذ يفرك رأسه على صدري بكل محبة ودفء وشوق، وعندما رفعه لتلتقي عيناى بعينيه انتفض قلبي وأنا أرى داخل تينك العينين عالماً آخر وليس فقط نمرًا أسود..

استيقظت من نومي وأنا أشعر بذلك الدفء لا يزال على صدري، وراحة عجيبة تغمر نفسي..

تنبيه

لمزيد من التفاصيل؛ ولفهم أحداث الرواية المترابطة، يجب قراءة الجزء الأول من «جَمْنون» قبل قراءة هذا الجزء الثاني.

(1)

أيفرق الموت من بالحب كان أمره من الله الوصال؟
لا يد تعلق على يد الخالق.

الإنسية التي عذبتني

يحكيها (جَمُون)

كانت تبكي، حبيبي تبكي..

بحرقة تبكي..

(مني) تبكي لفراقي، وأنا لا قدرة لي على الاقتراب منها، لقد صرفتني وتركتني مجروحًا كسيّرًا، رجالي المخلصون المقربون مني حملوني - على وجه السرعة - إلى عالمي عالم الجن، في أرض بعيدة، في مملكة بعيدة عن محبوبتي القاسية.

هل كانت الجروح التي خلّفتها في بشرتي الناصعة البياض مهمة؟ لا وألف لا؛ فجروحها علامات أعتز بها، لولا أنها اختفت بسرعة لبراعتنا الطبية، لكن جرح القلب أعمق وموجع جدًّا.

لماذا يا حبيبي تخلّيت عني وكنّت جبانة؟ لم تقدرني أن تتعامل مع ما هو خارج دائرة معرفة البشر؟

لماذا قاومت قدرًا قد رسمه الله لنا قبل أن نصبح أجسادًا تحمل أرواحنا الحائرة؟

الحب!

وهل عرف معنى الحب في الكون أحد مثلي؟!

هل الروح التي بداخلي كاملة بدونها؟

لا وألف لا؛ فالله خلق لي روحًا واحدة أعطاني نصفها، والنصف الآخر يسكن جسد حبيبي (مُنية).

هل أنا غاضب أو حاقد؟ من المفترض أن أكون كذلك، ولكن لا، لا أستطيع أن أغضب منها ولو قتلتي، ولو رجمتني، فأنا بها عالق كما يتعلق الليل بالنهار، والشمس بالقمر.

هي معشوقتي محبوبتي، تلك الإنسية التي عذبتني.

في مهجعي السري في جبل خاص بعائلتنا المالكة، كنت مختبئًا هناك مع رجالي، لا أرغب في رؤية والدي الملك الذي سيقوم الدنيا ولن يقعدها لما فعلته الإنسية بي، لا أريد شماتهم ونظرة النصر في عيونهم.

كنت أتوجع وجعًا شديدًا، ليس بسبب حرقها لي، بل لإبعادي عنها، كم عانيت صعوبة في أن أتنفس بدونها، كان الطبيب الملكي يأتي بالسرورعب العالم في عينيه حتى لا يُكشف أمره، ولكنه كُشف؛ فها هي والدتي ووالدي وحرسهما الخاص يحيطون بي في كهفي العاجي.

نظرات الهلع في عيني والدتي التي اندفعت نحوي هاتفة:

- (جَمُنون) يا بني، هل أنت بخير؟

احتضنتني وأنا في صدمة ألجمت لساني، لم تكن بي جروح، ولكن الهم والفرق والتعب قد هَدَّ حالي، وبشرتي اصفرَّت تعبًا لفرق (مُنيي) والطعام لم يعد له طعم.

- عليها اللعنة تلك الإنسية الخبيثة.

كانت أمي الحانقة تلعن حبيبي، فأنثت من بين أسناني بقهر:

- لا تلعنيها.

أبعدتني والدتي عن حضنها ونظرت نحوي في ذهول وقالت بغیظ:

- لا ألعنها؟! ألا تزال تدافع عنها رغم جرأتها على أذيتك؟!

ابتلعت ریقي ونظرت بثبات في عينيها وقلت:

- أستحق ذلك، فأنا سكنت جسدها وهي لا ترغب في ذلك.

صاحت أمي الملكة غاضبة فارتجف الحرس:

- فإدًا تحرقك وتحاول قتلك؟! لا عذر مقبول في ذلك، وأنت الذي ضحيت بأهلك وسمعتك لأجلها وعاملتها بكل الحب.

قبل أن أتفوه بكلمة أسكتتني بيدها وقالت:

- كفي. أنت الآن عدت إلى أهلك وعرشك، وحياتك كاملة أمامك، أما هي فسأتصرف معها.

صحت معترضًا، لكن أبي قال بصرامة:

- لا لكن في الموضوع، لا مزيد من العواطف، يكفي مملكة كاملة بانتظار جهدك وحكمك، وأنت تفكر في ابنة بني آدم، أن الأوان لتساعد والدك. أما تلك الإنسية فلألقنها درسًا لن تنساه على ما فعلته بابني.

اندفعت وجثوث بين قدميه ودموعي تبلل الأرض غير آبه بهيبيتي أمام الحرس:

- لا تفعل يا والدي، لا تفعل.

غضب والدي بشدة أكبر، وقال بصوت يهز الجبل:

- لأقتلنّها على أذيتها لابني.

صرخت بصوت أقوى:

- لو فعلت أقسم أن أقتل نفسي.

عمّ صمت لا يميزه غير أنفاسنا الهادرة في صدورنا، تقدمت أُمي نحوي وهي ترتجف، وجثت بجواري وقالت بذعر:

- يا ولدي لا تفقد صوابك.

هزرت رأسي بجنون وإصرار والدموع تبلل صدري:

- لن تمسّأها بسوء، وإلا أقسم أن أقتل نفسي، وموتا بعدها بحسرتكما.

أنا الذكر الوحيد بين الإخوة البنات، أنا ولي العهد الذي انتظروه، أنا قرة عين والدي، أنا الأثير الجميل نسخة والده العظيم، أنا من يركعون لي ولا قوة لهم على إغضابي، حتى عندما أنجبت والدتي توأمين ذكرين هما الآن في الثالثة من عمرهما، لم يتأثر مقامي واعتزازهما بي، كنت أعرف نقطة ضعفهما، وأنا صادق في وعيدي، فلا كنوز الدنيا تغنيني عن (مُنيتي) حبيبتي، فإن تجرأً بجبروتهما على أذيتها؛ فلأنزعنّ منهما نور أعينهما وهو أنا.

رأيت في ما يرى النائم

تحكيها (منى)

هل جريت الحرمان يوماً من شيء لا تدري ما هو؟!

العالم كله حولك وأنت فقير من الداخل.

تلمع النجوم، ولكنك تبحث عن لمعان نجمك الآفل في الأفق.

تبحث عن شيء لا تدري كنهه، عن قصة خيالية، عن أمير ساحر، عن ذلك الصندوق المليء بالكنوز، عن تلك الأجنحة التي تأخذك بعيداً عن عالم البشر.

تشعر بغربة روحية وكأن الأرض ليست أرضك، والناس غير الناس، ولا يربطك هنا سوى بعض وجوه لأسرتك، بضعة أصدقاء وضحكات أطفالك.

عندما تضحك ابنتاي تدغدغي فرحة حقيقية لا زيف فيها، وعندما يحتضنني ابني حضناً دافئاً أستشعره بروحي.

الشمس الدافئة التي أحب، وقطرات المطر، وضوء القمر، كلها أمور من الكون أستمد منها طاقتي، وتلك الأمواج التي تتكسر على شاطئ البحر، ورغم ذلك أشعر أنني أفقدني! أبحث عني لا أدري أين؟ ولا أفهم لحيرتي سبباً!

كنت في طفولتي أعب مع طيفه، وأستشعر قصة حب غريبة تحلّق بي فوق السحاب، ولكن السحاب تبدد والأجنحة انكسرت وها أنا أصبحت مثلي مثل باقي الناس، ولكنني لا أشبههم، أعرف نفسي من الداخل، أنا لا أشبههم.

فأين يا ترى أجدني؟

في إحدى الليالي من بعد غياب (جَمَنون) عن عالمي القاحل من بعده، وفي عالم
أحلامي:

رأيت في ما يرى النائم
وجهًا خفي المعالم
لا أعلم من أين جاء؟
بيده صندوق المفاهيم
يأخذ منه المعاجم
كأنه جاء من الفضاء
فهربت وكأنه ظالم
يشدني بوهج الخواتم
بضوء يشق السماء
فإذا به يشق الظلام
بصوت يعلو بالنداء
فجمدت مكاني كالأصنام
أمام الفارس المقدم
فأرخيت حبل الوثام
مطالبة إياه على الدوام
فإذا به والسراب سواء

فحرت في أمر العالم
أرخي يشد القوائم
فلا عجب تصرفي بغباء!
فهروي لم يعد دائم
لكونه الرجل الحالم
فصحوت كما صحا النائم
واختفت كل المعالم
كأن الذي جيء ما جاء

على سريري تأملت هذا المنام وكتبته كقصيدة في مفكرتي العزيزة. كم كان ذلك
الفارس الذي نادى باسمي يشبهه، يشبه (جَمْنون)، كأنه يرغب أن يعطيني العالم
والمعرفة وكل شيء، ولكنه اختفى.

هل كان يزورني من عالم الأموات؟ ماذا أراد أن يخبرني؟ هل سامحني على إيذائي
له؟

زفرت زفرة حارة أوجعت صدري، حاولت النوم من جديد ولكنه جافاني فجافيته
بدوري، ونهضت من مرقدتي وعقلي وقلبي طوال اليوم لا يفكران إلا به...

ب (جَمْنون).

شعور الوحدة قاسٍ من بعده وأنا أعاني، وكأني خسرت جوهر روحي، كنت أتساءل:
ألست أنا التي أقصيته عني؟ فلماذا الغم الآن؟! أشغل نفسي مع (وليد) وأطفالي،

أشغل نفسي بالدراسة والعمل. لماذا عندما أبتسم أو أضحك تكون ابتسامتي سطحية لا عمق فيها؟

تأملني أختي (سمية) وتقول بحيرة:

- بقدر ما ابتسامتك جميلة وتسعد الآخرين إلا أنني أرى أن لا بريق فيها، ما بك يا (منى)؟

ابتلعت ريقى وشعرت بضيق جثم على صدري، ودهشة من حالي رددت عليها مقطبة جبيني:

- ولماذا لا بريق فيها، وأنت تعرفين كم أن حياتي مثالية؟

قالت بحيرة أكبر:

- إذن لماذا أشعر بأنك حزينة من الداخل؟ لقد مرت فترة على وفاة أمي وشعور فقدانها لن ينتهي أبداً، ولكن هذا لا يعني أن تبقي حزينة.

بذعر أدركت أن هذا ليس السبب! فما السبب إذًا؟

يا إلهي إني أشعر بالضيق، الحقيقة أنني أشعر بأن روحي ضاعت مني، ولم يبقَ معي منها غير خيالها.

أنا الفتاة المرححة الإيجابية أبحث عن السعادة حتى في قطرات الندى، ولكن هذا الوجد الذي بداخلي لم يكن يعرف به أحد سواي، وكنت أكره أن ينتبه إليه أحد ويذكرني به. ربما لأن (سمية) أختي القريبة من نفسي، هي توأم روحي فتنبهت له.

لقد فقدت رؤيتي للعالم الآخر وكأن عيني الثالثة أسبلت جفنها وأبقت نظرة

ناعسة على الكون، أدرك بإحساسي الأمور من حولي وبصيرتي ورؤيتي متقدتان،
ولكن اتصالي لم يعد كما كنت من قبل. الشوق إليه يقتلني، هل كنت أعني أنني
بدونه لن أكون أنا؟

عليّ لعنة الله على ما اقترفت يداي في حقك يا (جَمْنون)، لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين.

عند هذه الحقيقة بكيت في مرارة، وانثنت كوضع الجنين بجوار سرير ابني،
ونمت وسط دموعي وشهقاتي، حُيِّلَ إليّ أن يدًا حانية تربت على ظهري، فزَّ قلبي
والتفت خلفي بأمل...

لا أحد، لم يكن هناك أحد، كان خيالي يصور لي أنه (جَمْنون)!

هل جننت؟ يا لقلبي المعذب! عدت أبكي بحسرة وأتوقع على ذاتي من جديد.

خفايا الحياة

لم يكن كلاهما يعرفان أن الحياة ستضعهما أمام تجربة قاسية، فأى قصة ملحمية تنتظر لحظة قاسية، أو صفقة قدر تعلمنا أن نصحو، أن نفهم أين قدرنا، وموقع أقدامنا؟

فها هي (مُنَى) تحيا حياة تقليدية بعيدة كل البعد عن قدرها المختلف عن بقية بني البشر. فلم يكن وجودها في منزل (أبها) هو السبب الحقيقي الذي جعلها تعرف (جَمْنُون) وتحتك بعالم الجن، فهي قد قابلته قبلاً بين آثار (سوريا) الجميلة.

وها هو (جَمْنُون) يصارع الأُمَرَّين بين حبه ل (مُنَى) وبعده عنها، وبين واقعه في عالم الجن ومملكة والده. هي مملكة عظيمة تسعى أن تتحول إلى إمبراطورية كبيرة، وهنا كان لزاماً على (جَمْنُون) أن يطورها مع والده وعائلته الملكية الكبيرة.

هل كانوا من الجن العاديين؟

لا.. وألف لا..

فالقدر لم يجمعه ب (مُنَى) لأنها فتاة عادية... بل إن الأرواح المتشابهة تتآلف وتتجاذب والأشباه تتشابه.

فهي فتاة مختلفة مميزة، ولكنها لا تدرك ذلك بالعمق الصحيح... وهو جني (عفريت) من أقوى أنواع الجن، بل إنه من الخلق الأول والأصل الأول في عالم الجن..

الجن الأحمر الذي يعود إلى أوائل خلق الجان، ومن ضمنهم إبليس - الجني الذي تربى مع الملائكة فعصى الله وأصبح شيطاناً.

عائلة (جَمُنون) من الأقوياء، بل من الجبابرة الذين حتى الجن يهابونهم، ولا أحد قادر على التواصل معهم ومحادثتهم مباشرة إلا على القوم.

عائلته المكونة من والديه وجديه لأبيه، وأعمامه وعماته وأبنائهم، ثماني أخوات وأخوين.

ليسوا من جنّ العمار الذين يعيشون مع البشر، بل لهم قلاعهم وقصورهم وأماكنهم الخفية التي لم يصل إليها أحد من بني البشر.

لذا، تلك المستعمرة الصغيرة في الجنوب لم تتقبل وجود منزل تسكنه عائلة من الإنس هم عائلة (مُنَى)، لكنه قدر محتوم حتى تلتقي به.

لحظة الانفصال تؤدي دائمًا إلى لحظة الوعي والفهم، ففي بعده عنها أدرك أن التنفس ترف لا يقوى عليه، فازداد بها تعلقًا وحبًا. وفي بعدها عنه أدركت أنها خاوية من الداخل، وأنها ألفتها كإحدى المسلّمات، ولم تدرك وقتها أنه كان الحب والقدر العظيم اللذين أضاعتهما من يديها.

كانت أم (جَمُنون) الملكة من عائلة قوية تعود إلى أصول خليجية، فهي أيضًا أميرة ابنة ملك تزوجت من والده زواجًا سياسيًا مرتبًا، ولديه خالات وأخوال وأبناء أخوال من الأمراء الأقوياء والمناصرين، والدته لها طموح باعتلاء ابنها (جَمُنون) العرش وإثبات جدارته، وإلا ذهب منه لوصي آخر.

أخته البكر اسمها (كيرا)، شخصية قوية طموحة متزوجة من وزير وهو ابن وزير الخارجية، ذو قوة ونفوذ، ولديها منه خمسة أبناء، ثم أختان توءمتان هما (شونا) و (سورينا) مهندبتان متزوجتان من ابني وزيرين، ولديهما أطفال، ثم أختان توءمتان، إذ يكثر عند الجن إنجاب التوائم، هما (زالين) و(زيليس) متزوجتان من ابني أصحاب نفوذ ولديها أبناء، ثم أخت اسمها (روبیکا) لم تتزوج بعد وعمرها 22 عامًا، ثم أختان توءمتان لجَمُنون نفسه، فقد حوى رحم أمه ثلاثتهم،

و(جَمْنون) أكبرهم ثم (ليجّا) ثم (تيانا) قرّة عينه وأخته الأثيرة، بعد ذلك أنجبت والدته توءمين ذكرين هما (جييد) و(جودا).

وهكذا كان (جَمْنون) محاطًا بعائلة قوية، وآمال عالية بأن يكون خليفة قويًا من بعد والده الذي يكرّم له عالم الجن كل احترام وهيبة.

الأسرة ترفض ابنة الإنس أن تفسد عليهم مخططاتهم، كيف لولي عهد لديه مسؤوليات جسام أن يتيه في عشق إنسانة لها عالم مختلف وتفقدده صوابه؟! هو ليس من جن العمار بحيث يستطيع فعل ذلك كحال الكثيرين منهم.

هو القوي الأثير، هو ولي العهد الذي طال انتظاره، هو من الكل ينظرون إليه بترقب وإجلال، هو الزعيم العظيم المرتقب.

هو صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير (جَمْنون).

وجع روح العاشق

يحكيها (جَمُون)

هل هذه الحفلات الباذخة كافية لتنسيني إياها؟ لم تشفِ أبدًا الحزن داخلي، كنت غارقًا في حزن شديد، الفتيات من حولي منتشيات بالسعادة لعودة أميرهن. هل بقيت قصة غرامي طي الكتمان؟ بالطبع لا، الكل يعرفون ويتحدثون عن غرامي بالإنسية، الجميع - بدون استثناء - حاقدون عليها، ما عداي وابن عمتي، وهو بمثابة أخي وصديقي وتوأم روحي، الذي اقترب مني وربت على كتفي في حنو وقال:

- سموك، ارحم حالك وارحمنا معك.

تساقطت الدموع من عيني رغماً عني، وبين أصوات الموسيقى والغناء همست بصوت متهدج:

- سأموت يا (شامر)، أنت من بين الكل تعرف كم أنا غارق في عشقها، بل في عبادتها، لا أقوى على التنفس، أشعر أن قلبي نُزع مني ومكانه فارغ.

وضعت يدي على موضع قلبي الذي أشعر بأنه فارغ، ضغطت بقوة عليه، وأنا أشعر بوجع يهلكني، أننتُ بألم وأخذت أضرب على صدري هاتفاً بحرقة:

- هنا هنا أجوف، أشعر أنني أجوف.

جذب كتفي نحوه وهمس متأثراً:

- يا أخي الغالي، الكل ينظرون نحوك، حاول أن تسيطر على نفسك.

ضحكت بسخرية مريرة وقلت نائراً:

- تبّاهم، لا يهمني شيء.

أطايب الطعام حولي في أوان ذهبية، وذلك الكأس من البلور به نبيذ شعرت بحاجتي إليه، لعلّي أطفئ وجعي، التقتطت الكأس وشربت والساقى واقف بجواري ليخدمني، أخذت أمد كأسى وهو يسكب، كم كأساً شربت؟ لا أتذكر.

التفتّ حولي الفتيات من أرقى طبقات مجتمعا، بنات للوزراء والأمراء وأهاليهن يسيل لعابهم لهفة أن أعجب بإحداهن، حتى لو اتخذتها خلية أو جارية؛ فهي محظوظة إن أصبحت من ضمن الأسرة المالكة، فما بالك لو أصبحت زوجة؛ لتكون ملكة المملكة بعد تتويجي. لم أستطع الإحساس بهن رغم جمالهن الباهر، وفساتينهن المثيرة الفاخرة، تشابهت الروائح والوجوه أمامي. في تلك اللحظة ظهرت أمامي بابتسامتها الخجلى وخصلات شعرها المتموجة بين البندقي والأشقر (مُنيتي) منية قلبي وحببتي، همست بذلك وعيناى تلمعان بالدموع، هزني (شامر) هامساً بقلق:

- سموك، يا إلهي، (جَمُنون) أيها الغالي لا تفقد صوابك.

كان وجهها هناك يطالعي من بين كريستالات دموعي، مددت يدي نحوها ثم سقطت مغشياً عليّ ولم أدر ما حصل لي وقتها.

عندما أفقت رأيت وجه والدي القلق وأخواتي البنات، أردت وجهي للجهة الأخرى لأجد والدي الملك بوجهه الصارم، والحرس يقفون جوار الباب ويحيطون بوالدي، تأففت ضجرًا من ذلك، هتفت أُمى بلوعة وهي تمسك يدي:

- ولدي، ولدي الغالي، هل أنت بخير؟

ابتلعت ريقى نائراً، فأُمى لا تظهر حنانها كاملاً، لكني أقرؤه في عينيها، قالت من بين

أسنانها بقهر:

- لا تستحق تلك الإنسانية، لا تستحق عشقك المجنون، ألا تفهم؟! لقد اختارت إنسيًا وتزوجت به، ولم تقبلك في حياتها، لقد أقصتكَ عنها، وأنت تعرف أنه في عرفنا لا تحق لك بعد هذا الرفض.

هتف والدي الملك بغضب:

- بل لا تحق لك إنسية بأي حال من الأحوال وأنت وريث العرش، لست بجي عادي لتسرح وتمرح كما تشاء، لديك مسؤولية كبيرة على عاتقك، سأزوجك بـ (جنياه) ابنة الوزير (شياط).

عضضت على شفتي وسالت دموعي تبلل وسادتي وأنا لا أرغب بشيء سوى الموت...

الموت كمدا وحسرة على حالي.

كانت أختي (تيانا) توأمتي الصغرى - إذ لدي أختان توأمتان أنا أكبرهما - تبكي بحزن على حالي، اقتربت مني وقبّلت رأسي، وقالت بتخاطر ذهني معي حتى لا يسمعها أحد:

- أخي الحبيب، إن كانت قدرك فسيجمع الرب بينكما ولو بعد حين، لا تيأس.

كلماتها تلك عملت عمل السحر في داخلي، إذ هدأت روحي والنيران التي تستعر داخلي، حدقت في عينيها الدافئتين، فلم تملك شفطاي إلا أن يرتسم عليهما شبح ابتسامة تناشد الأمل في ظلمة وسهد الليالي الطوال.

(2)

عندما تفرّقنا المسافات فإن للأقدار رأيا آخر...

سنجتمع ولو بعد حين...

مكان لقائهما سابقا كان مكان لقائهما من جديد...

فلترقصي فرحا أيتها القلوب الحائرة...

الزوهريّة و(جُنياه)

يحكيها (جَمُون)

الوزير (شياط) قادم لماذا؟ كم أكره حتى اسمه.

حفل كبير يجمع الوزراء وأعيان المملكة، ووسط الجموع وقفت (جُنياه) بعينين جاحظتين دامعتين، هل اشتاقت إليّ لهذه الدرجة؟ تَبَّ لها.

ركضت نحوي، وكرد فعل غريزي ارتددت إلى الوراء ووقف حارسي أمامي يمنعها من الاقتراب مني، أخذت تبكي بهستيريا أمام الجموع:

- دعني ألمسك لأصدق أنك حي.

قطبت جبيني في حيرة من كلامها! حي! ماذا تعني؟

نقل صوتي تسأولي، فهتفت بفرحة وألم معًا:

- لقد قالوا لي إنك مت.

انتصب والدي غضبًا وصر على أسنانه قائلاً:

- ماذا؟ من تجرأ على إطلاق هذه الشائعة؟

ارتعدت (جُنياه) بخوف ونكست رأسها وهي ترتجف من هيبة والدي الملك، وقالت متلعثمة:

- ..!!! خادمي أرسلته ليطمئن قلبي على صاحب السمو الملكي، ولكنه عاد إليّ بهلع

بأن الأمير مات بسبب الإنسية.

فغرت فمي بينما سارت همهمة بين الحضور، هتف والدي بغضب:

- أنسيت أنه عفريت قوي لا يقدر عليه أحد؟! كيف تصدقين أن إنسية استطاعت قتله؟!
هتفت (جُنياه) بهلع:

- مولاي لا تغضب مني أرجوك، إنها ليست إنسية عادية إنها زهرية قوية.

ساد الصمت والكل في حالة ذهول، أما أنا فكنت أنتفض غضبًا، فلا يحق ل (جُنياه) كشف سر محبوبتي (مُنَى) التي هي نفسها لا تعرف قدرتها، وأنا لم أخبرها وأقحمها في متاهة واسعة، لم يكن الوقت مناسبًا وهي في حالة من الشك والخوف من عالمي، قطع عليّ حبل أفكار صوته الوزير (شياط) القائل بأدب جم:

- لذلك مولاي أتينا لنراه بأعيننا، والحمد لله على سلامته، لقد كدت أخسر ابنتي من شدة حزنها عليه، سأعاقب الخادم الذي لم يتحرّر دقة معلوماته.

فأغمضت (جُنياه) عينيها وقالت باكية بحيرة:

- فقدت صوابي، إذ إن الإنسية الخبيثة تحسب أنه مات، وخادمي جاءني مدعورًا بأن الإنسية تبكي لأنها تسببت بموته، وأميرنا وحرسه لم يكونوا هناك؛ لذا صدقته وفقدت صوابي، ولكنني انتقمته له من تلك الإنسية.

توترت عضلاتي وهتفت بصوت مختنق:

- ما... ماذا فعلتِ لها؟

رفعت رأسها بأنفة واعتزاز وقالت:

- أأست أمامك هنا يا أميري؟ أليس هذا واضحًا؟

عليها اللعنة ماذا تعني؟ خرجت من والدة حبيبي ثم ماذا؟ في قلة صبر هتفت
بحدة ارتجفت لها:

- ماذا تقصدين؟ تكلمي.

ابتلعت ريقها وقالت بصوت حاولت أن تجعله شجاعًا:

- قتلت والدتها مثلما تجرأت هي على قتلك.

اهتزت الأرض تحت قدمي، جلست على مقعدي وشدت على مقبضه والدماء
قد اختفت من عروقي، قلت بصوت مختنق مصدوم:

- قتلت السيدة (جميلة)؟!

الغبية ابتسمت باعتزاز ظنًا منها أنها ستتقلد وسام البطولة وقالت:

- نعم، فعلت ذلك لأجلك.

صرخت بغضب هادر اهتزت معه قلوب الحاضرين:

- ماذا فعلت يا خبيثة؟

ارتجفت (جُنياه) وارتبك (شياط)، استللت سيفي وانطلقت نحوها، لولا أن
والدي أمسك بذراعي وهتف مضطربًا:

- لا يا بني اهدأ، اهدأ.

قلت وأنا أغلي غضبًا:

- كيف أهدأ وهذه القاتلة تتبجح أمامي؟! أليس هذا اعتداء غير مشروع؟ أخبروني يا معشر الجن، أليس هذا مخالفاً للقوانين؟ كيف تقتل إنسية لم تؤذها، بل كانت أسيرة عندها؟ ألا تستحق بعد ذلك أن أفصل رأسها عن جسدها؟

سقطت (جُنياه) أرضاً وجثا (شياط) على ركبتيه وهتف مدعوراً:

- كان مشروعاً، إذ ظننا هذا انتقاماً لك يا ولي العهد، أرجو منك العفو والمغفرة.

أنفاسي كانت هادرة في صدري، فقال والدي كلمته الحاسمة:

- هذا عذر مقبول يا ولدي، أنا أيضاً رغبت بقتلها ثأراً لك.

لماذا يتكلمون عن حبيبتي وكأنها الشر الأعظم؟ لا أحد في الدنيا يفهمها ويفهم دوافعها غيري.

قلت، وأنا أرغب أن أنتقم لحبيبتي ووالدتها الغالية:

- فإذاً أنا سألغي أي ارتباط بك يا (جُنياه)، لن أستطيع أن أكون خطيباً لك أو رؤيتك بعد اليوم وإلا قتلتك.

خرست الهمهمات وألجمت الصدمة (شياط) وابنته، كم شعرت بالنصر لخسارتهما أخيراً، بينما لمعت عيون الفتيات في البلاط ببهجة، وارتسمت الابتسامات على شفاه عوائلهن، حقاً مصائب قوم عند قوم فوائد، ومن بينهن رأيت ابنة رئيس الوزراء (تاسيا) تشبك يدها بيد أختي (روبيكا) صديقتها وتتبادلان نظرات الانتصار، وهي تنظر نحوي بأمل كبير.

أشحت بنظري عنها وأنا كاره لكل شيء، فيا ليتني حقاً متُّ عندما أخرجتني حبيبتي (مُنَى) منها.

تبكي وترجى تنهار وأنا لم أعد أراها، لقد انطوت صفحة هذه المرأة الأناثية من

حياتي، والآن يجب أن أطمئن على وضع حبيبتي (مُنية) التي لا بد أن فراقها لأمرها قد أصابها في مقتل.

في مخدعي دخلت والدي الغالية بعد أن أعلن الحارس وجودها، لم أكن في حال يسمح بالنقاش في مسائل الخطبة وغيرها، بالي مشغول وقلبي حزين، وضعت يدها على كتفي وقالت بترقب:

- هل حقًا فتاتك الإنسية زهرية؟

أغمضت عيني بغیظ وقلت من بين أسناني:

- وإدًا؟

تأملتي أُمي بدهشة وقالت:

- أتسأل حقًا هذا السؤال؟

رددت عليها بضيق:

- هل تظنين أنها مباحة لكم؟! ولا قطرة دم واحدة.

سارت والدي بتؤدة وجلست على الأريكة وأخذت تتأملني بصمت ثم قالت:

- من أي درجة هي؟

تنهدت بهم، كم تمنيت لو أنني قتلت الواشية (جُنياه)، لا أرغب أن يطمع بقدرتها أحد.

اتجهت نحو والدي وجلست على الأريكة المقابلة لها، وقلت بصدق:

- أُمي الغالية.. عندما رأيتهأ أول مرة في (سوريا) رأيت روحها وقلبها وكأنها شمس

مشعة، ووقعت في غرامها، ثم اختفت وقابلتها مرة أخرى في (أبها) بقدر لطيف وعجيب! قلبي وقع في غرام روحها قبل جمال وجهها، وفي (السودة) جاءت لي في ذلك الزفاف الذي حصل لولي عهد المنطقة، كيف جاءت هناك حتى أقابلها بقدر عجيب؟! وقتها انطلقت نحوها وكلي عزم ألا أكون إلا لها وأن تكون فقط لي.¹

زوهيرية هي؟ نعم، لا أنكر ذلك، وأعرف أن كل الجن هناك في (أبها) قد ميزوا ذلك، فقد ورثته عن أمها وجدها والد أم أمها، تسألين أي درجة؟ درجة كبيرة وقوية، ولكنها لا تعرف عن ذلك كله، ولا أرغب أن أقحمها في شيء هي ليست مستعدة له بعد، وأنا أرفض بشدة أي مآرب أخرى لهذه العلاقة، أحبها أكثر من نفسي وحياتي، ولن أسمح لأي أحد أن يطمع في استغلال قوتها أبدًا.

كانت عينا أمي تغليان إذ قالت:

- تتكلم وكأنك مرتبط بها وليست مرتبطة برجل إنسي، من قال إنها لم تعد متزوجة؟ أنت ولي عهد مملكة كبيرة، عليك الارتباط بفتاة من مستواك الاجتماعي، أميرة أو ابنة وزير، أما هذه الإنسية التي تحسب أننا نطمع في قدراتها لمصلحة مملكتنا؛ فإننا لا نريد منها شيئاً، فهي عدوة لنا طالما أنها اختارت إنسيًا وأشغلت أميرنا عن أهدافه الحقيقية.

أمسكت يدها في رجاء وقلت بتضرع:

- أي أنا أعرف أنها ستكون لي لا تشكي لحظة في قدرة استشعاري وبصيرتي، هي لي ولو بعد حين، ولا أرغب بغيرها.

سحبت يدها من يدي بحدة وقامت بأنفة وقالت:

- عليها اللعنة فقد سحرت قلبك وعقلك، وإني لها بالمرصاد، إذ خطفتك من

¹ - لمزيد من التفاصيل يرجى العودة إلى الجزء الأول (جَمْنون).

عائلتك وملكك.

هتفت بألم:

- أمييييي.

ولكنها كانت قد خرجت بسرعة الريح، وتركتني غائر الصدر مع هواجسي وأفكاري.

واقعي المر

تحكيها (منى)

تسرقنا الحياة من أنفسنا ومن عواطفنا، فتركنا نسعى إلى سد فراغات توغلت في أرواحنا حتى لا نشعر بها..

حتى كوب القهوة أتأمله بعمق وأشربه على مهل؛ لأسرق من الزمن لحظات أعيد فيها صفاء ذاتي، هل كان (جَمَنون) يحب القهوة؟ غريب لم أسأله من قبل!

ما تفاصيله؟

ماذا يحب؟ ماذا يقرأ؟

أي الأغاني يحب؟

هل كان ذوقه مثل ذوقي؟ أعتقد ذلك.

ولكن كيف لي أن أعرف الآن؟

تساقطت دموعي على قهوتي السوداء لتعكرها كقطرات مطر تحاول تنقية بركة من الوحل...

أشغلت نفسي وطاقتي بدراستي الماجستير في (كندا) وأطفالي الثلاثة وطالباتي ودراستي وبحوثي.

أنا و(وليد) رغم اختلافنا في طبائعنا وأفكارنا إلا أن الحب والاحترام بيننا دائمًا موجود، كان (وليد) يعبد عمله، لدرجة لا يرى أي عمل آخر بمقام عمله،

وكتبيب جراح كان علم النفس بعيدًا عن إدراكه؛ لذلك لم أكن أناقشه في تفاصيل حالاتي، واحتفظت بعالمي الخاص لنفسي، أحب أن أغوص في النفس البشرية وعوالمها، ولي آراء نسجتها من فهمي وإدراكي وبحوثي.

كنت أؤمن بالعلوم الروحية وعالم الجن لما مررت به في حياتي معهم، قد أكون بذلك اختلفت عن أهل علم النفس الذين لا يعتقدون بالأمور الروحية والغيبية، وكأنهم ينتقمون من السنوات الماضية التي كان فيها الأطباء يستخفون بالطب النفسي حتى أثبت نفسه، والآن التاريخ يعيد نفسه بطريقة مختلفة، فالمتهم (الطب النفسي) أصبح الآن الجاني، أما المتهم حاليًا فهو العلوم الروحانية.

البشر هكذا يمارسون الممارسات القاسية في حقهم على غيرهم يومًا ما! كرد فعل وانتقام أحقق لأنفسهم، وكأن تجربتهم لم تكن كافية ليتفهموا الآخرين، كمية من التناقضات هم؛ لذا كنت أختلف عنهم، فأنا، لما عشته من تجارب غريبة مع بُعد آخر وعالم آخر، أؤمن بالغيبيات والشاكرات والطاقات والأبعاد، وكل ما يعجز عنه العقل والفهم البشريان، ولكني ما زلت عاجزة وحائرة، ومحصورة في قوقعتي من الفهم البشري المقيد المحدود والخائف من المجهول.

هل كان سيفخر بي (جَمُنون) لما أحرزته من تقدم علمي وفكري؟ تساقطت دموعي من جديد، يا ليته معي الآن لأسمع حديثه بصوته العذب الدافئ.

تمر اللحظات والأيام والسنون ووجع فقدانه يزداد داخلي عمقًا. لماذا أحيانًا أحس به يراقبني من بعيد! أهي الرغبة الداخلية في أعماقي؟

يا ليت الموت لا يخطف أحبتنا أبدًا.

اللقاء القدري

يحكيها (جَمُون)

كان لا بد أن أزورها، ولكن والدي حبسني! نعم حبسني وكأنه يخاف أن أذهب ولا أعود إليهم أبداً، ولا ألومه على تفكيره.

كنت في جناحي محبوساً مع حراسي، وخادمي الشخصي (بادلر)، قلت له بحزن:

- لطالما دعمتني كأخ أكثر منك وصيقاً، كيف السبيل لرؤيتها؟

قال بفهم كبير وبهمس:

- راوغ يا مولاي وكأنك في حرب سياسية، دعهم يأمنوا جانبك لتفعل ما تشاء.

صمت وأنا أقلب كلماته في عقلي، بالفعل معه حق، ابتسمت ابتسامة صفراء وقلت بمكر:

- جاء الوقت لأحارب وأسافر لعقد العقود لوالدي، أليس كذلك؟

ابتسم وصيفي (بادلر) في مكر وقال بصوت مرتفع:

- بالتأكيد يا مولاي، سأخبر الملك برغبتك في الانخراط بالعمل، حتى تتمكن من نسيان الإنسية.

الحرس حولنا ابتلعوا الطعام، إذ دبّ في أرواحهم الحماس، ذهب وصيفي مباشرة لتنفيذ الأمر، فتنفست الصعداء والأمل يتجدد بداخلي، فلا أحد ينقل لي أخبارها وكانهم يرغبون محوها تمامًا من عالمي.

حبيبي (مُنية) هل أنتِ بخير بعد موت والدتك؟ حبيبي الغالية ما أخبارك؟ ترى هل افتقدتني ولو لمرة واحدة؟ أتَحسِّينني ميثًا؟ هل هذا يؤلمك أم يسعدك؟

عند هذا الحد سالت دموعي ساخنة تحفر خندقين على خدي.

الشمس والقمر ارتباط منذ بداية الخلق وإلى الأزل.

هل تكون الشمس بدون القمر؟ لا وألف لا. فلا نهار بدون ليل يتبعه، ولا أنا بدونها. حبي لها لن يفنى، إلا لو اختفى القمر وظلت الشمس وحيدة، وهذا لَعَمري محال، فحتى يوم القيامة الشمس والقمر يجتمعان معًا..

وإني بها لاحق..

وإني لها تابع..

وإني لها شمس تدفئها، وهي قمر يضيء حياتي.

وأنا معها مجتمع إلى الأزل، وحتى في دار الخلود؛ فهي قدرتي والروح التي بداخلي، وأنا لها وحبيبها، وهي تحبني رغم أنها لا تعترف بذلك؛ لعدم إدراكها إدراكًا كاملًا.

فهل أستسلم وأجعلها تعاند القدر؟

من أنا؟ ومن الجن والإنس لنعارض مشيئة القدر؟ فالله قد خلقنا لنكمل بعضها بعضًا، ونرتبط برباط مقدس، لا تفصله أيدي الخلق.

ما بين المعاهدات والحروب والانتصارات التي حققتها، يظل وجهها يلمع على نصل سيفي يخترق روحي وكياني.

عدت بانتصارات عظيمة لأبي المتباهي بابنه، ألسنت أنا السياسي المحنك رغم صغر سني؟ واحتفاءً بانتصاراتي قدم الكل الهدايا ومن بينها الجاربات لعوائل كبيرة

في مملكتنا، ابتلعت ريقى وشعرت بالضيق، وأخيراً أخبرت والدي بكل صراحة:

- لا أرغب في النساء الآن فروحي متعطشة للنصر والدماء.

كنت أنتظر عاصفة من الغضب، ولكن والدي فرح بجشعي للنصر، أما الجاريات فسيتم توزيعهن على الأمراء والوزراء حتى لا يتم إحراجهن وإحراج عوائلهن.

كنت أتوق للفرصة السانحة حتى أسافر إلى أرض المملكة العربية السعودية حيث تعيش حبيبتي (مُنية)، وأخيراً أتت الفرصة، ولو أنها زيارة للوزير الخبيث (شياط)، لا يهم، فالمهم أن أستطيع التعرّيج على روح قلبي ورؤيتها، والاطمئنان عليها، إضافة إلى رؤية المكان الذي جمعتني بها فيه ذكريات عزيزة على قلبي.

أنظر إلى والدي أترقب بصبر أمره بالسفر، خفت أن يعرف نيتي الحقيقية، سيطرت بعنف على انفعالاتي التي يستطيع رؤيتها بسهولة فنحن الجن قادرون على رؤية الهالات وكل ما لا يراه الغير..

- عليك بالذهاب إلى الوزير (شياط) لتعطي موافقتك على فتح الأراضي في المنطقة الجنوبية، علينا أن نضم إلى مملكتنا أراضي أوسع.

وأخيراً قالها، سيطرت على نفسي حتى لا تظهر الفرحة جلية عليّ. انحنيت باحترام له وقلت بصوت حاسم:

- أمرك.

(مُنيتي) سأراك.. نعم سأراك حبيبتي وأطمئن على حالك، نور قلبي ومهجة فؤادي أنت.

بين الأطلال

تحكيها (منى)

تَبَّأ متى أشفى من حزني؟! فما زادتني الأيام به إلا تعلقًا وحزنًا، تمنيت لو يعود الزمن؛ لما كررت فعلتي الشنعاء.

تمضي الأيام وأنا أشعر بأني مزيفة أحيا كالبشر ولست بمثلهم، مما أصابني بالاكْتئاب، حقيقة احتفظت بها لنفسي وأنا الأخصائية النفسية التي ترشد الناس وهي من يشتكي التعب، كما قال المثل: «باب النجار مخلع»، كنت أعالج نفسي بالأفكار الإيجابية بالعقاقير ومحيا (جَمْنون) يرتسم أمامي كلما أغمضت عيني المرهقتين لأنام.

بعد خمس سنين من وفاة صديقي الغالي (جَمْنون) وأمي الحنون، سأزور منزلنا في (أبها) لأول مرة، شاهدته مهجورًا من بعيد، وكيف لا؟! وقد انتصر الجن المردة على أي إنسي فكر في استيطانه، غادرنا المكان وغصّة في قلبي، من قال إن الذكريات فيه كانت حزينة أو مخيفة فقط؟ فشريط الذكريات الجميلة أخذ يدور أمامي، أذكر صدى ضحكاته، وقبلاته ونظرة العشق في عينيه، أتساءل لو كنت جنية فهل كنت سأقاوم حبه؟ بالطبع لا، ما منعي منه إلا الخوف من الارتباط بعالم مجهول من مجتمعي ونظرات الناس، أنا الجميلة كان زواجي في عز شبابي أمرًا محتومًا، و (وليد) كان نعم الزوج بحبه واحترامه لي، والآن لديّ حياتي كباقي البشر، لكنني أشعر بالضيق والملل منها.

عندما رحلت السيارة عن منزلنا لا أدري لماذا شعرت ب (جَمْنون) ينظر نحوي، هل جننت لأتخيل ذلك؟

أرض الجنوب

يحكيها (جَمُون)

يا رب السماوات والأرض، جئت لـ (شياطين) كحجة لأذهب بعدها إلى (مُنيتي) في الرياض، لكنني أجدها هنا.

كيف يا إلهي تكون هنا أمامي؟ ما هذا القدر الذي يجمعنا؟!

الشوق يشق صدري، كانت في السيارة من بعيد لا أرى سوى وجهها كبقعة نور قمر في ليلة بدر.

وضعت يدي على قلبي حتى لا يقفز من صدري.

ضمنت عباءتي عليّ لأخفف رعشة برد اكتسحت جسمي، اغرورقت عيناى بالدموع وأنا لا أقوى على بعدها أكثر، ارتبك رجالي وشعروا بذبذبات جسدي، كان وصيفي المخلص (بادلر) يفهم ما بي، اقترب مني وهمس:

- مولاي تمالك نفسك.

أصابني الجنون ولم أعد أعي القوانين والأحكام، كم التاع القلب عليها. انطلقت كالصاروخ طائرًا خلفها، فعمّت الفوضى المكان، وأخذ حرسى يلحقون بي بذعر، فلا قدرة لهم على منعي، اقتربت من نافذة سيارتها طائرًا وعيناى تلتهمان وجهها بعشق مجنون.

لماذا هذا الحزن في عينيها؟! اللعنة على هذا الحزن كيف يكسر عينيها؟

تكلم زوجها فابتسمت ابتسامة باردة مرّقت قلبي، أصابني هذا الهم بالجنون، حبيبي تعاني فراق أمها، حبيبي ليست سعيدة، حتى لو ضحكت وابتسمت، فأنا أرى قلبها وروحها.

دخلت السيارة فجن جنون رجالي.

وقفت خلف مقعدها أبكي بلوعة ورائحة عطرها تداعب روحي، كم أتمنى أن أقرب منها كأنفاسها وأقرب، أتلوميني يا مُنيبي إن استوطنت جسدك كأعظم وطن؟

عشقي المجنون بكِ سلب لبي، ومن شدة رغبتني أن أكون قربك دخلتك؛ لأكون أقرب لك من دمائك؛ لأكون كالروح تستوطنك. هل أغضبتك إلى هذا الحد؟ العفو والمغفرة يا قلبي إن كنت بعشقي قد آذيتك؛ أعدك أن أكفّر عن خطايا عبد عاصي يا مولاتي.

بحق الله، هل أعود الآن إلى وطني بعد أن رأيتها؟!

اقترب مني حارسي الشخصي وأخذ يتوسل لي:

- يا صاحب السمو أرجوك سيغضب الملك منك غضبة كبيرة، أرجوك، لقد وعدته بالعودة بعد انتهاء المهمة.

عضضت على شفتي بغيظ وزفرت بقهر، نظرت نحوه برجاء وقلت صادقاً:

- سأعود أقسم أن أعود، ولكن دعني أراها مرة أخرى لأطمئن عليها.

أطرق حارسي برأسه في حيرة بين حبه لي واحترامه لوالدي، حسم أمره وقال بقوة:

- أمرك، سأكون لك الحامي، ولكن صاحب السمو الملكي لا تنس، مرة واحدة فقط.

ابتسمت بمرارة وكأنّ مليون مرة تكفيني فيها؟ كم كنت أحلم وأتمنى أن أعيش معها العمر كله.

لحقت بها نحو بيتها في الرياض، وهناك بعد منتصف الليل دخلت غرفتها لأجدها نائمة، اهتمت مشاعري لرؤيتها، حبيبتي صغیرتي مُنيّتي الحائرة.

كنت أشاهدها من بعيد، ولكن الشوق استبد بي، أخذت الدموع تسيل على خدي رغماً عني، توترت صفوف رجالي، ولكني لا أهتم بأحد؛ فالكون كله حينها تجسد فيها، أقسمت أن أقرب منها أكثر وأضمها إلى صدري.

تقدمت خطوة فإذا بوصيفي يهتف بهلع:

- مولاي لا تفعل ألا ترى درعها!

بمرارة أجبت:

- بلى أراه.

لا تزال حبيبتي تخاف من عالمي، التحصين محيط بها كدرع يحميها من أي شيء يقترب منها، سورة البقرة تنبعث من هاتفها المحمول. ولكن هل يمنعني ذلك من الاقتراب منها بعد سنوات غياب؟ ألا أضمها إلى صدري؟ لذا اقتربت أكثر، جثا خادمي في رجاء طالباً مني التوقف، وأن لا أؤذي نفسي.

- شهرته بعنف:

- ابتعد عن طريقي.

- مولاي أرجوك.

هتفت بغضب:

- قلت لك ابتعد، أطع الأوامر.

في خضوع ابتعد ورجالي ينظرون نحوي في دهشة وذعر من جنوني.

اقتربت منها أكثر، كم أتمنى أن أرى ملامحها عن قرب أكثر. دخلت هالتها المحصنة، لساعات حارة على بشرتي، ولكني لا أهتم. استلقيت بجوارها وحرارة درعها تلسعني، لا يهمني الآن أي ألم، فقط أرغب بضمها لصدري، وحين فعلت شهقت بلوعة، وبكيت وأنا أشعر بحرارة ظهرها على صدري، ورائحة عطرها تداعب أنفاسي، وأنفاسها تعزف في روحي، أخذت أتأمل جسمها الجميل والعشق يمزقني.

يا رب السماوات ماذا وضعت في قلبي لها؟ لقد صببت حب العالم كله في قلبي لها، حب العالم كله لا يكفي لها، ذابت روحي وعظامي. أخذت أضمها أقوى غير آبه بالألم.

أنت حبيبتي بألم، فعرفت أن هالتها المدافعة مع هالتي الدخيلة زادت وقع الحرارة والألم حتى في جسدها، وهنا لم أقو على أذيتها، فأرخيت ذراعي واقتربت من خدها العاجي وقبّلتها بعشق العالم كله، وبشرتها الحبيبة تعطر أنفاسي، سألت دمعي لتسقط على خدها، تأملتها بجنون مودعًا وواعدًا بزيارات أخرى، سأتحدى العالم والقانون والخوف والحواجز لأجلها، وهي حبيبتي وقدرتي الذي كتبه الله لي ولو بعد أعوام ستفهم، وستنجح في تخطي مخاوفها.

تنشقت عيبرها وتركتها كارهًا بعدها وابتعدت عنها.

ركض خادمي نحوي ليطمئن عليّ، ولكنني لم أهتم، كنت أنظر نحوها بوجع المفارق وفرحة العائد إلى أحضان وطنه بعد الغياب، مشاعر متضاربة ألمت بي حتى سمعت حارسي يهمس بأدب:

- حان موعد العودة يا صاحب السمو الملكي.

زفرت وأنا أشعر بقيد الوعد يقيدني. قلت بصوت حاولت أن أجعله حاسمًا:

- لا أحد يخبر والدي أو أي أحد بما حصل.

- أمرك مولاي.

درت على عقبي منهكًا، جلست على هودجي الذهبي وعواطفي أنهكت حواسي، حملوني ومن الأبواب البعدية ساروا بي لأنتقل من بعدها إلى عالمي ورائحتها لا تزال عالقة بثيابي، ضممت نفسي وكأني أضمها سائلًا الرب ألا تختفي رائحتها مني كما اختفى وجهها من أمامي.

(3)

عندما تتمرد روح العاشق على كل القوانين
(منيتي) لن أتخلى عن معشوقتي فأنا بها عالق.

أين جَمُنون؟

تحكيها (منى)

ما هذا الشوق الغريب الذي ألمَّ بي؟

(جَمُنون) ، لماذا شعرت وكأنني البارحة كنت بين أحضانه؟!

نزلت دمعتي رغماً عني، كيف أنسى ذنبي وشوقي؟

في منامي رأيت رؤيا عجيبة، وجدت نفسي في منطقة خضراء وكأنني خارج الحياة الدنيا، وكأنني في عالم الآخرة وأمامي بوابة الجنة، حينها شعرت برغبة قوية أن أرى (جَمُنون)، ركضت بلهفة ودخلت الجنة باحثة في كل الغرف المتناثرة، لم أجده، فجزع قلبي أن يكون في الجحيم، حينها رأيت ملاكاً حارساً عند أحد الأبواب، فسألته بصوت مرتجف وبخوف من رده، من أن يكون صديقي في النار:

- هل جَمُنون هنا؟

رد عليّ ردّاً غريباً:

- لا هنا ولا هناك.

أردت أن أستفهم أكثر، ولكنه استطرد قائلاً:

- ولكن (وليد) سيكون في غرفة آل طه.

أذهلني كلامه ولم أستوعب، ففتح الباب من ورائه، لأرى (وليد) يرتدي ثوباً أبيض ناصعاً يحيط به غلمان مبتسمون.

عندما رأته في الجنة ابتسمت له بفرحة لعلو مقامه، وهنا قال الملاك الحارس:

- أنتِ عودي، فلم يحن وقتكِ بعد.

فهمت قصده، يجب أن أعود إلى الحياة الدنيا، فلا تزال لدي حياة أعيشها.

هرولت خارجة من الجنة وعدت إلى تلك المنطقة الخضراء، وفي السماء رأيت ضوءًا قويًا يشقها؛ فدعوت الله سبع دعوات:

- اللهم أعني أن أعمل لما خلقت له.

- اللهم إنك عفو فاعف عني وارحمي.

- اللهم اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي.

- اللهم اجعلني مقبولة الدعاء، وحقق أمنياتي كلها.

- اللهم اغفر لي ذنوبي كلها.

- اللهم اجعلني للمتقين إمامًا.

- اللهم اجعلني من أهل جنتك وممن ترضى عنه وترضيه.

وبعدها اتجهت إلى باب الدنيا وخرجت منه.

عندها استيقظت ذاهلة على سريري! ما معنى هذا؟

هل (وليد) سيموت قبلي وفي عمر شاب؟ نزلت دموعي ذاهلة. ثم أين (جَمُنون)؟
لا في الجنة ولا في النار!

أغلقت عيني من جديد وضعت في عالم أحلام لا معنى لها.

لن أتوب لن أتوب فنصيبني منك مكتوب

يحكيها (جَمُون)

- لن أتوب لن أتوب.... فنصيبني منك مكتوب.

هكذا رددت عازماً على العودة إليها ولو كلفني ذلك حياتي وعرشي.

كنت قد عقدت العزم بعد اجتماع رسمي في إحدى الدول أن أذهب إليها دون علم عائلي، وهنا وقع الخبر كالصاعقة على رؤوس رجال حاشيتي، حاول وصيفي إقناعي بالعدول عن تهوري، ولكني نظرت إلى عينيه بحزم قائلاً:

- وكأنك لا تعرف النار التي تستعر داخلي! والألم الذي يكويني في بعدي عنها! وأنت الذي شهد على حبي لها منذ البداية!

أطرق (بادلر) برأسه خجلاً وجثا على ركبتيه قائلاً بإخلاص:

- سأكون لك العون والحامي، مولاي، أنا خادمك المخلص فافعل ما تشتهي.

وهكذا أخذت وجهتي نحو معشوقتي ومُنيتي، وقع خبر عدم عودتي المنتظرة للمملكة كالصاعقة على رؤوس الجميع، فأنا لها ولو كان خطأ كبيراً.

دخلت منزلها وكان الوقت ليلاً، هدوء يغمر المكان والجميع نيام، تبعت رائحتها الزكية التي أخذتني إلى سريرها، راقبتها وهي نائمة، ورعشة عشق نفضت جسدي.

دنوت منها أتنفس أنفاسها، أخذت بأنفي أمره بين خصلات شعرها أستنشقها..

أخذت أعبدها بقلبي وروحي وعيني، والعرشة في جسدي تستمر وتستمر..

ألا يا الله أهذه جنتك التي وعدت بها عبادك المخلصين؟

أإخلاصي في عشقها أدخلني جنتها؟ فوالله إن القرب منها جنة والبعد عنها عذاب
وجحيم.

تمر الأيام وأنا أراقبها بصمتٍ ووَلَه، لا تراني ولا تدري بي، لا تزال كما هي طفلي
المحبوبة، بلطفها وخفة ظلها ومرحها، وكأن السنين لم تمسها.

كنت أردد في سري أغنية (رامي عياش) التي سمعتها تنطلق من هاتف محبوبتي
قبل أيام:

أنتِ لي شئتِ ما شئتِ

أنتِ لي رفضتِ قبلتِ

أنتِ لي في عينيك أحلامي

وفي حضنك أنتِ منزلي

من غيري عدّ رمشك شعرة شعرة

من غيري يموت أمامك من نظرة

من غيري يعرف كم الملح في أكلك

حتى مقاس رجلك

من غيري يملك محرمة

أسنان من عشر سنين مسحت بها دمعك!؟

كنت أتأملها بتفاصيلها برقصاتها وضحكاتها، ولكنها رغم ذلك ناقصة السعادة
رغم كون حياتها مثالية، هناك فراغ تشعر به في قلبها وروحها، دنوت منها أكثر
فسمعت حديثها الداخلي مع نفسها تتساءل عني، تخاف من المستقبل، ماذا لو

مات (وليد) قبلها ستكون وحيدة؟! قطبت جبيني واقتربت منها أكثر فإذا بطيف حلمها يمر عليها، فعرفت سبب خوفها.

هل وليد سيموت قريبًا؟

هنا كان لزامًا عليّ أن أعرف والطريقة سهلة، سأسأل قرينه وأرسل من يستقصي عن حياته.

جاءتني الإجابة، وكانت نعم.. والوقت تحدد لي، فالقرين يوكل بالشخص منذ ولادته وحتى آخر يوم في حياته، فيعرف الوقت والمدة اللذين يلزم بهما الشخص.

قلبي يرقص سعادة، لا أستطيع أن أنكر ذلك، ولكن في الوقت نفسه اعتصر الألم قلبي عليها، لا أطيق أن أراها تبكي وخائفة، لذا لن أتركها أبدًا بعد اليوم، سأخفف عنها وأحميها.

عندما كانت مُنيّتي مستلقية على سريرها تتخيل كعادتها، ولكن هذا الخيال أذهلني، إنها ترى نفسها تسقط في بحر هائج به أسماك قرش مفترسة، ثم يقفز من قلعة مشرفة على البحر رجل وسيم ملامحه تشبهي؛ فيحملها ويطيّر بها نحو قلعته، فإدًا هو ليس إنسيًا! بل إنه أنا، وفي القلعة يجعلها معه وكأنه ملك على مصاصي الدماء وعوالم مختلفة.

ابتسمت فرحًا لخيالاتها، فإذا هي لا تزال تبحث عن الحب الحقيقي، ووجدته في حياة لا تشبه حياة البشر، بل تتمناه معي، وهذا دليل أنني محق منذ البداية، فحبها لـ (وليد) حب عادي لا يشبه الشعور الذي بداخلها نحوي، وتحاول أن تنكره خوفًا من المجهول.

غبت عن أسرتي شهرًا كاملًا أمضيته وأنا أتأمل وأدرس معشوقتي، (وليد) لا يزال يحبها، بل يعشقها أكثر من حبها له، هذا جيد لأنني أرغب أن يعاملها بما يليق بها،

وإلا فالويل له، كان شخصًا عمليًا جدًّا، كثير القلق والتوتر، ومدخّنًا بشراهة، هذا الأحمق سيقتل نفسه باكراً، بعكس معشوقتي التي تحافظ على أكلها الصحي، وتبتسم دائماً، وتصنع السعادة، لم أكن مخطئاً في نظرتي عندما أخبرتها أنه لا يناسبها، لم تصدقني، وظننت أن حديثي حديث عاشق غير صحيح، أي كذبت في كونه قد يكون دون جوان يتسلى بالنساء، كان ذلك لأصرفها عنه وأحميها، كنت أدرك في داخلي عدم صحته.

لن أكذب وأدعي الحزن لكونه سيموت قريباً، ولكني في الوقت نفسه أشعر بالقلق على حبيبتي وصغارها، كانت (مُنِيَّتِي) متوترة وعلامات الترقب ومعرفة القادم محفورة في عينيها الجميلتين، كنت أقرب منها أحتضنها أحاول أن أثبت فيها الهدوء والسكينة، كانت تردد في أعماقها: «سيموت قريباً، سيموت قريباً».

كم قطعت قلبي مخاوفها، ولكن ورب خلق السماوات والأرض لأكون لها الحبيب الراعي والحامي، ولن أدع للحزن إليها سببلاً، هل أظهر نفسي لها أنني حي أم هذا تهور مني؟

أرسل والدي رجاله ووزيره الأعلى لإعادتي لعائلي عنوةً، فعدت مكرهاً، ولكني عازم على شرح موقفي الجديد لعلهم يفهمون.

كان الاجتماع أسرياً خاصاً، فلم يحضر سوى عائلي المكونة من والدي الملك، وجددي وجدتي وأمي وأخواتي الثماني، إضافة إلى أعمامي وزوجاتهم وأبنائهم، وعماتي وأزواجهن وأولادهن، وأزواج أخواتي ورئيس الوزراء مستشار الدولة الأقرب لوالدي، شعرت بنظراتهم مسلطة عليّ وكأني في المحكمة العليا.

قال والدي بغضب:

- تعديت كل التوقعات بتصرفاتك، أنت ولي العهد، ولست جنياً عادياً، هذا العشق سيرديك للتهلكة.

أغمضت عينيّ بقوة، وكنت جاثيًا أمام والدي الجالس بقسوة على عرشه، قلت من بين أسناني:

- لا تهلكة في عشق مُنيّتي.

هتف والدي بحدة:

- جمنووووون.

رفعت رأسي بأنفة وقلت:

- يا عيناه... والدي الغالي لا تظلمها لأنها فقط من بني البشر.

زفر بهم ونظر نحوي بغیظ وقال بحدة:

* أنت تعرف أنك نقطة ضعفي لذا تتمادي، أُسر أخرى قد تتبرأ من ابنهم لمخالفته العُرف ويطردونه من أراضيهم، أنت تعرف يا (جَمْنون) أي لا أقدر على ذلك، فلا تستغل حبي يا ولدي.

شعرت بالحر والفرح معًا، وهنا قال جدي - وكان يبلغ من العمر قرابة ألف عام، ففي مملكتي ولي العهد يصبح ملكًا في حضرة والده الملك في سن معينة، وليس كالبشر بعد وفاة الملك، والملك السابق يبقى مشرفًا ومستشارًا بهيبة واحترام، فيصبح الملك المستشار - وجدي الحبيب عندما تكلم صمتنا في أدب جم وهو يقول:

- ما الذي يميزها ليجعلك في حالة سكر تام؟ تعال يا حفيدي الغالي وأرني ما تراه.

أشرقت عيناى للحكمة وتأني جدي فاتجهت نحوه ومددت له يدي التي أمسكها بيديه الاثنتين ثم أغمض عينيه وأخذ يغوص في روجي وأفكاري.

أسبلت عيني واسترخيت لأتواصل معه، فأنا أرغب أن يرى حقيقة جوهرها العظيم.

أدرك أنه غاص في أعماقي فرأى نورها الساطع وزوهريتها القوية، رأى نقاء قلبها وشفافية روحها، والأهم أنه رأى حبها المدفون في قلبها لي وهي لا تدرك وجوده.

بعد برهة فتح جدي عينيه وقال بفرحة:

- يا حفيدي لقد أحببت قمرًا يضيء ظلمة السماء.

ابتسمت روجي قبل شفتي، وقبّلت يده حبًا وامتنانًا، وقلت بفرحة:

- هذا القمر سيكون بلا رجل إنسي قريبًا في حياتها، حينها لا عقبه بيننا.

سرت همهمة بين الحضور، فتجرات وقلت بعد أن عدت إلى مكاني مائلًا أمام والدي وجدي:

- لقد رأيت مستقبلها، زوجها مريض ومكتوب له عمر قصير، وهي ستكون لي لا محالة.

هتفت والدي بحدة:

- وما أدراك أنها لن ترتبط بإنسي آخر؟

عضضت على شفتي وقلت بيقين:

- لأنها لي، لأن الله جمعنا وما يجمعه الرب لا يفرقه الخلق.

ثم وجهت حديثي لجدي قائلاً برجاء:

- أخبرني يا جدي ما أنا بالنسبة إليكم؟

قال جدي باعتزاز:

- أنت الشمس المشرقة يا أميري.

هتفت بحماس:

- والشمس لا تكتمل مسيرتها إلا بقمر يتبعها، فكيف يمكن أن أعيش بدون قمري؟

زفرت جدتي في قلة صبر وقالت:

- عالم الجن بأكمله وأجمل الجميلات، لم تجد فيهن قمرًا واحدًا، وركضت خلف إنسية؟!!

تنهدت بحزن وقلت:

- الأمر ليس بيدي، إنه القلب الذي اختار، والروح التي استدلت عليها، ثم إنها ليست مجرد إنسية.

قالت أختي الوسطى (سوريانا) بسخرية:

- لأنها زوهرية تظن أننا بحاجة إليها؟! نحن من القوة ما يجعلنا لا نحتاج إلى الإنس وعالمهم.

قال ابن عمي وصديقي الغالي (شامر) مدافعًا:

- لا يمكن أن يكون هذا هو الدافع، أنتم لا تعرفونها، إنها حقًا النصف الآخر لصاحب السمو الملكي، إنهما توأما شعلة، وقصص العشق الملحمية تلزم أصحابها بتحديات كبيرة، وهذا هو الحال.

نظرتُ نحوه بامتنان، وكلّي أمل أن يتركوني لحال سبيلي حتى أثبت لهم أنها زوجتي لا محالة.

همهمات بينهم وآراء متضاربة، الكل يتكلمون وأنا عيناى مركزتان على أبى، فالملك وحده بيده القرار الحاسم، هنا أشار الملك بيده علامة الصمت، صمت الجميع فما عدت أسمع سوى نبضات قلبي السريعة، وفي ترقب من الجميع قال والدي بحسم:

- وضعنا الحالي كمملكة قوية ترغب في التوسع والسيطرة لا يسمح أن أربط مستقبلها بتكهنات مستقبلية، أنا حاليًا أراها إنسية متزوجة قد نبذت حب ولدي لها، وابني ولي عهد لديه مسؤوليات جمة، ويجب أن يُنصَّب قريبًا ولي عهد بشكل رسمي، وهذه القصة قد تؤثر سلبيًا على ترسيمه، والآن عد إلى صوابك، وركز على مهامك التي خصك الله بها، فأنت لست جننيًا عاديًا، أنت من مقام رفيع، وعليك مسؤولية كبيرة، أشرح أن تشغل نفسك بامرأة أخرى جميعنا نرغب بابنة صديقي رئيس وزراء الدولة، لن تجد أفضل من (تاسيا)، أنت تعرف الرابط بين عائلتنا وعائلتهم من سالف الزمان، وأنها كانت الرغبة الأعظم لنا من قبل (جُنياه)، لولا ظروف معينة جعلت ابنة الوزير (شياط) تحل محلها، وطالما عادت الأمور لنصابها الصحيح ف (تاسيا) المرشحة الأمثل لتكون زوجة لولي العهد والملكة مستقبلًا. انتهى.

كان رئيس الوزراء واقفًا بجوار والدي والفرحة لا تسعه، وأخواتي يضحكن بفرحة، بينما أنا الغصة والعبرة تخنقاني، جدي من بعيد أخذ يتأمل هالتي المتألّمة، نظرت نحوه فابتسم لي بغموض، هل يسخر منهم لأنهم تحدوا القدر؟ شعلة أمل أضاءت روعي الثكلى، و(شامر) وأختي التوءمة الحبيبة (تيانا) نظرا نحوي بحب ومساندة لم أجدها في أحد غيرهما من أهلي.

لا وألف لا.. لن أستسلم، فأنا عنيد وقوي، ولي من الحكمة ما يجعلني أرى البعيد.

لذا وقفت في أنفة واستأذنتهم منصرفًا تاركًا إياهم في أحلامهم يعمهون، وانطلقت لأحقق هدي الأعمم وهو قلب (مُنَى) وحدها بدون أي شريك لها.

الحياة تستمر...

هكذا فكرت (منى)؛ لذا رمت المخاوف وراءها وقررت أن تكمل دراستها العليا؛ لنيل شهادة الدكتوراه حتى ترتقي في عملها كمحاضرة. بدأت بدراستها، كانت شخصية اجتماعية استطاعت أن تكوّن علاقة زمالة بسهولة مع رفقاء دراستها، كما أن مدرسيها يعرفونها ويقدرونها، النابغة المتميزة، كانت تنتهي من فصولها وتشرب القهوة مع زملائها، ثم تعود إلى بيتها الجميل مع زوجها (وليد) وأبنائها الغالين.

كانت بعد وجبة الغداء تشرف على شؤون أطفالها ودراساتهم ثم تختلي بنفسها تنهي دراستها، ثم ترتاح على التلفاز لمشاهدة فيلم أو مسلسل أو قراءة رواية على أصوات قطرات المطر الخلابه والشمع يتراقص جوارها، كانت تشعر بنظرات تراقبها، تتنهد وهي تفكر لعل احتكاكها مع عالم الجن سابقاً جعلها في حال توهم دائم.

مرت الأيام وداخلها حنين غريب كلما جلست تحت ظل شجرة أو هطل المطر، كانت تتذكر أيامها في جنوب المملكة (منطقة عسير) وعائلتها، ووالدتها المتوفاة و... (جَمَنون)، اعتصر الوجع قلبها عندما مر في ذاكرتها، أخذت تتذكر بالأم - رغماً عنها - طيفه وشبح ابتسامته ونظرات عينيه الجميلتين، بل إنها تذكرت صوته العذب وكلماته لها، حتى مرّ في عقلها ذكرى صوته الباكي المصدوم وهو يترجأها ألا تشرب المسك، وهنا غرقت في البكاء المرير. فجأة شعرت بلمسات حانية على كتفها، التفتت بسرعة لترى من أمسك بها فإذا به لا أحد..

لا أحد..

لا أحد..

لكنها تكاد تقسم إنها شعرت بيد تلمسها، فأين صاحبها؟!

مر على ذهنها كالبرق اسم (جَمْنون) ولكن كيف؟

ارتعشت، ومس كهرباء تمر على مسامات بشرتها.

كم تمتت، كم رغبت بأن يكون هو، ولكن كيف؟

زفرت بحرقة ونهضت من مقعدها في حديقة منزلها ونفضت الأعشاب الصغيرة من بنطالها الجينز والنسمات تلعب بشعرها الطويل البندقي بخصلاته الشقراء، لم تكن تعلم أن تلك الخصلات تداعب بجنون صدر (جَمْنون) النابض عشقًا، والذي أخذ يراقبها والوله يلمع في عينيه اللتين تتأملانها وعقله يحلل أفكارها التي تناسب بسهولة في عقله دائمًا، فهو يقرأ فكرها وروحها، أخذ قلبه ينبض بسرعة وهو يشعر بالفرح لشوقها إليه، وسيثبت للعالم ولها أولاً أنهما خُلقا بعضهما لبعض منذ بداية الخلق.

(4)

كمن يعود إلى وطنه آمنة بعد غياب مرير

كما تعود الطيور لأعشاشها

عاد جفنون ولسان حاله يقول:

«ستكون منيتي لي وسأفتح لها الأفاق».

عوداً حميداً

بقي (جَمُنون) مع (منى) يراقبها من بعيد بصمت، يراها تدرس، تعمل، تخرج مع صديقاتها، تتحدث في هاتفها المحمول يومياً مع أختها (سمية)، كانت تحاول أن تنسى حزنها ومخاوفها بأن تشغل نفسها، وعندما تنام كان يقترب منها يحتضنها داخل هالتها الحامية فيتحمل نغزات الألم لتكون في أحضانه، كانت (منى) تشعر بحرارة جسد ما، ولكنها ظنت أنها واهمة ولعل هذه الحرارة تكون بسبب نقص فيتامين ب. استمرت الأيام واستمر (جَمُنون) في البقاء مع (منى) رافضاً وبشكل قطعي الانصياع لوالده، فهو قد أقسم إنها له وسيحارب العالم لأجلها.

في يوم من الأيام جاء والد (منى) السيد (عبد الله) لزيارتها في الرياض، أشرقت الدنيا في عينيها وهي تستقبل والدها الغالي، أقام له زوجها (وليد) وليمة، وبعد ذلك جلست مع والدها الحبيب بعد أن استأذنتها (وليد) لينام وكذلك فعل أطفالها.

كانت تشرب الشاي وتستمع بحب إلى والدها الذي قال لها ببشاشة:

- ابنتي أتذكرين صديقة أمك اللبنانية السيدة (جورجيت)؟

قالت (منى) وهي تسترجع الذكرى لما أخبرتها والدتها عنها:

- أذكر أنها كانت جارتنا وزوجها (إيليا) كان صديقك ويعمل محاسباً لديك، وأخبرتني والدتي - رحمها الله - بأنها عندما مرضت السيدة (جورجيت) ونوّمت في المستشفى قامت بإرضاع طفلتها المولودة عدة أيام معي، وحينها كان عمري عاماً، ولكني لا أتذكر أي شيء آخر ولا أعرف أختي من الرضاعة.

طأطأ والدها رأسه وقال:

- نعم، فعندما أصبح عمرك سنتين كان صديقي (إيليا) قد عاد إلى لبنان وفتح تجارته الخاصة واستمر بمراسلتي إلى هذا اليوم.

استغربت (منى) من تذكر والدها هذه القصة الآن، فسألته:

- غريب أن تذكرته الآن، هل حدث شيء ما؟ وما أخبار أختي (جاكلين)، أنا لم أتواصل معها قط في حياتي كلها.

- هذا هو الموضوع الذي أرغب في محادثتك عنه.

أصغت (منى) لوالدها بكل حواسها وهو يخبرها قائلاً:

- (إيليا) اتصل بي قبل يومين وأخبرني بأن ابنته (جاكلين) انفصلت عن زوجها وترغب أن تعمل في السعودية، وتعيد بناء حياتها في بلد يحمل فرصاً أوسع، خاصة في العاصمة الرياض، فخطر على بالي أن تجدي لها عملاً ولو بعقد مؤقت في الجامعة؛ لتتعرفي على أختك من الرضاعة أكثر، وتستفيدي منها، فهي متخصصة في أعمال السكرتارية، وأنت بحاجة إلى سكرتيرة تعينك في بحوثك وأعمالك، هاه ما رأيك؟

تفاجأت (منى) من الموضوع وقالت بحيرة:

- لا أدري، أنا لا أعرف عنها شيئاً، يجب أن أتواصل معها أولاً حتى أستطيع أن أوصي بها للجامعة، ولكنني متحمسة لمعرفةها، إنه لمن الغريب أن تكون لدي أخت من الرضاعة تصغرنى بعام واحد ولا أعرفها!

ابتهج والدها وقال:

- فإذاً سأعطيكي رقمها وسأتواصل معها للتواصل معك، فلا تنسي أنها تعتبر ابنتي من الرضاعة.

أحبت (منى) الفكرة بأن تتعرف على أختها من الرضاعة، وتمنت من أعماقها أن تتحابا وتكون علاقتهما طيبة.

محادثة فيديو جعلتها ترى (جاكلين) لأول مرة، كانت سمراء بشعر أسود طويل، طويلة القامة، وجهها سداسي، عيناها واسعتان، وأنفها قصير، وشفتاها سميكتان، كانت متوسطة الجمال، ولكنها مريحة الملامح، بشوشة الوجه، وقعتا في حب بعضهما بعضًا منذ اللحظة الأولى، أخذتا تتبادلان الحديث والضحكات لساعات، بينهما كاريزما غير طبيعية، كما أن اهتماماتهما متقاربة من حيث القراءة والسينما والذوق، الفرق فقط أن (منى) أنيقة للغاية وتهتم باقتناء الماركات الغالية، وتهتم ببشرتها وجمالها وصحتها، بينما (جاكلين) تعيش الحياة ببساطة ترتدي الجينز والتي شيرت، تلعب الرياضة وتحمل الأثقال ولديها ذوق رفيع ومعرفة واسعة بالأناقة والجمال كتذوق فقط، ولكن على نفسها فهي تفضل الطبيعة واللباس المريح.

أرادت (منى) أن تعيش أختها معهم في السعودية، لذا استطاعت أن تدبر لها عملاً في الجامعة بعقد لمدة ستة أشهر كسكرتيرة لديها في القسم، بالإضافة إلى أعمالها المكتبية في المنزل، وعليه جهزت لها الملحق الصغير العلوي الذي كان مؤجراً، وبما أن المستأجر خرج ستجعل أختها تعيش فيه.

كان من المقرر أن تأتي (جاكلين) بعد شهر، وفي أثناء ذلك أكملت (منى) حياتها وأدّت اختباراتها، وكلها شوق هي و(سمية) للتعرف على (جاكلين) دون أن تدري أن (جاكلين) لها ارتباط خفي هي الأخرى مع العالم الآخر.

الصيف والشتاء

تحكيها (منى)

رغم انشغالي ووضع خطط لاستقبال (جاكين) إلا أنني أكاد أقسم إنه موجود حولي...

(جَمْنون) الغالي حولي..

لا أعرف لماذا من بعد ذلك المنام، عندما أخبرني الملاك بأن (جَمْنون) لا في الجنة ولا في (النار) لعله يقصد وجوده في الدنيا؟ فإن كان توقعي صحيحًا فمعنى هذا أنه حولي.

إن كان لا يزال حيًا أفيعقل أنه تركني ورحل إلى الأبد؟ إذا أين حبه لي؟ معقول أنه نسيني؟

ضاق صدري لمجرد الفكرة، أدرك أنني الآن مليئة بالتناقضات التي أجهدت روحي وتفكيري، فإن كنت أخرجته من حياتي، فبأي حق أرغب أن يكون معي؟!

الخوف وقف بيني وبينه، ما أسوأ الخوف عندما يحرمك من متعة التجربة؛ لتكتشف الحياة بعدها، قد تحب تجربتك وقد لا تناسبك، ولكنك على الأقل جربت؛ لتفهم، لتعرف، لتتخذ القرار الصحيح.

لكن الخوف يحرمك متعة اتخاذ القرار يسيطر عليك ويشل تفكيرك، يجعلك كالدمية الحمقاء بين يديه يلعب بها كيفما أراد.

للأسف لم أكتشف هذا الشيء إلا متأخرًا، فالنضج والتجارب تساعدك على فهم

نفسك والحياة من حولك، في الماضي كنت واقعة تحت تأثير البرمجة الجماعية، الزواج والإنجاب في سن مناسبة ومبكرة، أما الجن وعالمهم فهم كالقصاص التي تُحكى لنا قبل النوم. في الوقت نفسه أدرك أن للحياة مسارها ووقتها الخاصين والمناسبين لكل مرحلة.

ما نحبه اليوم قد نكتفي منه غدًا، والذي لا نرغب به الآن قد نكتشف أننا نحبه ولم نكن نعرف، لذا خيارات الحياة واسعة، فقط علينا ألا نطلق الأحكام، ونترك الخيار واسعًا ومفتوحًا لكل الاحتمالات.

بكل أنانية أتمنى أن يكون (جَمْنون) هنا عاشقًا لي ولا يحب سواي. أدرك حجم وقاحتي وأناثيتي، فهو من حقه، بعد رفضي له، أن يجد حبًا جديدًا ويتزوج ويعيش حياته، ولكن لمجرد هذا الخاطر ينقبض قلبي ضيقًا.

ماذا أرغب بحق الله؟

ما الذي يحدث لي؟

لقد كان متوفى في ذهني منذ فترة طويلة، فلماذا الآن أتخيله حيًا؟ وفوق هذا أتعشم أنه لا يزال يحبني وحدي؟

أين عقلي ليفكر هكذا؟

أخذت أنسج خيالات: ماذا لو؟ ماذا لو كان حيًا وعاد إليك؟ ما القرار الذي تتخذه حينها؟ ماذا لو كان بالفعل قد مات وتركني وحيدة في هذه الدنيا؟

هذه الأفكار كانت تأكلني من الداخل وتنخر عظامي، مللت الابتسام بعضلات وجهي دون شعور نابع من القلب.

في ليلة ربيعية جميلة نمت مبكرًا والنسيم العليل يداعب وجهي قادمًا من نافذة

مفتوحة، رأيت نفسي أسير في بناية لا أعرفها، أبواب غرفها تشرف على الباحة الداخلية المكشوفة والتي انتشرت فيها النباتات والزهور والأشجار، كانت حديقة جميلة مبنية على النمط الدمشقي.

كنت أتجول داخلها، أفتح أبواب الغرف، أستطلع هذا المكان، فجأة وبدون سابق إنذار!

في إحدى الغرف كان هناك.. نعم هو دون أدنى شك..

خفق قلبي لمرآه، كان متخذًا هيئة إنسي لشاب وسيم يشبهه نوعًا ما، وإن كان شكله الأصلي أجمل...

شاب ممشوق القوام بجسم رياضي عضلي، ووجه جميل الملامح، وشعر كلون العسل، يصل إلى نهاية رقبته، مبعثر بطريقة تعري بأن تداعبه بأناملك، يرتدي ثوبًا ناصع البياض كالثلج.

(جَمْنون) صديقي الغائب..

خفق قلبي له، وتبعثر شعوري في كل مكان، كنت أنظر نحوه في بلاهة، وهو كان يبتسم لي برقة العالم كله.

تقدم نحوي بخطوات بطيئة وعيناه مركزتان عليّ ليسبر بهما أعماقي، كان واضحًا أنه يخشى أن أخاف منه، اقترب بحذر وقال بحنان هامس:

- (مُنيتي).

قفز قلبي من مكانه بعد أن سمعت صوته الشجي الحنون بعد غياب سنين.

قلت مرتبكة وغير مصدقة:

- (جَمْنون) (جَمْنون) هذا أنت؟ أليس كذلك؟

برقة اقترب أكثر وهمس:

- بلى.. إنه أنا حبيبك (جَمْنون).

أخذ قلبي يخفق بجنون وقلت بحيرة باكية:

- هل أنت على قيد الحياة؟

بحنان اقترب أكثر وقال بحب:

- لا تخافي أنا موجود... أنا حي.

بكيت بفرحة فاقترب مني أكثر حتى شعرت به يقف بجواري، كنت أرغب أن أحتضنه، ولكني وبكل غباء خشيت أن يحدث مس لي إن فعلت، مد لي يده، وقال بظرف وكأنه سمع أفكاري:

- إنني ألبس قفازًا كما ترين، فهل تسمحين لي أن أمسك بيدك؟

نظرت نحو يده التي تلبس قفازًا أبيض، قلت بشوق وأمل:

- إن أمسكت يدك وهي بالقفاز فلن يحدث لي مس، أليس كذلك؟

ابتسم على ظرفي أو غباي، وأخذ برقة يجاريني؛ ليطمئن قلبي:

- كذلك حبيبتي.

قالها وهو يمد يده إليّ، ابتسمت بسعادة وأمسكت يده كالطفلة التي وجدت والدها بعد أن كانت تائهة.

شعرت بدفء سرى في شراييني، أخذت أسير معه بجواره أتبعه، وأنا لا أصدق الهناء الذي أعيشه الآن.

دخلنا غرفة بها سرير كبير مزدوج، هناك وجدت أختي (سمية) تجلس في منتصفه، وصلنا عندها فإذا بي أجد نفسي أجلس بجوارها و(جَمْنون) مقابل لنا، قالت له (سمية) وهي تدافع عن أختها الصغيرة:

- أنت تحب أختي لأنها آية في الجمال أليس كذلك؟

نظر (جَمْنون) نحوها بدهشة وقال معاتبًا:

- وهل كنت سطحيًا لأهتم بشكلها دون جوهرها؟

ردت (سمية) بحيرة:

- ولكنك جني عليك أن تكون مع بني جنسك.

قال (جَمْنون) برجاء وألم:

- ألا تعرفين ما هو الحب؟ لماذا أنتم يا بني البشر لا تعرفون المعنى الحقيقي للحب؟ أنا أحبها ولا قدرة لي أن أعيش بدونها. سأموت بدونها.

سكتت (سمية) متأثرة ولم تعرف بماذا تجيب، هنا قلت له بتأثر شديد:

- ولكنك يا (جَمْنون) كجني عمرك أطول من عمري، وأنت تظل شابًا للأبد بينما أنا سأصبح أكبر منك وأشيخ.

نظر نحوي بعشق ووله وقال:

- لا لا ليس هكذا، نحن كالفصول الأربعة، إن كنت أنا الصيف فأنت الشتاء.

أطرقت رأسي بحزن وقلت:

- الشتاء بارد لا حياة فيه أي إنني سأموت وأشيخ قبلك.

هتف بحب وهو يجثو ليقترب مني وقال:

- لا لا يا عمري.. ما قصدته هو خلاف الخلق بيننا كجن وإنس، لكننا معًا نصبح ربيعًا من الحب لا ينتهي، وإن اختفت الأجساد.

نهضت (سمية) ونهضت و(جَمْنون) معًا، كنت أنظر نحوه بشوق وكلي أمل أن هذا اللقاء لا ينتهي، خرجت (سمية) من تلك الغرفة، حينها تقدم مني (جَمْنون) ووقف قبالي فأصبح الحائط خلفي، قال لي برجاء باكِ والشوق يمزقه:

- أرجوك (مُنيتي) دعيني أحتضنك، دعيني أضمك إلى صدري.

أسندت ظهري إلى الحائط وأنا وهو في الغرفة وحدنا وقلت له بارتباك:

- ..!!! لكن.. (جَمْنون) أخشى إن فعلت أن تمسني وتدخل جسدي من جديد.

بكي وقال بعشق وصدق:

- أقسم لكِ ألا أفعل، لن أمسك، أقسم.

الشوق سيطر على تفكيري؛ فإذ بي أنظر نحوه بشوق وأهمس بصوت خافت وكأني خجلة مما أسمع:

- احضني.

حينها احتضنني بلهفة ولف ذراعيه حول خصري، واعتصرني، فإذ بروحي كلها تنتفض وترتجف، وقلبي يخفق بقوة لم أشعر بها من قبل في حياتي كلها، لذا

شهقت بلهفة وقتها وأمسكت بشعره أشده للخلف، حينها نظر نحوي بلوعة
العاشق المجنون وقال باكياً:

- اقبليني.. اقبل عودتي إليك.

- هتفت بحيرة وعاتبته قائلة:

- (جَمْنون) لا تفعل ذلك وعائلتك وحياتك الحقيقية كيف تتركهما؟

جثا على قدميه وأخذ يحك رأسه كالقط في حجري مداعبًا، وبدلال قال:

- أنتِ عائلتي وحياتي ووطني.

ثم رفع رأسه نحوي بحب إذ بعينيه العاشقتين يتغير بؤبؤاهما فأصبحتا كلون
عيني النمر.

اخترقت نظراته القوية والثابتة روحي، فانفضت مستيقظة من منامي، وحرارة
حضنه لا يزال أثرها على جسمي، ونبضات قلبي تقرع كالطبول، فابتسمت بهناء
وسعادة، ضممت نفسي وهمست بفرح شديد:

- (جَمْنون) حي، أقسم إنه ليس مجرد منام، بل هو حقيقة حي.

أخذت أبكي بفرح وراحة بال وأنا أشعر بجسد يحتضني، هل (جَمْنون) يحتضني
حقيقة الآن؟

ابتسمت بحنان ودلال بابتسامة نابعة من قلبي ورغماً عني، نمت من جديد.

في اليوم التالي كنت قمة في النشاط والسعادة، رؤياه جعلتني لانتشي حبًا في
الحياة، وكأن الكون عادت إليه الحياة بعد كارثة كونية.

اتصلت على أختي (سمية) وحكيت لها كل شيء، عقبتم متسائلة:

- هل تظنين أنه فعلاً تواصل معك حقيقة؟

أخذت أخبرها بيقين:

- أقسم إنه كان حقيقة، حضنه، صوته، دفء يده، الكلمات التي نطق بها والتي تظهر حكيمته وطريقته في الحياة، غير معقول أن يكون عقلي الباطن قد صنع كل هذا! ثم إني عندما استيقظت شعرت به بجواري، ولا أخفي عليك منذ فترة وأنا أشعر بكيان لطيف يراقبني.

قالت (سمية) بحماس:

- فإذاً حديثه تكلمي معه.

أخذت أفكر ثم أخبرتها صادقة:

- أخاف

- ممّ؟

- أن لا أجد استجابة فيضيع الأمل من قلبي.

تنهدت (سمية) عبر الأثير وقالت:

- صدقيني أن تتحقق خير من العيش في الوهم.

زفرت بهم وأخذت أقلب كلماتها في ذهني، ثم أخبرتها أمراً آخر أخشاه:

- (سمية) وكيف أضمن أن لا يدخل جسدي ويمسني، أرغب به بجواري وليس كشيء خفي يسكنني دون حتى أن أنتبه لوجوده.

- اممممم.. لا أدري ولا ألوكم على مخاوفك، لكن لعله تغير أو يتقبل شروطك.

زفرت بهم مرة أخرى وقلت لها:

- لا يهم، المهم الآن أن أتحقق من وجوده.

أغلقت المحادثة ثم أخذت أتلفت حولي يا ترى أين هو؟

كنت فقدت قدرتي على رؤية العالم الآخر، ولكنني ما زلت أستطيع الإحساس بهم، لا أدري لماذا توقفت عياني على بقعة ما بجوار النافذة الكبيرة المطلة على الحديقة.

خفق قلبي، كم تمنيت أن أكون على صواب، همست بصوت مختنق:

- (جَمَنون) أهذا أنت؟ هل أنت موجود هنا؟

انتظرت وانتظرت، لا شيء سوى الصمت.

ارتبكت روجي واحترت ماذا أفعل؟

في تلك اللحظة دخل (وليد) من الخارج وأطفالي الذين كانوا في صحبته، استقبلتهم وأشغلت ذهني لأصرف نظرات السرحان التي تعتريني.

تأملات هامة

يحكيها (جَمُون)

يا إلهي كم أجهدي الشوق إليها..

يا رب السماوات والأرض، أخيرًا أدركت وجودي..

أخيرًا ضممتها إلى صدري وشعرت بروحها تتوق إلى عنائي.

هل أدركت رجائي؟

هل ستقبل بعودتي إليها؟

نعم إنها تدرك، ها هي تحدث أختها، ها هي تناديني، بماذا أجيب يا ترى؟

لكن لحظة...

زوجها وأبنائها قادمون.

في تلك اللحظة تقدم مني (شامر) وقال بجدية:

- هل تتذكر ما أمرتني به الملكة بعد أن استقررت هنا سموك ولحقت بك؟

ابتلعت ريقى بقهر وقلت بصوت متحشرج:

- وكيف لي أن أنسى؟! ولكن أليس هذا بظلم؟ كيف تمنعني من الحديث معها

وفتح عينها الثالثة؟ قد أستوعب موضوع البصيرة، لكن ألا أتكلم معها، لماذا؟

ابتسم (شامر) بذكاء وقال بثقة:

- حتى تضمن أن لا تقع الإنسية في حبك.

غاص قلبي، معه حق فهي في نظرها الجاحدة التي آذت ابنها. لذا أعاد على أوامر
أمي قائلاً:

- وقد وعدتها بمنعك، ولكن عالم الأحلام بعد أثري آخر، افعل به ما شئت لكن
مولاي أرجوك لا تتخاطر ذهنيًا وتتكلم معها كالسابق، لا تضعني في موقف محرج
مع والدتك.

كانت تمزح مع أبنائها وأخذت تقلد الشخصيات الكرتونية ليضحكوا، هذه هي
حبيبتي التي لا تشبه أحدًا، أخذت أضحك وأستمع بحركاتها دون أن أدرك تأملات
(شامر) لتعابير وجهي حتى سمعته يقول بتفهم:

- أنت حقًا تحبها حتى النخاع.

أجبت بهيام:

- وكيف لا أحبها؟ وهي تدخل القلوب بسرعة.

ابتسم مؤيدًا وقال:

- نعم معك حق.

استمررت على عادتي أراقبها، أحتضنها عندما تنام، أسمع أفكارها، وأفكر كيف
أتواصل معها بطريقة تقبلها؟

جاءت أختها من الرضاعة، وهنا أدركت أن من ستدخل حياة (مُنيتي) ليست
عادية.

أحببت ذلك، فلعل هذه الأخت ذات الحساسية يكون لها تأثير جيد على حبيبتي،
كم هما متقاربتان!

غريب القدر الذي جمع بينهما منذ الطفولة.

ماذا أرضعتهما يا سيدة (جميلة)؟ أيتها الزوهرية والمرأة العظيمة، رحمك الله.

لمسة اليد الحانية

أتت (جاكلين) وسعدت بها (منى) كثيرًا، كانت نشيطة ودقيقة في عملها، بحيث أحبها كل موظفات الجامعة وأعضاء هيئة التدريس، أحبت (منى) كون أختها تعيش فوق بيتها، بحيث تتسامران وتعملان أيضًا من مكتب منزل (منى).

كانت (جاكلين) تشعر بشعور غريب كلما دخلت منزل أختها، لم تلاحظ (منى) نظرات (جاكلين) وحيرتها. واستمرت في العمل ومجادبة الحديث والخروج معًا.

في يوم من الأيام حاولت (منى) أن تحث (جَمْنون) أن يعلن عن وجوده، فهي تكاد تقسم إنه موجود فعلاً.

كانت تشاهد التلفاز وحدها فقالت ببراءة:

- أرجوك (جَمْنون) حبًا في الله إن كنت هنا فأعطني أي إشارة على وجودك.

ترقبت (منى) بكل حواسها، أي إشارة، وهنا كانت المفاجأة، شعرت بيد توضع على كفها.

شهقت (منى) بذهول وفرحة وهي تنظر نحو كفها المفرودة فوق يد مقعدها، لم تر شيئًا، لكنها تشعر بكل وضوح وصفاء، بيد غير مرئية موضوعة على كفها، بحيث كل إصبع من (جَمْنون) فوق أصابعها، مثل طاقة كهرومغناطيسية تضغط على كفها بشعور لذيذ جعل عظامها ترتعش.

تساقطت دموعها فرحة وهمست:

- هل أتوهم أم أن هذا حقيقي؟

أبعد (جَمْنون) يده فشعرت بالفراغ وأن يدها خالية فقالت بخوف:

- هل أبعدت يدك لتثبت لي أنني غير واهمة؟ فإذا أعدها مجددًا.

ارتجفت فرحة عندما أمسك بها من جديد، أغمضت (منى) عينيها بهناء وحبور وهمست قائلة:

- الحمد لله أنت هنا، أنت هنا.. سامحني، سامحني على ما اقترفت يداي.

شعرت بيد (جَمْنون) تشد على يدها ثم يربت عليها.

شهقت وفتحت عينيها الدامعتين وقالت بتأثر:

- هل معنى هذا أنك سامحتني؟

ربت على كفها ثم شعرت بأنامله تداعب خصلات شعرها.

أخذت ترتجف من السعادة والذهول والحماس، مزيج عجيب من المشاعر اعترافها لم تعرف حتى ماذا تقول له أو تطلب؟ في داخلها كانت على يقين بأنه لن يدخل جسدها ولن يراوغها، شعور أكيد سكن قلبها لا تدري لماذا؟

صمتت وهي تستشعر جمال اللحظة، سعادة لا تستطيع التعبير عنها لوجوده حقيقة في الحياة وأنه معها.

شعرت به يتابع معها الفيلم المعروض، تذكرت الماضي عندما كان يشاركها كل فعالياتهما عندما تقرأ وترقص وتشاهد فيلمًا ما.

عندما قرعت (جاكلين) الجرس وفتحت لها الخادمة، اختفت يد (جَمْنون) ولكن عيني (منى) أخذتا تلمعان سعادة، الآن فقط تيقنت بأن من كان يحتضنها أثناء نومها ويراقبها كان بالفعل (جَمْنون).

تيقنت بأنه حقًا تواصل معها في منامها وأنه بالفعل لا يزال حيًّا.

لم تكن تعرف أتجعله يعود إلى حياتها أم تحذر.

لا تدري الصواب من الخطأ.

لا يهم.. المهم الآن أنه موجود معها في منزلها، بل وفي مقر عملها أيضًا، إذ أخذ يمسك يدها وهي هناك فعرفت بما لا يدع مجالًا للشك أن هذه طريقته ليطمئنها إلى أنه موجود ويحبها.

ولكنها كانت تشعر به من حين لآخر، شعرت بأنه يجعل بينه وبينها مسافة، والسبب واضح، لأنها إلى هذه اللحظة لم تصرح حقيقة بأنها قبلت به في حياتها، كانت حائرة ترغب به، وتخاف أن تتورط مع العالم الآخر من جديد.

ولشدة خوفها من خسارته وخوفها من اتخاذ قرار ما، صممت وتركت الأمور هكذا، الأهم أنه هنا، لا تريد التفكير أكثر، يكفيها وجوده.

ولكنه لا يقبل أن يكون مراقبًا لها من بعيد ولا يحق له إلا لمسة بين الحين والآخر. كان ينتظر بشوق أن تقبل به كما سألها من قبل في المنام، يجب أن تنطق بالقبول؛ ليستطيع العودة إليها ويواجه أهله بقرارها، إلى الآن لا يحق له أن يحارب أهله لأجلها طالما أنها لم تقبل به بشكل صريح بعد.

في إجازة نهاية الأسبوع كانت (جاكلين) تشاهد التلفاز مع (منى)، ثم طلبت منها (منى) إن لم يكن لديها مانع أن تحضر جهاز الكمبيوتر المحمول من غرفتها، ذهبت (جاكلين) وعندما عادت كان وجهها مضطربًا، ثم حسمت أمرها وقالت بصوتها الرخيم:

- حبيبتى (منى) هناك شيء لاحظته، ولكني كنت مترددة في إخبارك كي لا تتهميني بالجنون.

بحيرة قالت:

- ماذا؟ (جاكي) قولي لا تتردي.

ترددت (جاكلين) للحظة، وأخذت تفكر وهي تفرقع أصابعها، ثم حسمت أمرها وقالت ببطء وهي تركز في عيني (منى) وردات فعلها:

- اسمعيني جيدًا، أنتم المسلمين تؤمنون بوجود خلق آخر غير الإنس.. امممم أعني.. خلق آخر من عالم آخر...

فهمت (منى) قصدها، لكنها صمتت وهي تترقب باقي الحوار، ولماذا أخذ هذا المنحى؟

أكملت (جاكلين) بتوتر:

- نحن المسيحيين نؤمن بوجود الملائكة والشياطين، وأنتم بوجود الجن، كذلك بالنسبة إلي ولكل العرب المسيحيين، نؤمن كذلك بالجن، وأنا شخصيًا أصدق القصص وما يظنه البعض خرافات.

صمتت تبتلع ريقها وهي تنظر نحو (منى) تنتظر منها إشارة لتجعلها تطمئن أكثر وتكمل حديثها، هنا قالت (منى) باقتضاب:

- وأنا كذلك أوؤمن بهذا.

هنا تنهدت (جاكلين) واستطردت قائلة:

- هناك أيضًا أشخاص لديهم بصيرة.

صمتت من جديد، كانت نبضات قلب (منى) تتسارع وهي تفكر، لماذا أختها تتحدث عن الجن والبصيرة؟

زفرت (جاكلين) وقالت:

- (منى) أرجوكِ لا تظني أنني مخبولة، فأنا أستطيع أحياناً أن أراهم.

شخصت عينا (منى) وقالت بصوت متحشرج:

- ترين من؟

بحرج قالت (جاكلين):

- العالم الآخر.. تعرفين قصدي، أرى الجن والشياطين أحياناً.

سكتت وابتلعت ريقها وأخذت تتأمل (منى) وردة فعلها، ولكنها تفاجأت بصمت
(منى) وغموضها، قالت (جاكلين):

- قولي شيئاً.

تنهدت (منى) وقالت مراوغة:

- نعم هناك أشخاص يستطيعون ذلك، ولكن لماذا تخبريني بذلك؟ هل رأيت
شيئاً؟

فكرت (جاكلين) ثم سألت أختها بجدية:

- هل تسأليني لأنكِ مصدقة فعلاً، أم ترين أنني واهمة ومخبولة؟

شعرت (منى) باضطراب أختها وفهمت هذا الشعور تمامًا فقد مر عليها من قبل،
زفرت وقالت لها مطمئنة:

- لست مخبولة، أنا أصدقك تمامًا، هيا أفرغي جعبتك.

ارتاحت (جاكلين) وقالت:

- فإذًا سأخبرك، منذ أن دخلت منزلك وأنا أشعر بطاقة قوية وعظيمة فيه، خاصة إن مشيت بجوار باب غرفتك، والآن... يا إلهي كيف أصف ذلك؟

ححتها (منى) أن تكمل حديثها وكلها فضول لمعرفة ما الذي رأته:

- هيا (جاكي) بالله عليك أكلمي لا تخافي.

حسمت (جاكلين) أمرها وقالت:

- عندما دخلت غرفتك رأيت شابًا وسيماً ممددًا على سريرك.

انتفضت (منى) وأدركت من الذي رأته (جاكلين)، قالت لها بدهول:

- هل رأيته؟

فغرت أختها فمها وقالت بدهشة:

- هل تعرفين عنه؟

"تبًا لزلة لساني!" هذا ما قالته (منى) في نفسها، حاولت أن تراوغ، قالت:

- أقصد أنك رأيت جنينًا، صفه لي.

- نعم رأيته، ممددًا على سريرك في الجهة التي تنامين فيها، يضع ذراعيه خلف رأسه، شاب لم تر عيناى أجمل منه، كأنه رسمة من رسوم الإنمي اليابانية، يرتدي بنطال جينز وقميصًا حريميًا أزرق، له هيبة لم أر مثلها من قبل؛ لدرجة أنه اقشعر بدني من رأسي لأخمص قدمي رغم جماله، ولكنه مهيب، خفت كثيرًا وهولت قادمة نحوك ولم أتمالك نفسي أن أخفي الموضوع عليك، والحمد لله أنك

صدقتنى.

كان قلب (منى) ينبض بقوة وهي تشعر بالغبطة من (جاكلين) التي أكرم الله عينيها فرأت (جَمْنون) الغالي.

تأملتها (جاكلين) بعمق وأخذت تتأمل عينيها اللامعتين، وشعرت بأن (منى) تخفي أمرًا ما، إذ يبدو أنها مثلها لها حكايات خفية مع عالم الجن الغريب.

- (جاي) هل رأيت ذلك الشاب الجني مرة أخرى؟

تنهدت وقالت بحزم:

- لا.. ولكنني أشعر بوجوده، وأحيانًا أرى طيفه يحوم حولك، (منى) لنكن صريحتين، ذلك الجني يقف دائمًا بقربك، بقرب من باب الغرفة التي تكونين موجودة بها، إنه يتبعك حتى في الجامعة، أنا لم أره بوضوح إلا تلك المرة، ولكنه ليس شرييرًا، رغم قوته المخيفة، إلا أن هالته ينبعث منها حب كبير لك.

ابتلعت ريقى وقلت بصوت مختنق:

- هل تشعرين بهالته؟

زفرت بحدة وقالت:

- أشياء كثيرة أستشعرها، أنتِ لم تعرفيني بعد، ولعلمك أمي تقرأ الفأل.

سألتها بحيرة:

- ما قصدك بالفأل؟ أي البخت؟

أجابت بتردد:

- تقرأ الفنجان والتاروت وما تشعر به يحدث دومًا.

أجبتها:

- أنا لا أرفض شيئًا حتى أختبر صحته من عدمها، أصدقك القول أنا أيضًا مستبصرة وأرى رؤى تتحقق دائمًا.

فرحت (جاي) وتحمست بأن تكون أكثر صراحة معي فقالت بحماس:

- أصدقك القول أنتِ مختلفة عن الناس، منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها عرفت ذلك، وهذا الجني الذي يتبعك إحساسي يقول إنه الخير لك، وكأنكما الشخص نفسه، عندما أراه حولك أشعر بك مستقرة نفسيًا، وكأن هالتكما معًا تصنع المستحيل، ومن دونه أجذك مضطربة.

ارتجفت من أعماقي، إذ هالني شعورها وبصيرتها النافذة، وكلامها الذي هزني.

ما معنى أننا هالة ونفس واحدة أيها الغالي (جَمْنون) من أنت بالفعل؟ أجنبي عاشق كأغلب القصص، أم عقد مميز بين روحي وروحك؟

سألتها راغبة حقًا بالإفادة:

- لو افترضنا أن حديثك حقيقة وشعورك صحيح، فبماذا تنصحيني؟

بعزم أجابت:

- أن تكوني معه، وسترين كيف تتغير حياتك بالكامل إلى الأفضل.

قلت بتوتر:

- أنا حياتي ممتازة.

ابتسمت بسخرية وقالت صادقة:

- (منى) حبيبتي، ممتازة حياتك نعم من الخارج، الإطار العام للحياة المعتادة، ولكن روحك فاقدة شيئًا مهمًا، لعل لديك قصة لم تكتمل بعد؛ لذا أنتِ تائهة ولم تجدي سعادتك وروحك الحقيقية.

صمتت أقلب كلامها في عقلي، وقلبي يدرك يقينًا أنها على حق، وقد عرفت داخلي أكثر من أي شخص آخر قابله ما عدا (جَمْنون).

نظرت نحوي بحب وتفهم وقالت:

- في اليوم المناسب ستشاركيني قصتك.

كنت تائهة في أفكارى فطأطأت رأسى بالإيجاب، وبهذا أعطيتها تلميحا بأنها على حق.

(5)

انعكاس على المرآة قد يريك حقيقة الأشياء من بُعد
خفي، قد نلتمس الحقيقة.

الدفء..

كل الدفء.

المرأة

تحكيها (منى)

عندما أحببت (وليد) كان (جَمْنون) معي فكنت أشعر بالكمال، لم أنتبه لنقص شعوري الداخلي تجاه (وليد) حتى مات (جَمْنون)، عندما اختفى من حياتي صدمتني الفجوة العميقة التي خلفها في قلبي، وعرفت أن كمية الأمان التي كانت في قلبي كان سببها وجوده، ومن بعده ما في قلبي هو حب هادئ ومودة ورحمة ل (وليد)، ولكن أين شعور الحب الذي ظننته في السابق؟! كنت مراهقة ترغب أن تعيش قصة حب مع شاب إنسي لطيف.

حتى عندما حسبت أن (جَمْنون) خرج من جسدي، كان يكفيني إحساسي أنه موجود في الحياة، ولكن الواقع هو أنه كان لا يزال في جسدي، ولكن من بعد أن أخرجه ولم يعد معي شعرت بالفراغ وأن قلبي خال، كدت أجن، ولم أفهم ما بي، عانيت كثيرًا وحدي، وكنت أحتفظ بوجعي لنفسي ولا أبوح به لأحد، مضت بي الأيام مريرة، وأنا أبتسم بدون روح، والآن قد عاد وعادت معه روحي، ما أجمل وجوده حولي، شعور اعتزاز الأنثى وغرورها يغمرني لأنه يعشقني أنا.

كنت مدعوة لزفاف أخت (صديقتي) فزينت وارتديت ثوبًا فرنسيًا من الدانتيل سكري اللون، خصلات شعري الذهبية كانت (كيرلي) تتهدى على أكتافي العارية وتسريحة شعري شبه المرفوع يزينها إكسسوار من اللؤلؤ زاد شعري جمالًا، أحببت أن أصور نفسي قبل أن أذهب إلى الزفاف.

وقفت أمام المرأة الكبيرة على الجدار التي تقابلها مرآة منضدة الزينة، قاصدةً أن أصور نفسي في المرآة بشكل أمامي وخلفي كصورة بانورامية. وبالفعل اتخذت وضعية ممتازة وأشرت بالكاميرا نحو المرآة والتقطت أجمل الصور.

بعد ذلك ذهبت إلى الزفاف واستمتعت ورقصت، وعندما عدت إلى المنزل وأبدلت ملابسني وأمضيت وقتًا خاصًا مع (وليد) تحممت وارتديت بيجامتي واستلقيت على سريري لأنام، أخذت أشاهد الصور التي التقطتها، وهنا أدهشني ما رأيت!

لم أصدق عيني، فأخذت أكبر الصورة وأتأملها جيدًا، يا رب السماوات هل هذا حقيقة؟!

كنت أرى صورتي الأمامية منعكسة على المرآة الكبيرة، وفي المرآة الأصغر أرى خلفيتي التي أيضًا تعكس الممر الذي يقود إلى غرفة ملابسني، وهناك في المرآة انعكاس لخزانة الملابس من بعيد كان بجوارها ظل أبيض بشعر أسود يمثل رجلًا وسيماً غير واضح المعالم، كبرت الصورة أكثر وأكثر وقلبي ينبض بشدة، حتى تيقنت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا الخيال التقطته الكاميرا مصادفةً ل (جَمُنون).

لم أتمالك نفسي، صرت أهتف بفرحة:

- (جَمُنون) (جَمُنون) هذا أنت؟ هذا أنت؟

اتصلت مباشرة على (سمية) عندما أجابتي قلت بلهفة:

- افتحي تطبيق الواتساب وانظري إلى الصورة التي سأبعثها إليك.

استجابت على الفور، وعندما رأت الصورة أخذت تثني على جمالي، قاطعتها بلهفة:

- (سمية) ركزي في المرآة التي خلفي، ركزي جيدًا في الانعكاس، ماذا ترين؟

أخذت أختي تتأمل الصورة وتقول:

- أممم تسريحة شعرك من الخلف، أيضًا أرى زجاجة عطرك التي على المنضدة منعكسة في المرآة، هاه أرى مدخل غرفة ثيابك و، هاه... لحظة ما هذا؟!

هتفت بحماس:

- نعم ماذا رأيت؟

صرخت بدهشة:

- (منى) أرى خيالًا كالشبح.

- صحيح ركزي أكثر، أنا لست واهمة، أنتِ أيضًا ترينه صحيح؟

- نعم نعم، إنه خيال أبيض كالضوء، ثم هناك خيال أسود كالشعر وملامح خفيفة، الله إنه جميل هل... ماذا؟ لا... لا تقولي... أيعقل هذا؟ هل هو من أحسبه؟ هل هو (جَمُنون)؟

هتفت بنصر:

- نعم نعم، إنه هو، إنه يشبهه ومن غيره؟

خفق قلب أختي فهي أول مرة تراه، حتى لو كان كالوهم البعيد، هاتفة بفرحة وقالت:

- الله إنه هو أخي (جَمُنون)، لا أصدق عيني، (منى) حادثيه اسألينه هل هو حقًا؟

هتفت برجاء:

- (جَمُنون) يا صديقي هل هذا أنت؟ إن كان أنت حقًا فاضغط على كفي.

ترقبت بلهفة فإذا بي أشعر بلمسته الناعمة على يدي ثم ضغطه عليها، قفزت

بحماس وقلبي يخفق فرحة وقلت:

- نعم (سمية) إنه هو.

كانت مكالمة مفعمة بالحماس أن ترى انعكاسًا في المرأة لشخص من العالم الآخر؛ هو أمر عجيب! فما بالكم بأن يكون هذا الشخص صديقي الغالي (جَمُنون)؟

أنهيت المكالمة فرحة واتخذت وضعية النوم وأنا أهمس له قائلة:

- ما أجمل أن تراك عينا في المرأة مرة أخرى، لا أستطيع سماع صوتك ورؤيتك الآن، ولكن هذه المرأة أرتني وجهك العذب، ونظرات عينيك العاشقتين كانت واضحة، فالحب في روحك ينطق حتى إن كانت الصورة غائمة.

ابتسمت بهناءة ونمت هانئة بين أحضانه الدافئة.

استيقظت على أغنية (خالد عبد الرحمن):

صديقي قلبي يحكي لك حقيقة
صديقي ما أرى غيرك ملاك
ولأجل وصلك باتخذ أي طريقة
ما أبالي لو طريقي لك هلاك

اهتز قلبي وخفق بشدة، إنها نفسها الأغنية التي أسمعني إياها (جَمُنون) عندما كنت في (جدة) في بداية سنوات المراهقة.

جلست أبحث عن مصدر الأغنية ويا للدهشة! كان مصدرها قادمًا من هاتفي المحمول، تلقّت حولي بسرعة باحثة عن الفاعل وأكيد لا أحد، فهو (جَمُنون) لا شك في ذلك.

كالطفلة ضمنت مخدتي وأخذت أدفن وجهي فيها وأصرخ بسعادة وفرحة،
وقدماي تضريران السرير بحماس الطفلة الفرحة بسماع أجمل خبر في حياتها.

أبعدت المخدة عن وجهي ورميتها جانبًا وأخذت هاتفني المحمول وأنا أشعر
بوجوده جوارى، فقلت بقلب مختلج:

- إذا اسمع المقطع القادم من الأغنية نفسها فهو لسان حالي.

شغلت الأغنية ليكمل (خالد عبد الرحمن) بصوته الشجي:

- بعدك ولا غيابك على نفسي ما أطيعه

كيف أجاهد روح تشقى من غلاك

شعرت برعشة جسمي قادمة منه، شعرت به يرتجف فرحة وتأثرًا، دغدغت قلبي
المشاعر وبحماس أسمعته مقطوعًا للأغنية نابغًا من قلبي:

- روجي تنادي لك بصرخة غريقة

يا مغرقها ليش عيني ما تراك

ابتسمت ونظرت نحوه في المكان الذي أتوقع أنه جالس فيه، وقلت له وأنا أنظر
إلى الفضاء:

- يا مغرقها ليش عيني ما تراك؟

لا إجابة، تجرعت صمته في مرارة وأطرقت برأسي وهمست بحزن:

- لا ألوّمك فأنا من اعتدى عليك وأقفل باب التواصل.

رفعت رأسي وعيناي مغرورقتان بالدموع وقلت بأمل:

- ولكني واثقة أن الباب ستفتحه لي يومًا ما، يكفيني وجودك بجانبني، وكم أنا سعيدة بهذه الأغنية فرحة بتواصلك معي، صدقني لقد صنعت يومي.

ابتسمت فرحة وبدأت يومي بطاقة ونشاط وسعادة.

الصمت القاتل

يحكيها (جَمُون)

إنها ترغب بي، هذا واضح.

جسدي وقلبي، بل روحي ترتعش فرحة لمشاعرها، ولكنها إلى الآن لم تنطق بالكلمة التي أحتاجها، الحجة والحل اللذين سيفتحان أماي الطريق، يجب أن تقول بالحرف الواحد، إنها تقبل أن أعود إليها، وسأكون عند شروطها.

كنت حرفياً أعيش معها، أراقبها من بعيد، أقترب منها عندما تطلب أن أمسك يدها، وعندما تنام أضمها بين ذراعي وأنا مبهناهة، لا تزال ملتزمة بالتحصين، ولكنه لم يعد يؤثر بي؛ لأنها لا تنوي محاربتني؛ لذا لا يؤثر بي، بعكس ما لو كانت نيتها التحصين ضدي فحينها سيؤلمني.

أخذ والدي يرسل الرسائل إليّ يأمرني بالعودة، وأحياناً يرسل رجاله لإقناعي. لم أجب على رسائله ولم أقبل بمقابلة رجاله، انتهت تلك المرحلة التي يجبروني فيها على تركها، ويعاقبونني، شرحت لهم، رجوتهم، مرضت عندهم كمداً على فراقها، ولا يزالون يرفضونها، مللت هذه الحياة التي لا أملك فيها قرار حبي وارتباطي، والآن يجبروني على خطيبة لا أريدها! ألم يكفهم (جنياه) التي عدّوها خطيبتي دون أخذ رأيي؟ فقط للمصلحة العامة، وكأن الأمراء لا مشاعر لهم.

ثم ما بها (منى)؟ لأنها إنسية؟! وهل الحب يميز؟ فإن كان من المهم لهم أن تكون الدماء النقية والأصول الرفيعة؛ فهي في عالم الإنس كذلك، دماؤها نقية وعائلتها عريقة وجذورها طيبة، هل فقط لأنها إنسية؟! وكأني الجنى الوحيد في العالم الذي

عشق إنسية! فوالله إنهم كثر، قد تزوجوا وأنجبوا، بعضهم برضا الطرفين وبعضهم لا.

وأنا لن أكون ممن يجبرها ويغضبها على شيء لا تريده، فأنا أدرك وعلى يقين بأنها خلقت من أجلي وخلقت لأجلها.

قررت حبيبي وعائلتها الصغيرة السفر إلى مدينة (جدة) تلك المدينة التي تحبها معشوقتي فأحببتها بالمثل، هل سأعود معها إلى غرفتها هناك وذكرياتنا هناك؟

تلك الذكريات التي نسجتها معها في الخفاء وهي تحسب أنني خرجت منها، تلك الروايات التي قرأناها معًا، وتلك الأفلام التي شاهدناها معًا، وبرفقة صديقاتها، شاركتهما ضحكاتها ورقصاتهما، كم كانت سعيدة ومشرقة ودفء والديها يحيطها بالحب، والآن كيف سيكون المنزل بدون والدتها الحنون، كم كنت أحب السيدة (جميلة) وأقدرها، فهي التي أنجبت حبيبي.

كانت رحلة جميلة وحميمة، في ذلك البيت الذي لا يزال يعبق برائحة الماضي، كان قلبي يخفق بشدة وأنا أراها تضحك مع أسرته وكيف يحتضن والدها أبناءها، كان سعيدًا بأحفاده.

أخذت أتأمل هذه العائلة التي منذ أول يوم لهم في بيت (أبها) وأنا أحبهم؛ لأني أحببت ابنتهم، كنت أعتبرهم بمثابة أسرتي الثانية، حاربت لكي أمتع عنهم الأذى، ولكن (شياط) تسلط عليهم، ولأني وقتها كنت أصغر سنًا لم أحهمهم كما كان ينبغي بي أن أفعل، وأسرتي لم تكن لتدعمني، ولكن الآن كل شيء تغير، فأني أقسم أن لن يمسهم السوء أبدًا.

(سمية) التي تناديني بأخي و(مُنيتي) تتحدثان عني بشغف ودهشة، كنت أستمع إلى حديثهما وأضحك، كانت (سمية) تطلب بالبحاح أن أمسك يدها كما أفعل مع (مُنيتي). قالت لها (مُنيتي):

- إنه يمسك بكفي أنا، ولكن أنتِ لماذا؟!

ضحكت (سمية) وقالت بخبث:

- ماذا؟ أتغارين عليه؟

دافعت حبيبي بخجل وارتباك:

- لا لا ما هذا السخف؟! (جَمُنون) أمممكن أن تمسك بيد هذه المخبولة؟ لتقتنع بأنك حقًا موجود.

يا إلهي ما أطفها! إنها تستأذني! لا تدرك أنها قادرة على أن تأمرني وأني لها عبد مطيع.

شعرت (سمية) بهواء ساخن على كفها فقالت بحماس:

- (منى) (منى) لقد شعرت به! اسأليه هل يتذكر الماضي بحذافيره؟

نعم أتذكر كل لفطة وهمسة وكل ثانية ولحظة، نظرت (مُنيتي) نحوها وأجابت بإحباط:

- لم يعد يحدثني كالسابق.

كم آلمتني نبرة الإحباط في صوتها، ونظرة عينيها البندقيتين، تجرعت مرارة وضعي الذي لا يسمح لي بالتواصل معها، قطع علينا تلك اللحظة أختها (عبير) التي استدعتهما للعشاء.

وليمة تشبه في صنعها ما كانت تطبخه لهم السيدة (جميلة) -رحمها الله - ف (عبير) تعلمت منها فنون الطبخ.

كنت أشاهدهم في صمت حين مد لي وصيفي كأس عصير بارد وقال بأدب جم:
- مولاي أعرف كم مشاعرك متضاربة، ولكن ثق بأن كل شيء سيكون على ما يرام.
تنهدت بمرارة وأنا أعاني، كم أعاني، فأمامي معركة أمام أكبر قبائل الجن، بل مملكة
عظيمة سأحكمها يومًا ما.

عادت حبيبتي لبيتها بالرياض، وعدت معها أراقبها، أحبها أحميها، أنتظر اللحظة
التي تنطق فيها بقبولي في حياتها حتى شعرت بشيء عظيم حصل معها في ليلة ما
وهي نائمة؛ فاختبأت من هذا الحضور العظيم الذي فاجأني!

زيارة غير متوقعة

(تحكيها منى)

كان الجو شديد الحرارة مما جعلني أتقلب في سريري محاولة النوم. لم أكن أشعر بـ (جَمْنون) جوارى، تعجبت لماذا؟! ولأننا غبنا عن المنزل فترة طويلة؛ فالتبريد لم يستطع أن يخفي حرارة الصيف التي أشبعت المنزل في غيابنا، كنت أرتدي قميص نوم خفيفاً وأتقلب في مضجعي وقلبت موضع وسادتي عكس الاتجاه أي وضعتها عند موضع قديمي عل البرودة تصل إليّ، وبالفعل بعض الوقت والنوم يزورني، ولكن الغريب أن زائراً آخر قد أتى معه، وأنا في غرفتي وعلى فراشي بالمقلوب رأيت رجلاً شيخاً يرتدي الزي السعودي، له لحية بيضاء وأمارات الهيبة والاحترام على محياه، صدمت رجل شيخ في غرفتي! يقف بجوار سريري! جلست بحيرة وأنا أنظر إليه، فسمعتة يقول لي بعتاب:

- أين ولدي يا ابنتي؟

في تلك اللحظة أدركت من هو فقلت بحيرة:

- ج... ج... جَمْنون؟ أتقصد (جَمْنون)؟

زفر بحرقة وقال وهو يفرد ذراعيه:

- قصدك نور عيني (منون). أين هو؟ أعيدي إلي ابني.

انتفضت وأنا أرى بعين الخيال فتيات كثيراً يتوسطهن رجل واحد. في لحظة إدراك عرفت أن والد (جَمْنون) يبحث عن ابنه الذكر الوحيد بين الإناث وهو ولي عهده. تلعثت وشعرت بالخجل منه، لكن قبل أن أجيبه كان قد اختفى واذ بالغرفة

تختفي؛ لأجد نفسي في ساحة واسعة تقف فيها سيارة جيب سوداء وخلفها مبنى ضخم، ومن خلف السيارة تبدى لي رأس (جَمْنون) ينظر إلى نقطة خلفي، بيتسم ويختبي فعرفت أنه مختبي من والده، تقدمت منه قائلة بلوم:

- (جَمْنون) حبًا لله كلم والدك، واجهه إنه يبحث عنك.

توقف ونظر إلي بوجهه الجميل وانطلق كالسهم ليقف خلفي فشعرت بأنه مشرف علي بقامته الطويلة وعضلاته المفتولة، وأخذ يدفعني برفق لأتقدم في مسيري تجاه ذلك المبنى الكبير، والذي اتضح لي أنه متحف في، عدة أشخاص ذكور وإناث ينظرون نحوه بهيبة وخوف، أذهلني كيف أن الجميع يخافونه بينما هو معي بقمة الرقة! همس لي ونحن ندخل المتحف واللوحات العظيمة والتحف الخلابة تظهر لي:

- انظري حولك، سأجعل العالم وكنوزه بين يديك.

انتفضت لأجد نفسي غارقة في عرقي على فراشي، كان قلبي ينبض بشدة، وعقلي لم يستوعب الذي حصل! هل كان والد (جَمْنون) حقًا هنا؟ ملك عظيم جاء غرفتي! ولكن كيف؟ لو كان دخل المنزل حقًا لكان وجد ابنه. يبدو أن هذا لقاء في بعد معين فاصل بين الواقع وعالم الأحلام، عقلي يحاول أن يستوعب، ولكن العقل البشري له حدوده؛ لذا أهملت الكيفية وركزت على المعنى والمغزى.

ألهذا الحد (جَمْنون) يحبني؟ أترك أهله الذين هم في حاجة إليه ليبقى معي؟ ارتجفت من هيبة الرجل الذي زارني، والذي كان واضحًا أنه اتخذ هيئة بشرية، وارتدى الزي الوطني من عالم الإنس ومن بلادي لكيبلا يخيفني، ولكنني استشعرت قوة كبيرة فيه، كيف لم يعاقبني؟ في لحظة وعي أدركت أن (جَمْنون) كان بإمكانه أن يعاقبني وينتقم من رفضي وإيذائي له، ولكنه لم يفعل.

ارتجفت وسقطت الدموع من عيني، كيف عائلته القوية لم تنتقم مني؟ ألهذا

الحد يحبني؟ فتجرع جرح كرامته وعاد إلي.

كم أكبرته في نفسي وقدرته أكثر، كم علا شأنه وارتفعت قيمته في عيني.

جني آخر كان انتقم مني وأصابني بالجنون، أو اختطفني عنوة، أو قتل زوجي (وليد) ولكنه لم يفعل، رغم قدرته على ذلك لم يفعل! أي حب ونبل هذان اللذان لديك يا (جَمْنون).

في تلك اللحظة اتخذت قراري وبكل شوق وحسم قلت:

- (جَمْنون) إن كنت تسمعي فأنا أرغب بأن تعود في حياتي، ولكن على شرط.

لحظة صمت وترقب عمّت المكان وأنا أشعر بكهرباء تسري في جسدي دليل حضوره أكملت بحسم قائلة:

- ألا تصيبني بالمس، لا تدخل جسدي وتمسني أبدًا دون إذن مني، إن كنت موافقًا على شرطي وتعهديني على ذلك، فالمس كفي واضغط عليها.

بترقب لاختياره الذي لم يأخذ ثواني فاذا بي أشعر بيده تضغط على كفي بقوة عدة مرات؛ ليؤكد موافقته وقبوله بشرطي. انتفضت وقتها فرحة ممتنة وبدهشة! فصديقي الذي رفض الخروج من جسدي مرارًا لم يعد لي فحسب، بل إنه لم ينتقم! وأيضًا تنازل ورضي بشرطي؛ لأجل حبه لي ولكي نظل معًا.

أغمضت عيني بسعادة وابتسمت له وقلت بيقين:

- أنا أثق بك، وفخور بوجودك في حياتي، أنت حبيب عظيم.

- نعم يا منيتي أنا حبيبك وأنت حبيبتي.

انتفضت في ذهول إذ سمعت صوته ناعمًا عاشقًا في أدنى لأول مرة وليس تخاطرًا،

بل لأول مرة بعد غياب سنين! قفرت جالسة وقلت بلطف:

- أخيرًا كلمتني، أنا لا أحلم.

ولكن لم يجبني غير الصمت لم أفهم، هزرت رأسي وقلت بحيرة ولطف:

- لا بأس لا بأس لن أجبرك على شيء، يكفيني أنك عدت إليّ وسمعت صوتك،
والآن أنا بين ذراعيك؟

استلقيت على جانبي بدلال وهمست بلهفة:

- ضمني أرغب أن أنام في حضنك.

شعرت بهالته القوية تحتضني، فابتسمت برقة وسعادة كطفلة تنام بين ذراعي أمها، وحينها بدأ النوم يتسلل، وأنا أشعر بجسدي وكأنه مغلف داخل غمامة بيضاء تطفو بي، شعور أعجز عن وصفه، لم أعد أشعر بالفراش تحتي، فنمت قريبة العين سعيدة وأنا أدرك يقينًا أن مرحلة جديدة ستبدأ بيبي وبين (جَمُنُون) العفريت العاشق.

على حراس الملكة

(يحكيها جَمُون)

يا رب السماوات والأرض، أي تفضل تفضلت به عليّ؟ أخيراً (منيّتي) ونور قلبي نطقت بقبولي! والرب لأكون لها العاشق الحامي؛ وإني لشرطها وما عاهدتها عليه لملتزم وعازم.

أيعرف والذي أنه بزيارته لها قد حقق غرضًا يخالف ما أراد؟ كان يرغب أن تبعدني عنها لأعود لهم، فقد أدرك والذي أنها امرأة محترمة لن تفرق بين ابن وأهله؛ لذا ذهب إليها عندما يئس مني، ولكن بدلاً من ذلك قبلت (منيّتي) بي، وذلك لأنها رأت بعداً آخر أبعد مما أرادوه، عرفت قيمتي أكثر من قبل، إنها لا تدرك أنني أسمع صوت أفكارها دون أن تنطق بها، والآن عدنا بعضنا إلى بعض وراضٍ بشروطها.

لم يأتِ والذي بنفسه هنا، بل إنه أرسل جسمه الأثيري ليقابلها، لذا اختبأت حتى لا يقابلني ويضغط عليّ، فأنا أحبه ولا أعصي له أمراً، ولكنه قسا عليّ ولم يقبل كل أسبابي.

والآن أنا معها ملازم لها، لن أراقبها من بعيد فقط وأقترب منها على خطأ حثيثة؛ بل سأكون ملتصقاً بها، هالتها تمتزج بهالتي، وأنفاسها تختلط بأنفاسي، فأنا وهي قد خلقنا من روح واحدة، والآن وقت التحامها.

كنت أعيش معها أجمل اللحظات نشاهد المسلسلات معاً، تناقشني في كل شيء، وتضحك وتعبر وتساءل رغم أنني لا أجيبها، أسمع تفكيرها ولكنها تترجم فكرها إلى حوارات دون رد مني غير لمس يدها، إلا أن هالتها ترتجف من رجفة جسمي وانفعالي، تشعر بي إن شعرت بضيق أو فرح، اكتفت حبيبتي بهذا القدر، وهي

تستغرب لماذا لا أحاورها كالماضي؟ بل لماذا نطقت معها مرة واحدة وسكتت بعدها؟ لقد كانت زلة انفعال مني عندما قبلت بي أخيراً، وبعدها أمسكت لساني وخرست، فأنا لن أحاورها إلا في الوقت المناسب حتى لا أخالف أوامر والدتي.

مرت الأيام سعيدة حتى حصل أمر غريب، قدم إلى منزل حبيبي مجموعة حراس وجنود جدد لم أطلبهم ولست في حاجة إليهم، قال حارسي:

- مولاي هؤلاء جنود أرسلتهم الملكة لخدمتك ولم أستطع ردهم ومخالفة أوامر الملكة.

تعجبت من هذا! ولم أشعر بالراحة، فما الغرض الذي تخفيه أمي من خلف إرسال بعض حرسها الشخصي لي؟ هل ترغب أن يتجسسوا علينا أنا وحبيبي؟ شعرت بالغضب، ولكني تجرعتة في صمت، فأمر أمي الملكة مطاع. طلبت منهم عدم الاقتراب مني؛ فليتخذوا مواقعهم على بعد؛ فحارسي يكفونني.

كانوا يتأملون (منيتي) في دهشة، إذ بهرهم جمالها وهالتها المشرقة والضوء الذي يشع منها، فنحن الجن نراه، بينما البشر لا يرونه؛ إلا قلة من يملكون بصيرة قوية، ورغم ذلك كانت نظراتهم لها خاطفة ثم يطرقون برؤوسهم نحو الأرض، فممنوع عليهم أن يتأملوا حبيبي رغم أنني شعرت ببعض السخرية من بعضهم، وكأن لسان حالهم يقول: «لن تكون إنسية ملكة علينا».

إلا أنني أعلم ما لا يعلمون، وأرى ما لا يرون، وأنظر أبعد مما ينظرون.

هجوم خفي

كانت الأيام تمضي هادئة جميلة، كانت (منى) تحتسي قهوتها السوداء وهي تشاهد الحديقة الخضراء من زجاج شرفة منزلها في مدينة (الرياض) عاصمة المملكة العربية السعودية. بهجة الحياة اكتملت فهي امرأة ناجحة، ولديها زوج ناجح ومحب، أطفالها لطفاء، والنعم تحيط بها، وعلى رأس هذه النعم عودة صديق طفولتها وسنوات مراهقتها (جَمْنون).

حط على حاجز الشرفة طائر غريب الشكل، تأملته بدهشة وأرادت أن تلتقط له صورة على هاتفها المحمول. نظر نحوها الطائر نظرة شعرت بها تخترق صدرها. قبضت بيد على الهاتف، ويد وضعتها على قلبها وهي تشعر بضيق شديد، التقطت الصورة فطار الطائر وبقيت (منى) وحدها تحاول استيعاب ما مر بها من شعور مقيت. أكملت قهوتها وهي تحمل بين يديها كتاب (ID شخصيتك) للكاتبة د. ناديا الشهري، كانت تنهل من بحر العلم لتطور نفسها.

في ساعات الليل المتأخرة كانت تستلقي على سريرها مع (وليد) يتبادلان الحديث والمزاح، فجأة رأته يجلس على حافة السرير مولياً ظهره لهما، إنه (جَمْنون) في لمحة سريعة لا تتجاوز الثانية، رأته أخيراً يرتدي رداء أبيض، ومن جانب وجهه لاحظت كأنه يتعمد ألا يتدخل ويجعلهما يتصرفان بحرية، هكذا شعرت. ابتسمت ابتسامة عريضة أنستها الموقف الغريب الذي مرت به عصرًا.

في اليوم التالي قررت مع (وليد) أن يسافرا إلى (دبي)، كانا متحمسين ويختاران الفندق، والأطفال متحمسون لقضاء إجازة الصيف على شواطئ جزيرة النخلة. رغم كل هذه الترتيبات والحياة الجميلة؛ إلا أنها أخذت تشعر بضيق لا معنى له. أخذت أفكار شيطانية تتسرب إلى رأسها وقلبها.

- ما هي الحياة وما نفعها؟

- كيف الحب ولماذا نحب؟ شعور مبتذل ومقرف.

انتفضت عند هذه النقطة ووضعت يدها على قلبها، وزفرت بحرقة وقالت
مصدومة:

- ما هذا الشعور السيئ؟ أعود بالله من الشيطان، لا بد أنها وسوسة شيطان
رجيم.

كان (جَمْنون) يراقبها وينصت إلى صوت أفكارها فغار قلبه، ما هذا؟ متسائلاً وهو
يشعر بأن هناك لعبة شيطانية تحاك في الخفاء لا يدري عنها.

كانت الخادمة ترتب الحقائب و(منى) متحمسة لهذه الإجازة، كانت تحدث
(جَمْنون) بصوت مسموع رغم أن لا جواب يأتيها منه، ولكن مجرد أنه يسمعها
كان ذلك يسلي قلبها، أخذت تقول بحماس:

- هل ذهبت يا صديقي من قبل إلى (ديي)؟ إنها مدينة ساحرة تشعر فيها براحة
وسلام غريبين، سعيدة بأنك معي، أنت قادم معي بالتأكيد، وسنسبح في البحر
معاً، اسمع سبحنا من قبل في البحر الأحمر أما الآن فسنسبح في الخليج العربي.

كان يتأملها بعدوبة، قسمات وجهها، تقطيب حاجبيها، وعندما تنسى شيئاً تشتم
نفسها، كان يقول: «لا لا تشتمي نفسك.» ولكنها لا تسمعه.

سافرت مع عائلتها إلى (ديي) وكانت وجهتهم جزيرة النخلة، تحديداً فندق
(أتلانتس)، سكنوا في الجناح التنفيذي الذي كان فخماً جداً بحجم شقة كاملة
وشرفة واسعة تطل على المسابح والبحر الصافي الأزرق، كانت في قمة سعادتها،
ولكن أفكاراً غريبةً تخطر فجأةً على بالها بدون مقدمات!

- لماذا نشعر؟ وهل الحياة تستحق أن نحياها؟ أليس من الأفضل لو كنا جمادًا؟

نفضت رأسها فجأة من هذه الأفكار المقرفة وغير المنطقية، أخذت تسبح مع زوجها وأطفالها الثلاثة في المسبح الكبير، الذي من حافته تشاهد البحر، وأصداف المحار العملاقة التي تحيط بالمسبح تنزل منها المياه فتسقط كالشلال، اتكأت على حافة المسبح وهي تتأمل هذا الجمال، فشعرت بـ (وليد) يسبح بجوارها فأخذ يتأمل معها البحر وقالت:

- ما رأيك يا جميلي أن نسترخي على الشاطئ بعد أن ينتهي الأطفال من السباحة؟
سألته:

- ستمنع السباحة في البحر بعد مغيب الشمس أليس كذلك؟

- بلى، لذا لنسترخ فقط على الشاطئ، قبل أن نذهب إلى المطعم.

أحبت الفكرة، وبالفعل بعد أن انتهوا من السباحة واتجه أطفالها مع الخادمة لجناحهم، اتجهت مع زوجها واستلقيا على الكراسي الطويلة وأخذتا يتأملان القمر والنجوم، وصوت أمواج البحر يخدر المشاعر، لذا نامت (منى) وكانت غفوة لذيذة، فجأة! فتحت عينيها ببطء فرأت قاربًا خشبيًا طويلًا يجلس فيه أربعة رجال يجدفون بمجاديف خشبية، لم يستوعب عقلها في سكون الليل، قارب قديم يجدف فيه رجال وكأنهم في سباق! كانت سرعة تجديفهم فوق المعتاد، لم تر سرعة تجديف مثل التي رأتها، بسرعة عجيبة لف القارب واختفى تمامًا!

قفزت من استلقائها جالسة في ذهول وهي تهتف:

- لقد اختفى القارب!

نظر نحوها (وليد) بدهشة وقال:

- بسم الله الرحمن الرحيم ما بك؟ أتعلمين؟

نظرت نحوه بصدمة وقالت:

- لقد رأيت القارب، أليس كذلك؟ كان سريعًا جدًّا، وخشبياً مثل قوارب القراصنة، هل رأيتَه؟

قال ساخرًا:

- نعم وكان معهم القبطان (سيلفر) يبحثون عن الكنز.

استوعبت مزاحه فضربته بخفة على كتفه معاتبة:

- وليبييد!

ضحك بخفة وقال:

- أحلامك أفلام، ههههههه، هيا يا حبيبتى يبدو أن الجوع أفقدك صوابك.

سكنت ولم تعلق وشعرت بحرارة (جَمْنون) جوارها فهمست:

- إنهم جن، أليس كذلك؟ أنت وحدك تصدقني وتعرف.

تهندت بامتنان وهي تشعر بأنها قد بدأت تستعيد قدرتها وبصيرتها أخيرًا؛ والسبب واضح هو أن وجود (جَمْنون) معها ساعد على تفعيل حواسها بعد طول كسل.

ولكنها لم تكن تدرك أن القادم يحمل لها الكثير، لم تعرف لماذا التقطت هاتفها وأخذت تبحث عن الصورة التي التقطتها للطائر الغريب الذي حط على شرفتها منذ أسبوع مضى، قلبت الصور وبحثت حتى وجدت صورة لشرفتها والشجرة الكبيرة التي تشرف عليها، أما الطائر فلم يكن له وجود! بحلقت عينها وهي تفكر

بشكل محموم هل نسيت أن تلتقط صورته، أم أن الكاميرا لم تستطع أن تلتقطه؟
لأنه لم يكن طائرًا من الأساس!

(6)

العدو الظاهر تستطيع مواجهته

ولكن!

ماذا عن عدو خفي؟

يتسلط عليك.. له أساليب تنخر العظام

وتدمر الروح.

على ظهر العفريت

(تحكيها مني)

كنت نائمة على سريري بالفندق، ولكن فجأة رأيت نفسي أقف على سفح هضبة واسعة تحيطها الجبال الشاهقة، وأشجار النخيل، ثم سمعت أصوات نساء يتهايمن قائلات:

- إنه أمير عفريت يريد أن يخطفها ويتزوجها.

في تلك اللحظة رأيت ظهر رجل ممدد في الهواء كالبساط السحري، لا أدري كيف وجدت نفسي جالسةً على ظهره؟ وإذ به يطير بي فوق الجبال والسهول، طار بعيدًا وأنا لا أشعر بالخوف أبدًا، حتى أشرفنا على قصر كبير أشبه بالقلاع التي قرأنا عنها، ورأينا صورها في كتب التاريخ، والبرامج الوثائقية، قلعة مهولة وسط جبال شاهقة تحيط بها الأشجار كأنها وسط جنة، لم نقرب كثيرًا؛ لأنه عاد أدراجه بي حتى هبطنا على الهضبة نفسها التي بدأنا منها رحلتنا، عندما وصلنا أنزلي برفق عليها، وقال بصوته الحنون الشجي الذي أعرفه جيدًا صوت صديقي (جَمْنون):

- أرايتِ؟ أنا لم أختطفكِ ولن أختطفكِ من بين زوجكِ وأطفالكِ، فكوني مطمئنة.

فتحت عيني فجأة، وأنا لا أزال على سريري بجوار (وليد) وحرارة صدر (جَمْنون) على ظهري فعرفت أنه إسقاط نجمي أخذني ليريني بلاده وعاد بروحي إلى جسدي بكل حب ولطف. نهضت من فراشي بحذر حتى لا أوقظ (وليد)، واتجهت نحو الشرفة الواسعة التي تطل على بحر الخليج العربي الغارق في هدوئه وسكون الليل، والشاطئ والمسبح هادئان فالوقت كان 3 فجراً. وهناك أخذت أتأمل حياتي وحقيقة ما مرتت به.

كيف لم ينتبه فكري لهذا الأمر؟

(جَمُنون) عفريت قوي، أمير ابن ملك، كان قادرًا أن يختطفني لعالمه دون أن يقدر أحد على إيجادي، ولكنه لم يفعل، لماذا؟ كان قادرًا على أذيتي والانتقام مني، ولكنه لم يفعل، لماذا؟ ورغم أنني تزوجت بإنسي وكسرت قلبه، بل وأذيته ليخرج من جسدي، ولكنه عاد ولم ينتقم مني أو من (وليد)، لماذا؟! بل إنه أراني قدرته على حملي لعالمه، ولكنه أعادني، لماذا؟! ومن قدر على أخذ الروح لعالمه بإمكانه أن يأخذها بالجسد ولا يعيدها، فلماذا لم يفعل؟

تذكرت قصصًا كثيرة سمعتها عن خطف الجن للإنس، بل وإصابتهم بالجنون حتى لا يكونوا لأحد غيرهم، ولكنه لم يفعل ذلك بي! لماذا؟

جلست على كرسي الشرفة في وهن وأخذت أبكي بحرقة وندم، لماذا؟ لماذا؟ هذا السؤال أعرف إجابته يقينًا.

لأنه يحبني بنبل، بنزاهة ونقاء، لأنه صادق معي من البداية، وأنا التي خذلته.

بكيته بحرقة على قلبه الجميل الذي أهلكته بظلمي، ومن بين نهناتي شعرت بيد حانية تربت على كتفي، قفزت فجعة من أن يكون (وليد) ولكن لا أحد. ذاب قلبي حينها إذ عرفت أنه (جَمُنون). حينها بكيت أكثر وقلت له بندم شديد:

- اغفر لي، اغفر لرفيقة طفولتك خطأها وغباءها، لا تلمني فأنا إنسية أخاف المجهول، وما منعني منك إلا الخوف، عجيب هذا الشعور الذي يشلّ فكرك عن كل نافع بسببه، كان أكبر عدو لي هو نفسي، والسبب الخوف، الخوف يا صديقي عدو مخيف يتغلغل في روحك؛ فيحرمها من نصابها الجيد في الحياة، يحرمها الإقدام على فرص جيدة وعلى حب عظيم، ولكن الخوف نفسه لا يلام؛ بل الجهل وعدم اليقين؛ فأنا كيان معروف ولملموس وأنت كيان خفي غامض ما أدراني أن ما عرفته عنك حقيقة وليس خداعًا؟ ما أدراني أن ما رأيته هو حقيقة أصلًا؟

عند هذا الجزء من حديثي غار صدري، وكأني فتحت نافذة لتساؤل خبيث؛ فانبعثت من تلك النافذة رياح باردة عصفت بي، اقشعر جسدي، إذ شعرت بقلبي يصاب بفجوة عميقة وأنا أردد كالمصاب بالهلوسة:

- هل هو حقيقة أصلاً؟ لحظة.. لحظة.. هل كنت واهمة؟ ربما لا وجود ل (جَمُنون) أساسًا.

شعرت بحرارة بجانبني ساخنة ساخنة، وكأن سخط (جَمُنون) واضطرابه من كلامي قد أشعلا جسده وهالته بالغضب والسخط، ورغم ذلك أخذ وسواس يقنعني بأنني أتوهم هذه الحرارة واللمسات وكل شيء. وضعت يدي على قلبي أضغط عليه بقوة؛ ليذهب منه هذا الشعور المقيت، كنت أشعر بانقباض وضيق غريبين.

أخذت أزفر بقوة وأخبر نفسي بصوت مسموع:

- لو كنت واهمة فهل عائلتي كانت واهمة أيضًا؟ ما هذا الغباء؟

ورغم منطقي الذي أوقف خيالاتي الخاطئة؛ إلا أن الوسواس الرجيم كان أسرع مني، ثم أخذت أفكار مخيفة تخطر على بالي فترجمها لساني قائلة بخبال:

- البيت مسكون، نعم نعم هذا هو الواقع، والكل شعروا وتأذوا من ذلك، ولكن (جَمُنون) جنِّي عاشق قوي ولطيف، وسط هذه الأحداث صنعته عقلي وخيالي؛ لأشعر بأنني في أمان من غزو الجان على عائلتي، فبالتالي لا وجود ل (جَمُنون) أساسًا.

في تلك اللحظة سقط كتابي من على الطاولة التي كنت قد وضعت عليها الكتاب قبل أن أنام ونسيته في الشرفة، فوق بطريقة تنبئني بأنه من فعل فاعل، وهنا عرفت أنه (جَمُنون) الساخط قد أوقعه لأعود إلى صوابي، وأعرف أنه حقيقة وليس وهمًا. نظرت نحو الفراغ وقلت له بألم والدموع تنهمر من عيني:

- سامحني يا صديقي لا أدري ما بي؟ حقيقة أشعر بخطب ما ألمَّ بي منذ فترة، ضيق غريب لا سبب له يجثم على صدري، أفكار ومشاعر غريبة (جمنوووون) ما الذي يحصل لي؟!

لم أسمع له ردًا غير أنني شعرت بيده تربت من جديد على كتفي، فتنهدت بطمأنينة ووضعت يدي على يده التي لا ألمسها كلمس يد البشر للبشر؛ إنما ألمس هواء ثقيلًا أشعر بيدي تبقى فوقه بثبات، وعندما لمستته أغمضت عيني براحة وقلت بابتسامة واهنة:

- أنت هنا فعلاً، لا وهم ولا ميت.. أنت هنا فعلاً لا تتركني أبدًا أبدًا، لا تتركني.

لم أكن أعرف وقتها بالنار التي كانت تستعر بداخله، وهو يشك بمعرفة السبب وراء معاناتي، هو الذي سينقذني من كل سوء وشر طوال حياتي.

هجوم النمر المخطط

عادت الأسرة الصغيرة إلى (الرياض)، كانت أسرتهم مكونة من (منى) و(وليد) والتوأمتين (إيلين) و(تولين) والصغير (سيف) والخادمة، 6 أشخاص دون أن يعرفوا أن (جمنون) وحراسه قرابة 50 ألفًا.

يحيط بها بحبه ورعايته وفي رأسه ألف تساؤل عن التغيير الخفي الذي أصاب معشوقته (منى)، إنه يدرك يقينًا أن هناك وسواسًا خفيًا يسيطر على قلبها وفكرها، ولكن من؟ وكيف؟ ومنذ متى بدأ؟ يجب أن يدرس الموضوع بصمت ودهاء.

في (الرياض) عادت الأمور إلى روتينها القديم، وكانت (جاكلين) قد أنهت عقد عملها، ووجدت فرصة عمل في (بلجيكا)، وعندما جاءت لتودع (منى) قالت لها بحب وصدق:

- حبيبتى أصدقك القول: إنني أشعر أن خيرًا عظيمًا قادم إليك من العالم الآخر.

أمسكت (منى) يدها بقوة وقالت بأمل:

- أنتِ قد رأيتِه وتعرفين أنه موجود.

ضحكت (جاكلين) بدهشة وقالت مؤكدة:

- صحيح أنني لا أعرف قصتك، ولكنني أعرف أنه جني عظيم وطاقة خير لك، ونعم مؤكد أنه موجود، اطمئني لست مصابة بالهلوسة، أم أنها هلوسة جماعية؟ كيف؟ أنا لم أكن أعرف شيئًا عن ذلك، إنه موجود وكل ما تشعرين به حقيقي،

ثقي بإحساسك، وكما أخبرتك يقيئًا بشعوري فإن إحساسي لا يخيب، فأنا متيقنة بأن لديك قصة ما، وقصتك القادمة أجمل وأعظم.

كم شحنت هذه الكلمات الطاقة الإيجابية ل (منى) حتى ورغم سفر (جاكلين) إلا أن السعادة في قلب (منى) لم تكن تسعها، كانت تسمع صدى كلماتها ودعمها وإحساسها الجميل عن مستقبلها في قلبها وعقلها، وهي تتمنى أن تسرع الأيام بالقادم الجميل والمحتوم من صفحات تقويم وقتها الذي لا تزال صفحاته في علم الغيب.

كان (جَمْنون) يفكر ويتخاطر مع ابن عمته، قال له تخاطرًا حتى لا يسمعها أحد:
- أشعر بأن هناك جاسوسًا دخيلًا.

رد عليه (شامر) تخاطرًا:

- أصدقك القول، أنا أيضًا أشعر بشيء خبيث يحاك في الخفاء.
قال (جَمْنون) بذلك:

- الحرس الذين أرسلتهم والدي لا بد أنه واحد منهم.
أيده (شامر):

- مؤكد... لا يمكن أن يكون أحدًا من حرسك الخاص، فأنت تعرف مدى إخلاصهم لك.

- إدًا يا أخي ابحث معي دون أن يدرك أحد، إن (منيتي) تعاني وساوس خبيثة تدمر ثقته في وجودي وحيي، وإني والرب لأدرك أن هذه حيلة خبيثة حتى تنكر وجودي وتقصيني من حياتها.

وهكذا فطن (جَمْنون) لأساس المشكلة، وسيبحث أكثر عن تبعاتها النفسية على (منى) أكثر؛ فالوسواس عندما يتسلط على ابن آدم تبقى له رواسب خفية تؤذيه على مر السنين.

في كل مرة تجلس (منى) تشاهد فيلماً وهي تشعر بدفء جسد (جَمْنون) بجوارها تكون في راحة بال عالية، ولكنها في لحظة خاطفة ما تشعر بالضيق يجثم عليها؛ فتهجم عليها الأفكار «هل هذا الضيق منبعه (جَمْنون) أكون خبيثاً وأنا لا أدري؟!» تنفض رأسها بقوة لتصرف عنها هذه الأفكار المسمومة، فتجد أن فكرة أخرى خبيثة تسيطر عليها: «أم أنه غير موجود أساساً وهذا وهم؛ لذا قلبي يشعر بالضيق لأنني أخدع شعوري؟»، حينها يجثم عليها الضيق أكثر فتنفض رأسها وتضع يدها على قلبها وتدعو قائلة: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن».

كان (جَمْنون) يغلي غيظاً، فقد كان يسمع أفكارها ويشعر بثقل صدرها، أخذت عيناه تبحثان حوله تنظران للحراس المتناثرين في المكان وركز أكثر على الحراس الجدد الذين بعثتهم والدته. أخذ يمعن النظر بينهم فلفت انتباهه أحدهم في حالة استئذان وكان روحه ليست معه، في ثواني معدودة، وإذ به يرمش بعينه وكأن شيئاً لم يكن.

هنا فكر (جَمْنون) بأنه لو كان هذا الجندي فيا لها من مصيبة ما بعدها مصيبة! ولكن عليه أن يتحقق أولاً.

كانت (منى) تعاني هذا الهجوم الخفي مدة خمسة أشهر كاملة وهي تتأرجح بين السعادة والضيق، بين أن تكون نفسها وأن تخسرهما.

حتى جاء يوم من الأيام الحالكة التي كان فيها القمر في حالة محاق، كانت نائمة على ظهرها، ولكنها فجأة شعرت بأنها واعية وهي لا تزال على فراشها الوثير، وترى ملامح غرفتها الواسعة أمامها، ولكن العجيب هو وجود ثريا فوق سقف غرفتها، عند نهاية سريرها في مرعى نظرها، وفي الواقع لا وجود لها، هذا غير الستائر

الجميلة التي تحيط بسريرها، والتي لا وجود لها أساسًا، والتي كانت مربوطة في حبال أنيقة، أخذت تفكر بأن هذه غرفتي ولكن معها كماليات من العالم الآخر، لعله (جَمْنون) طلب هذه الإضافات، ابتسمت ولكن الابتسامة ماتت على شفيتها عندما شاهدت بما لا يحمل مجالًا للشك رجلًا ضخماً طوله قرابة 190 أو المترين يأتي من الممر الذي يؤدي إلى غرفة ثيابها، تقدم من ذلك الممر بخطًا ثابتة يرتدي بدلة عسكرية زرقاء مزينة بالأوسمة، كان ضخم البنين مفتول العضلات أسمر البشرة غليظ الملامح، يجر في يده حقيبة كبيرة بها ثيابه علامة الاستيطان والاستقرار، هكذا وقع في قلبها، شعرت بضيق يجثم على صدرها وجسدها مشلول عن الحركة، تقدم نحوها وابتسامة صفراء مقيبة ترتسم على طرف فمه.

اقترب..

اقترب..

اقترب..

حتى أصبح عند حافة السرير عند قدميها، وعيناه تلمعان في شراسة كعيني النمر، بل إن وجهه صار كوجه النمر البنغالي المخطط فعلاً.

ارتعدت فرائصها، وأدركت أنه عدو خبيث، بل وقع في قلبها يقينًا أنه هو الوسواس الخبيث الذي أفسد عليها حياتها.

في تلك اللحظة وبينما هي نائمة، استشعر (جَمْنون) حضور شخص ما في جسم (منى) الأثيري فاحتضنها بسرعة ودخل بجسمه الأثيري إلى ذلك البعد الخط الفاصل بين الحلم والحقيقة، بين النوم والصحو. وهناك رأت (منى) (جَمْنون) يقف بجوار سريرها على يمينها، وهو ينظر نحو مصدر العدوان.

مدت يدها نحو (جَمْنون) بصعوبة وهي تهمس بضعف:

- أنجدني أنجدني.

ولكن (جَمْنون) كان ينظر إلى ذلك العدو في صدمة وحيرة، فنظرت (منى) نحو عدوها وقالت بخفوت:

- الله أكبر الله أكبر.. أعود بالله منك.

حينها قطب العدو جبينه وأخذ ينظر نحوها بقلق، ونحو (جَمْنون) بتوتر، أعاد النظر من جديد نحو فريسته التي علا صوتها أكثر وقد استجمعت شجاعته وهي تقول:

- ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. [الأنفال].

هنا اختفى النمر الخبيث ونهضت (منى) من منامها فزعة، فرأت سقف غرفتها خاليًا من الثريا وسريرها خاليًا من الستائر، والنمر المخطط الخبيث غير موجود، مع أن رائحة وجوده لا تزال عالقة في الجو، ثم نظرت برجاء نحو مكان وقوف (جَمْنون) الذي حينها شعرت به يحتضنها بقوة لتهدأ نفسها. هتفت بقهر قائلة:

- إنه خبيث أراد الهجوم علي، بل إنه أحضر حقيبة كبيرة ليسكن هنا، إنه يتحداك أيضًا لماذا؟ لماذا إذاً لم تحرك ساكنًا عندما استنجدت بك؟! لماذا لم تنجدي؟!!

رعشة قوية ألمت بجسدها مصدرها (جَمْنون) فسكتت بحيرة وهمست بخوف:

- (جَمْنون) ما الذي يجري؟ أشعر بالخوف، هل أنت في خطر؟

احتضنها أقوى وشعرت بأنامله تمسد على شعرها لتهدأ نفسها، ولأنه جني استطاع أن يجعلها تنام في حضنه كالأطفال، وهو يرتعش غضبًا وقهرًا من هذا العدو الخبيث الذي أسقط ما في يده من دفاعات.

الحرس والجنود جميعهم حاضرون أمامه وهو يجلس على كرسي مرتفع كالعرش، كانت عيناه حمراوين وهالته نارية والغضب يتصاعد منه، قال بصوت كالزمهرير:
- (شهبان) تقدم وبرر موقفك الخسيس.

تقدم بكل وقاحة ذلك العدو الذي تهجم على (منى) وقال بصوت حاول أن يجعله متماسكًا:

- أنا عبد مأمور جئت لأنفذ الأوامر.

زفر (جَمْنون) بغضب وقال بحدة:

- أوامر من؟

عم الصمت فصرخ بحدة ارتعدت لها فرائص الجنود:

- أجب عليك اللعنة!

قال (شهبان) بأنفة:

- أوامر جلالة الملكة.

غص قلب (جَمْنون) وأغمض عينيه قهراً محاولاً أن يكبت غضبه، زفر بحدة وسكت، فاقترب منه ابن عمته وقال هامسًا:

- مولاي.

أشاح (جَمْنون) بوجهه المكفهر وقال من بين أسنانه:

- أمي.. أمي.. هذا ما كنت أخشاه.

كان يعرف في داخله أنه هذا العقيد الغليظ الشديد عندما وقعت عيناه عليه،

شعر بأن وجوده ينذر بالسوء، ولا يبشر بالخير.

رفع (جَمْنون) رأسه ونظر نحو (شهبان) وقال بغضب:

- بماذا أمرتك؟

سحب العقيد (شهبان) نفسًا عميقًا وقال بحذر:

- لا أقدر أن أفشي أوامر مولاتي.

صرخ به (جَمْنون) بغضب فارتعدت فرائصه وقال بحذر:

- أن أدمرها من الداخل.

ثار دم (جَمْنون) وقال بحذر:

- أن تستخدم الوسوسة.

- نعم أن أفسد يقينها وإيمانها بالجن والحب والحياة، أن تصبح فارغة من الداخل، وشعلتها العظيمة تصبح رمادًا حتى تترك وتترك الرغبة في الحياة بأكملها.

صاح به (جَمْنون) أمرًا:

- يا لعين أمرك بأن تتوقف عن ذلك حالاً وتعود فورًا من حيث جئت.

جثا (شهبان) على ركبتيه وقال مناشدًا:

- أرجو أن تعفيني من عصيانها يا مولاي، فهي رئيسي المباشر ولا طاقة لي بعصيان أوامرها، حتى لو أنت الذي أمرتني، ستفصل رأسي عن جسدي.

زمر (جَمْنون) وقال من بين أسنانه:

- بل أنا من سيفصل رأسك الخبيث.

رغم هلعه إلا أنه قال بإصرار وثبات:

- محال أن أعصي أوامر الملكة.

صرخ به حارس (جَمْنون) الشخصي:

- كيف تجرؤ على عصيان ولي العهد؟

وضع (شهبان) كفيه على الأرض وقال متوسلاً:

- أرجو العفو، ولكن لا أقدر أن أعصي أوامر جلاله الملكة.

كان (جَمْنون) يدرك مسبقاً أنه سيرفض الانصياع وهو المخلص لوالدته، حتى لو فصل رأسه عن جسده.

بعد برهة صمت، قال (جَمْنون) بتحدُّ:

- أتحسب أنك قادر عليها؟ إن (منى) ليست بإنسية عادية وتستطيع الدفاع عن نفسها.

شبح ابتسامة خبيثة ظهر للحظة على شفتي المارد الخبيث الذي قال:

- إذا لتمنعي هي.

وهكذا كان الأمر وما انتهى عليه، (منى) ستدافع عن ذاتها و(جَمْنون) سيراقب على أمل أن تنتصر حبيبته على والدته ورسولها الخبيث.

الوسواس الخناس

(تحكيها مني)

ماذا أعرف عن جَمَنون وعن عالمه؟

على قدر ما عرفت فأنا لا أعرف شيئاً!

شعرت بأنه مقيد عن مهاجمة عدوي، ترى ما السبب؟ ثم كيف يقدر ذلك المارد الخبيث أن يؤثر على أفكاري ومشاعري بهذه القوة وأنا التي لا تترك أذكارها أبداً؟

ابتلعت ريتي خائفة، قد كاد ينجح في أن أصدق أنني واهمة وأن (جَمَنون) غير موجود، ولا حتى الجن الذين سكنوا معنا في (أبها)! أي حمق هذا الذي كدت أصدقه؟! وكأن حياتي كلها كذبة! ثم إن عائلي كلهم عاشوا ما عشته، الغريب أنني أدرك ذلك! وأنه يحاول الوسوسة لي؛ ليجعلني مجنونة! ورغم ذلك استطاع أن يدخل الضيق والغم على قلبي!

قمة التناقض أن تدرك أن هذه وسوسة وفي الوقت نفسه تؤثر بك!

قمة التناقض أن تدرك أنك أعلى من هذه الخزعبلات ومع ذلك ترعبك وتؤثر بك!

أنا متعبة مجهدة، لا أحد يعرف كم هي متعبة نفسياتي، ما أعجب عالمهم! تظن أنك قادر على محاربتة، ولكنك تقف عاجزاً أمام أساليبهم. عالم الجن عجيب عجيب! عالم سري غامض مهما كشفنا عنه أوهم كشفوا لنا عنه، يظل غامضاً غريباً.

تنهدت بحرقة وأنا عاجزة عن التصرف، فرغم أني رأيت عدوي وعرفت سبب ضيقي؛ إلا أنني ما زلت أشعر بالضيق والأفكار السوداوية تهاجمني وكأن الحياة سخيقة لا داعي لأن نحيا بها، أفكر أحياناً بأن المشاعر والحب وردات الفعل، الضحك البكاء الحزن تفاهات! بأي منطق أفكر هكذا؟ فنحن لسنا جماداً! حتى الحجر يتصدع من خشية الله ثم ما قيمة الحياة لولا جمال مخلوقاتنا وتنوع أساليبهم ومشاعرهم، وهذا التفاعل والتناغم العجيب بين الكون؟

أي هبل ألقاه ذلك الشيطان داخلي؟! ورغم معرفتي بأنه هبل إلا أنه ينخرني من الداخل كما ينخر السوس العظام.

أخذت أبكي بقهر وعجز، شعرت بخصلات شعري تتكهرب ودغدغة لذيدة تسري على فروة رأسي، فعرفت أن (جمنون) يداعب خصلاتي ويربّت عليّ ليواسيني، شهقت أكثر ومن بين دموعي قلت له بوجع:

- ساعدني أرجوك.. كيف ترضى بأن يعتدي عليّ هذا الشيطان المريد؟! إن أساليبه الخبيثة تمكّنت مني ونخرتني من الداخل، لا أعرف كيف أتخلص منها؟

شعرت بحرارة هالته ترتفع فهمت أنه غاضب ومقهور أكثر مني، همهمت في رعب:

- هل تدخلك يمثل خطرًا على حياتك؟

لا إجابة، فقط وجوده بجاني يواسيني دون أن ينبس بحرف، ماذا أعرف أنا عنهم إذًا؟ لا شيء. حرفيًا لا شيء.

خفت كثيرًا عليه، وأوجعني الصمت الذي بيننا كم اشتقت إلى سماع صوته، كلماته، قصائده. ولكنني أستحق أن أحرم منه وأنا التي أقصيته عني.

انقبض قلبي بقوة فوضعت يدي على صدري حتى لا ينفجر، وقلت بغم شديد:

- أرغب أن أنام، ضمني لصدرك رجاء.

بخطا مثقلة اتجهت إلى سريري واستلقيت عليه مهمومة وحينها شعرت بحضوره العذب وهو يلفني كالغمامة؛ ليحميني ليهددني كطفلة رضية في حضن والدتها، تذكرت أمي الحبيبة وقتها فأجهشت بالبكاء أكثر حتى نمت من التعب النفسي الذي ألمَّ بي.

كان يعاني أكثر مني، كان يبكي وينتحب على وجعي وحزني ولكنني لم أسمع أو أر ذلك إلا أنني شعرت به وعرفت ذلك لاحقاً. ماذا أعرف أنا عنه وعنهم؟

سطوراً ضائعة بين صفحات كتاب غامض لم أقرأه بعد.

المواجهة

أرسل جَمْنون مخاطبات لوالدته يترجاها بأن تسحب أوامرها من الخبيث العقيد (شهبان) وأن يعود إلى المملكة، ولكنها رفضت؛ إلا لو تخلى تمامًا عن (منى) ورجع إليهم ليتزوج ابنة رئيس الوزراء، ويقطع صلته تمامًا بعالم الإنس. كانت تلوي ذراعه بقوة إما أن يتركها تتعذب، أو يتركها إلى الأبد، وكلا الأمرين عذاب له، فالموت نصيبه كمدًا لو بعد عن منى.

تسلل صوت منى راجيًا:

- (جَمْنون) أنت أقوى منه خلصني منه.

قالت رجاءها هذا وأجهشت بالدموع، هنا تملك (جَمْنون) غضب عارم على أمه وشعبه وكل هذه القيود، فدموع حبيبته كالكساكين تقطعه من الداخل، لذا عزم أمره وكان له ذلك؛ وليحدث ما يحدث فهو لن يفترق عن حبيبته، ولن يسمح لأحد بأذيتها حتى وإن كلفه ذلك حياته.

كانت (منى) نائمة، رأت نفسها في مكان غريب، منطقة خالية من الناس والحرس، شعرت بالضيق وهي تدرك أنها في بعد آخر، ليس فقط لأنها نائمة؛ بل إنها بالفعل بين عالمين، تلك البقعة التي تنقلك بين عالم الإنس والجن، بين الصحو والمنام، شعرت بأنفاس لاهثة خلفها وزئير جعل الدماء ترتجف في عروقها. التفتت ببطء نحو مصدر الصوت فرأت بذعر نمرًا بنغاليًا مخططًا ضخماً جدًّا، أدركت في قرارة نفسها دون أن تعرف كيف أدركت ذلك، أنه المارد الخبيث!

رغم خوفها أطلقت لساقها العنان بأن تسابق الريح وهي تجاهد أن تحرك لسانها المشلول ليذكر الله.

كان يركض خلفها وكأنه راغب في تمزيق لحمها، ركضت بهلع وهي في قرارة قلبها تبتهل إلى الله، حتى وإن لم تستطع أن تطلق صوتها بالابتهاال، وجدت أمامها بناء لم يكتمل مجرد أسوار تحيط بحديقة بها أشجار باسقة وشجر نخيل، دخلت وهي عازمة على تسلق إحدى تلك الأشجار، وهكذا فعلت، أخذت تتسلق بذعر وقدمها تشعر بهما رخوتين لا تعرف لهما موضعًا.

وعندما تسلقت شجرة باسقة رأّت بما لا يحمل مجالًا للشك ولا للمعرفة المسبقة أن النمر تتسلق الأشجار بكل يسر، ولكنها في تلك اللحظة والنمر أسفل الشجرة وبدأ يتسلقها هتفت بابتهاال للخالق:

- أعوذ بالله منك استودعتك نفسي يا الله.

فجأة وجدت داخل فتحة في جذع الشجرة التي تسلقتها خنجرًا! سحبتة في دهشة ونظرت نحو النمر، فجأة شعرت بذراعين تحيطانها وتحملانها لتطير في الهواء وتهبط جوار النمر، واليد اليمى لتينك الذراعين تمسك بيدها الممسكة بالخنجر وتهجم بيدها معها نحو النمر الضخم، وبكل دهشة وعدم تصديق، كانت (منى) والممسك بيدها يقطعان لحم النمر كالشرائح بكل سرعة ويسر حتى أصبح النمر أمامها قطع لحم وفرو ودم وصوت صراخه الممتزج ما بين حشجة شخص وزئير نمر مغمًا يعلو في السماء لشدة ألمه، وهنا سمعت بوضوح الصوت القادم بجوار أذنها لتينك الذراعين اللتين أحاطتاها وطارتا بها، وهجمتا معها وهو يقول بحنو وحزن وغم:

- (منيتي) لقد تخلصت من عدوك.

انتفضت من منامها وهي تسمعه يكمل على أرض الواقع، بجوار أذنها وهي على سريرها:

- نعم تخلصنا أخيرًا من هذا العدو.

كان (جَمْنون) حاميتها ومخلصها، انتفض قلبها بشعور غريب بين الرهبة والفرحة، والدهشة والحب وهي تسمع صوته بعد طول غياب، وتشعر بحبه لها، وفي الوقت نفسه شعرت بنبرة غم في صوته.

هتفت والدموع تجد لها طريقًا على وجنتيها:

- (جَمْنون)... آه (جَمْنون) لقد أنقذتني لقد حادثتني، آه شكرًا شكرًا يا صديقي الغالي شكرًا، ولكن صوتك حزين مهموم، هل خالفت القانون؟ هل ستكون بخير؟

احتضنها بقوة بين ذراعيه وهو يعرف أنه فتح على نفسه أبواب الجحيم؛ لأنه تحدى أمه.

كان العقيد (شهبان) يصرخ وهو يتلوَّى ألمًا من جروحه والجنود حوله يحاولون تضييدها، تركها (جَمْنون) وطفًا نحوه بثبات وهيبة وأخذ ينظر نحو (شهبان) المضرج بدمائه، والملقى أرضًا في غرفة (مئي)، وقال له بصوت جمَد الدماء في عروق الجميع:

- الآن عرفت أن لا قوة تملو على قوتي، بلغ والدتي بأن لا أحد، لا أحد يفرق بيئي وبين الإنسانية أو يؤذيها، هذه المرة تركتك تعيش، المرة القادمة إن سَوَّلت لك نفسك أمرًا فليس بينك وبين الموت إلا غضبتي.

ارتجفت فرائص شهبان القوي وصارت قوته تصعق أمام قوة هذا العفريت الفتى، سيده (جَمْنون). أخذ الجنود بسرعة من أمام سيدهم؛ ليحمله بسرعة عائدًا بخيبيته إلى المملكة.

عاد (جَمْنون) إلى (مئي) وهو يعرف أنه خالف القوانين، ولكنه جازف لأجل حبيته الإنسانية المسكينة، التي تعرضت لعدوان مخيف من عالمه المهيب، الوسوسة وضيق الصدر، والتلاعب بالعقل سلاح خبيث يتقنه المردة، أحاطها

بذراعيه لتنام كالطفلة بينهما، بينما هو جافاه النوم وهو يفكر برد فعل أمه الملكة،
التي لا يحتمل إغضاها أبدأ. ولكنه فعل!

فيا ترى ما هي النتائج؟

هذا ما ستسفر عنه الأيام.

(7)

عليك اللعنة أيتها الإنسانية

فأنا الملكة ابنة الملك، وزوجة الملك، وأم للملك
لن أدعك تنتصرين، وسيعود ابني إلى أحضاني.

في حمى الحب

(تحكيها منى)

كم شعرت بالوفرة بالحماية عندما عرفت أن (جَمْنون) تدخل وحماها، كم شعرت بحبه، كم أحست بالنشوة لعطائه لها. شعور بالخفة أصابها، أقدامها تلامس الأرض بخفة فتشعر وكأنها ريشة، قلبها الذي كان مكبلاً بالهموم صار خفيفاً خالياً من كل الأفكار السوداء التي سممها بها ذلك المارد الخبيث، أما الآن فقد عادت لحياتها الطبيعية، بل وأكثر، إذ إنها لن تنسى أبداً صوت (جَمْنون) عندما حدثها بعد طول غياب. كم تتمنى لو عادت حواراتهما كما في الماضي، اشتاقت كثيراً إلى صوته وتعليقاته وآرائه، يا ليت الحياة بينهما تعود كالسابق؛ ولكن بدون محاربة الجن لهما.

لكنها أدركت أن لكل مرحلة وضعها الخاص، عليها ألا تحن إلى الماضي، بل أن تصنع حاضرها بذكريات جديدة؛ لذا أخذت تحثه على الحديث وتبث في روحه الطمأنينة نحوها قائلة:

- (جَمْنون) إن كنت تظن أنني تلك الفتاة التي تحاول اكتشاف الحياة فتخاف من المجهول فأنت مخطئ، لم أعد تلك التي غدرت بك، فأنت تعرف أنني نادمة أشد الندم على أذيتك.

تأملها (جَمْنون) بابتسامة ناعمة، وأخذت أنامله تداعب خصلات شعرها الحريري، وعيناه تهيمان بحب وتلتهمان ملامحها. شعرت بقشعريرة لذيذة تجتاح جسدها فاحمّرت وجنتاها وهي تستشعر أنامله تلعب بشعرها، فجأة وبدون سابق إنذار، سمعت أخيراً صوته العاشق الحنون يقول لها:

- أحبك، أنا حبيبك وأنتِ حبيبتي؛ فأحبيني ولا تترددي.

انتفض قلبها بقوة بين ضلوعها، وصاحت بفرح وأخذت تهتف بغبطة:

- يا إلهي أنت تتكلم معي، أنت تخاطبني، أنت تُسمعي صوت قلبك وشعورك الحمد لله.

ابتسم برقة وضمها إلى صدره وهو يرمي بتحذيرات أهله عرض الحائط؛ فقد تعب من القيود، إنه يحبها ويرغب بها، أن يتكلم معها، أن يحميها، أن يرافقها بدون حدود.

شعرت منى برجفة عذبة في جسدها؛ فعرفت أنه يحتضنها بعذوبة كبيرة. أغمضت عينيها في امتنان وهي تقسم في قرارة ذاتها؛ أن لن تعود لأخطاء الماضي أبداً، ولن تخسر ثانية هذه الروح التي سكنتها من قبل.

صوته العاشق أخذ يهمس لها:

أُحِبُّكَ أَحِبُّكَ أَنْتِ

فأحبيني بدون حدود

وامحي من زوايا عقلك كل القيود

ورتي ملفات فكرك

والحي منها كل شرود

واتركي نفسك مع عشقي

ماضيك لي والآن أوفيك العهود

قلبك لي منجرف

لا يعرف القلب حدًا أو بنود

كنت لي كنفسي وصرت لي صرحًا

ممثلًا بحب ممدود

أنا لك بجنون عاشق

وأنت لي منيةً تمنيتها منذ عقود

ارتجفت أعماقها وهي تسمع قصيدة له، فكم اشتاقت لقصائده، تنهدت بقوة وهي تشعر بشعور غريب، لقد غاص في أعماقها التي هي نفسها لا تدركها، ما مشاعرها لا تدري؟ إنها سعيدة بوجوده وكفى. تشعر بالأمان النفسي لوجوده، تفرح لحبه وتذكر أنها منذ القدم بينهما خط وصلة مربوطة بين رويهما.

ابتسمت منتشية وقالت خجلة:

- ها أنت من جديد تحذرني من قيودي الصارمة على نفسي ومشاعرها، أترك لها العنان دون أن أحللها وأرتبها؟

أجابها بلهفة:

- دون تفكير؛ فالمشاعر تأتي كتيارات مائية تنساب في سلاسة، لا علاقة لها بالجمع والطرح، والضرب والقسمة.

انفجرت مني ضاحكةً على تقييمه وتعليقه، وقالت بغبطة:

- ما أعجب حديثك وما أحلاه، ألا كم اشتقت إلى كلماتك وقصائديك، إلى حبك،

إلى هذا الكم الهائل من المشاعر الدافئة، أتدري أن لا أحد يشبهك ولا قبلك أحد ولا بعدك؟

صمت (جَمْنون) بدهشة لكلماتها! أخذ ينصت لأفكارها، كانت تتكلم بارتياح دون أن تدرس مشاعرها! ارتجف قلبه وتمنى أن تعترف بشعورها له ولا تقاوم أكثر، اقترب منها واحتضنها وأصغى السمع لنبضات قلبها.

كان قلبها ينبض بسرعة وبشعورٍ عاطفي جارف، ابتسم (جَمْنون) بإدراك تام لشعورها الذي إلى الآن هي نفسها لم تدركه. احمرت وجنتاها ولمعت عيناها، فأخذ يلثم الورد من خديها ويشرب الشهد من مقلتيها.

توتر الجو العام؛ فالحرس المكفون بمرافقته شعروا بالحرَج لهذه المشاعر القوية القادمة من سيدهم، بينما هو كان وكأنه في كون منفصل عنهم، لم يكن يرى إلا (منى) ولا يسمع إلا أنفاسها ونبضات قلبها. ضمها أقوى بين ذراعيه المفتولتين القويتين، فكانت كالطفلة بينهما، أرخى رأسه على رأسها وأغمض عينيه بهناء، كانت هذه اللحظة تستحق أن يحارب الكون لأجلها، لتتألف روحاهما معًا في لحظة سرقها من الزمن عنوة وانفصل بها عن الواقع، كم تمنى لو كل ليالي العمر هي لحظات مختزلة من مشاعر لا يعلم عمقها ودفاها إلا من خلقها.

قرر أن لن يصمت، سيحدثها ويحيا معها إلى الأبد، وهي أقسمت داخلها إنها لن تخاف من المجهول، وإنها ستقبل بكل ما تشعر به وتعبر عن ذاتها، وتخرج من قوقعة الطفولة الخائفة، والأفكار السطحية البالية، فهي حرفيًا لم تكن تشعر بالسعادة في غيابه؛ بل كانت تائهة وكأنها فقدت هويتها، فهما قد قدر الله لهما أن يكونا معًا، وكما تشرق الشمس على الأرض فتبتث فيها الدفء؛ فقلباهما معًا سيشرقان كأعظم شمس أضاءت هذا الكون الفسيح، ومن حقهما في كونهما أن يكونا مشرقين فيه معًا.

حب بدون قيود

(تحكيها مني)

كانت الأيام تمضي سعيدة، زوجي وأطفالي في أتم صحة وجمال، و(جَمْنون) قد ملاً عليّ الدنيا وما فيها، كانت ضحكاتنا تتناغم في كل شيء؛ إذ إننا نفهم بعضنا بعضًا في لحظة ونضحك معًا على أمور لا يفهم فكاهتها سوانا، في إحدى المرات سألتني ابنتي (تولين):

- ماما إن وجهك مشرق جدًّا، وتضحكين غالبًا، ما الذي يضحكك؟

ضحكت من حديثها وقلت:

- اسمعي يا حبيبتي لدي خيالاتي التي أتخيلها وأضحك منها، بل إنني لأفرح وأخذ الأمور العابرة بطريقتي الخاصة.

ابتسمت طفلي وقالت بظرافة:

- اعتقد أنني مثلك تضحكني أمور عابرة لا أحد يراها سواي وأختي توأمتي، ذلك أننا المخلوق نفسه.

قالتها وانفجرت بالضحك، في حين وقع حديثها علي وقعًا خاصًا، أخذت أضحك معها وأنا أتأمل حديثها، أختها التوئمة هي من يشاركها الفكر؛ بل إنها شبهت حالهما أنهما الشخص نفسه، المخلوق نفسه. أدركت المعنى، فهل هذا يعني أنني و(جَمْنون) الشخص نفسه كأننا توأمان! توئمة روح؟

رد علي (جَمْنون) مصححًا:

- بل توءما شعلة.

تساءلت:

- ما توءما الشعلة؟

صمت ثم قال:

- عليكِ بالبحث عنه، حتى يسهل عليّ الشرح.

أطرقت رأسي بأنني سأفعل، ولكن تلك الليلة رأيت منامًا غريبًا جعلني أنسى موضوع البحث عن معنى توءمي الشعلة، في تلك الليلة رأيت نفسي في مكان غريب بين جبال عالية، هناك رأيت امرأة في منتصف العمر، تجلس تحت الجبل وتتشج بالسواد، اتجهت نحوها أسألها:

- أين نحن؟ ومن أنتِ؟

رفعت رأسها نحوي لأرى عينين رماديتين باردتين تنظران نحوي بمكر، وابتسامة صفراء تلوح على شفثيها. ارتجفت من أعماقي، ولكنني تمالكت نفسي إذ قلت على مضض:

- أنت من عالم الجان؟

هنا شعرت بهزة قوية تحتي، والجبال تنهار؛ فشهقت بقوة وصحوت فزعة والدهشة تغمرنني! كنت غارقة في العرق والحيرة تملكنتني، لقد شعرت بالدفاء تجاه تلك المرأة، فلماذا قابلتني بالجفاء؟ ومن هي؟ أهي حقًا من عالم الجن؟

سمعت همس (جَمُنون) القلق وهو يجيب عن تساؤلي:

- هذه أمي!!

قلت بدهشة:

- ماذا؟

أجابني بتوتر:

- نعم أعتقد، بل أنا موقن بأنها غاضبة.

قلت بقلق:

- ماذا تفعل الآن؟ لا أريد أن أتسبب لك بالمشكلات، ولا أن يفصل بيننا أحد.

قال بحنان:

- لا تقلقي. طالما أنا معك لا تقلقي فلا قوة تفرقنا.

- ولكن (جَمَنون) أخشى عليك، ولا أَرغب أن تتعارك مع أمك بسببي.

عاد ليطمئنني قائلاً:

- تبقى أمي التي تحبني لا تخافي.

كلماته تلك طمأننتني لدرجة أن الأيام مضت، ونسيت ذلك المنام حتى جاء ذلك اليوم العجيب.

كنت نائمة قيلولة بعد عودتي من العمل، (وليد) كان قد خرج لموعد عيادته المسائية، وأطفالي كل واحد منهم في غرفته يستذكر دروسه، أو يمضي وقته فيما يحب، وأنا نائمة رأيت منامًا عجيبًا، رأيت أني دخلت غرفة ملابسي لكي أبدل ثيابي، وهناك في منتصف الغرفة كان طافيًا في الهواء أجمل طفل رضيع رأته عيناى، أبيض البشرة كلقطن، شعره الكستنائي الذهبي طويل لأسفل رقبتة، لديه

قصة (غرة) في مقدمة شعره متموجة وطويلة على الجانب الأيمن، ملامحه وسيمة وبريئة، وكان يرتدي لباساً أبيض قطنياً، ملفوفاً في بطانية صوفية بيضاء ناعمة، وقدماه الصغيرتان تتمردان وتخرجان من تحتها، ويدها تلعبان في الهواء، وهو طافٍ كقطعة سحاب صغيرة. منظره خلب لبي، فاقتربت منه، وإذا به يمد يده الصغيرة ليمسك إصبعي، كانت لمستته ناعمة رقيقة، سعدتُ بها جداً، ثم في لحظة إدراك عرفت أنه جني.

تبّاً لمخاوف البشر التي تجعلهم يتصرفون بغوغاء وتهور بسبب هذه المخاوف؛ إذ وجدتي أخاف منه، وتسكنني الخيالات لعله يرغب بمس جسدي والدخول فيه، لا مبرر لاتهاماتي سوى خوف البشر الغبي من الخلق الآخر، عند ذلك أخذت أذكر الله وأقرأ آية الكرسي، فسبح الطفل في الهواء مبتعداً ليخرج من غرفتي، ولكن لأنه لا يزال ممسكاً بإصبعي؛ سحبني معه حتى خرج من جناحي، وأصبحنا في الصالة الخارجية الموجودة في الطابق الثاني الذي به غرفتي، حينها ولا أدري كيف وجدت يدي الأخرى بها سائل لزج، فعرفت أنه زيت زيتون مقروء عليه الرقية الشرعية، وبكل غباء أخذت أدهن به ذراع الطفل حتى يفلت يدي؛ فأخذ الطفل يتململ مني ويرغب بأن يرتفع للأعلى، كيف قسوت على طفل رضيع بريء؟!

في تلك اللحظة شعرت بكيان قادم من الأسفل؛ فالتفتت للخلف لأرى امرأة تصعد الدرجات من الأسفل متجهة للأعلى، وكانت رشيقة ترتدي ثوباً حريراً أبيض اللون، وتمشي كمشية الملكات متبخرة، وهالتها تحمل قوة مخيفة، عندما وصلت إلى الطابق الثاني صرخت بغضب هائل قائلة:

- اتركي طفلي!

حينها فز قلبي ونظرت نحو الطفل الرضيع، فأدركت أنه (جَمْنون)، حينها صرخت بلوعة ومددت ذراعي نحوه؛ لكيلا يرتفع ويتركني. سحبته وضممته إلى صدري

بحب وحنان وأخذت أبكي بندم، فإذا بالمرأة التي فهمت وقتها أنها والدته تهتف بسخط وكره:

- اتركه فأنتِ لا تستحقينه.

ضممته إلى صدري بقوة وهو يستكين فيه وقلت بؤله:

- لا لال لن أؤذيه أقسم لكِ.

حينها صرخت بغضب وهجمت عليّ من الخلف بسرعة جعلتني من الرعب أنتفض؛ لأجد نفسي غارقة في عرقي وعلى فراشي. كان قلبي ينبض بقوة هائلة في صدري، حتى كاد يخرج منه والدموع تسيل بغزارة على خدي. هتفت بلوعة:

- (جَمْنون) (جَمْنون) أنا آسفة آسفة.

شعرت بحقارتي وأنا أؤذيه للمرة الثانية، شعرت بدناءتي وأنا أدرك بما لا يحمل مجالاً للشك أن والدته أرادت أن أعرف أنه لا يزال في نظرها طفلها الرضيع الأثير، وأنا كنت أؤذي طفلها البريء.

لم أشعر وقتها بوجود (جَمْنون) حولي فنهضت هلعة من فراشي لأبحث عنه، خرجت من غرفتي لأقف في المكان نفسه الذي كنت أقف فيه في منامي وأنا أدهنه بالزيت، وهناك وأمام عيني المذعورتين، رأيت طرف ذيل ذلك الفستان الأبيض الطويل، وهو يتجه نزولاً إلى الأسفل.

سقطت على الأرض وأنا أدرك بهلع أن تلك أم صديقي (جَمْنون) هنا في منزلي حقيقة لا خيالاً.

لم أكن أعرف أن هذه الزيارة ستغير قصتنا تمامًا وستتخذ منعطفًا جديدًا.

الأم والابن والحبيبة

(جَمْنون) بعناد:

- لن أرحل عنها يا أمي.

هتفت والدته بغضب:

- إن لم تحضر معي برضاك فسأخذك عنوة.

نظر إليها وقال بابتسامة واثقة:

- تعرفين أنك لن تستطعي إجباري.

قالت له بحدة:

- يا بني افهم، أنت الآن في العمر القانوني اللازم لترسيمك كولي للعهد؛ وإلا فسيجتمع الكبار ويرشحون غيرك من أبناء العمومة بتهمة الإهمال.

عض (جَمْنون) على شفته وقال:

- أرغب يا والدتي بالملك، ولن يكون هناك ولي عهد غيري، ولكن لماذا لا يؤجل الأمر؟

هتفت أمه بحدة:

- لأن هذا هو العرف؛ ففي عمر العشرين يجب أن ترسم كولي عهد كما تعرف، وبعدها يحق لك الترسيم كملك في حضرة والدك.

قال (جَمْنون) بشك:

- أخشى إن ذهب معك أن تغدروا بي وتحرموني من (منى).

صاحت أمه بغل:

- ألا تبأ لهذه الإنسية.

صاح (جَمْنون):

- لا تشتميهما إن كنتِ حقًا تقدرين ابنك.

نظرت نحوه بغل ونظرة مخيفة ترسم في عينيها، أوجس منها جَمْنون خيفة حين قالت:

- أقدر ابني أكثر مما تتخيل، ولن أرضى بأن يقف أمام نجاحك أي أحد كان، فأنت الطفل الذي حلمت به؛ ليحمل هذا الملك على كتفيه.

كانت (منى) تستشعر وجود طاقة هائلة في منزلها، وعندما شعرت أخيرًا بوجود (جَمْنون) جوارها سألته بخوف:

- أمك، أمك هنا، لقد زارتني.

قال بهم:

- أجل إنها هنا.

بخوف سألته:

- لماذا؟ لماذا جاءت؟

بضيق أجاب:

- حتى أذهب معها وأترسّم بشكل رسمي وليًا للعهد.

في تلك اللحظة شعرت (منى) بوالدته الملكة تقف قريبة منها، ببعد مترين و(منى) تجلس على أريكة الصالون، بل إنها رأتها كضباب أبيض لوهلة، هنا قالت منى بصوت مسموع:

- أفهم شعورك كأّم فأنا أم كذلك.

تكهرب الجو وشعرت بشحنات عالية في المكان أكملت حديثها:

- إنه رجل مسؤول وصادق ولن يتخلى عن مسؤولياته.

همس لها جَمْنون:

- لا تكلمي الحديث إنها نائرة الآن.

زفرت منى بهم وصممت، حاولت طوال اليوم ألا تركز في وجودها ومخاوفها، وعندما نامت شعرت بحضور حقيقي لجسد يجلس على سريرها، توترت وهي مغمضة عينيها، تمنّت أنه جَمْنون ولكن هذا الحضور يختلف، حينها شعرت بقارورة ماء تقترب من شفيتها، بدون تفكير كالمنومة مغناطيسيًا، رفعت رأسها قليلاً لتشرب، وحين أخذت أول رشفة سمعت صراخ جَمْنون وهو يضرب القارورة:

- لا تشربه!

استوعب عقلها حينها فبصقت بقوة الماء الذي كان طعمه غريبًا، وفتحت عينيها لترى امرأة رشيقة تجلس بجوارها على السرير وشعرها الأسود طويل ينسدل على الفراش وترتدي فستانًا أسود وقد ثارت وغضبت؛ لفشل خطتها في أن تشرب

(منى) الماء المسحور. أخذت أم جَمْنون تتخبط مكانها في غضب وهي تصرخ
بقهر وغل:

- لعنة الله عليك يا ملعونة!

انتفضت منى وجَمْنون يغطيها بجسده ليحميها من سخط أمه وهو يهتف قائلاً:

- أمااااه يكفيي يكفيي!

قالت منى بشجاعة وهي تستجمع شتات نفسها:

- ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. الأنفال 30.

صرخت والدة جَمْنون بقهر واختفت، حينها ارتخى جسد منى فأحاطها جَمْنون
بطريقة جعلتها تنام وتغيب عن الوعي.

حينها اندفع نائراً نحو أمه التي كانت تشتعل غضباً وحين رآته صرخت به:

- ما الذي جاء بك وأنت كنت مشغولاً عني؟ كيف أتتك الجرأة على عصيان
والدتك؟

زجرها بغضب هادر:

- بل كيف جاءتك الجرأة أنتِ لتؤذي حبيبتي؟ أما كفالك الوسواس الذي أرسلته
من قبل لتؤذيها من جديد؟! وبماذا؟ سحر! أتلقين عليها لعنة؟ أصبحت تلجئين
لهذا الفعل السوقي؟

صرخت بقهر قائلة:

- من يآسي وخوفي عليك.

صرخ جَمْنون بحرقه:

- أتخافين عليّ فتقومين بتدميري؟! ألا تعرفين أن وجعها يقتلني؟

انتفضت والدته بغل واحمرت بشرتها وعيناها وقالت بصوت مختنق:

- ولا تعرف أنك الآن تقتلني؟

زفر جَمْنون بقهر والألم يعتصر قلبه، حينها تدخل شامر وأخذ يهدئ من ثورة الملكة.

فأدار لها جَمْنون ظهره وقال بحزن وقهر:

- لا تفقدي ولدك بألاعيبك هذه، أرجوك لا تخسري احترامي لك.

قالها ورحل فانهارت والدته باكياً وهي ترى نظرات خيبة أمله فيها.

العقل أم القلب؟

(تحكيها منى)

شعور غريب اكتسحني عندما استيقظت من نومي وكانت ذكريات الأمس مع والدة (جَمُنون) أول ما تذكرته حينما فتحت عيني. كانت ذراعاه الدافئتان تحيطان بي، همست له بخجل متخاطرة:

- شكراً لأنك ساعدتني، ولا تغضب من أمك.

زفر بخجل وخيبة وقال:

- لا تشكربني، بل أرجو أن تعذريني وتعذريها على تصرفها المخجل.

قلت متسائلة:

- أتكهني والدتك إلى هذا الحد؟!

قال برقة مراعيًا شعوري:

- لا أظنها ستكرهك لو عرفتك جيدًا، إنها أم تخشى أن يضيع الملك من يدي ولدها.

في حيرة وقلق سألت:

- ولماذا يضيع؟ لأنك تحب إنسية؟

عم الصمت المطبق فخفت وقلت:

- لا تصمت هكذا، أخاف ألا أسمع صوتك ثانية، تكلم أخبرني الحقيقة، لا تخفِ علي شيئاً.

تنهد وقال:

- إن لم أذهب معها الآن فلن أترسم كولي للعهد بشكل رسمي، سيذهب الملك لغيري.

صُدمت مما سمعت، هل ممكن أن يحدث هذا وهو لا يزال يافعاً؟ هل سيحرم من إرثه بسببي؟ هل يترسم غيره إن لم يذهب الآن؟ ظننت أن الأمر مؤجل وليس ملزماً.

كان يسمع حديث نفسي فيتفاعل جسمه الأثيري؛ لأشعر به أكثر، هنا حسمت أمري وقلت بصوت مسموع أوجه الحديث له ولوالدته:

- لن يُحرم من حقه بسببي أو لأي سبب كان، يا أم (جَمْنون) هل تسمعيني؟
همس جَمْنون بألم:

- إنها تقف هناك عند النافذة.

ارتجفت لثانية ثم سحبت نفساً وقلت جادة:

- أنا لا أقبل لابنك الأذية فهو غالٍ علي، كما أنني أم وأتفهم شعور الأم التي تخاف على مستقبل أبنائها.

ثم بعتاب قلت:

- لم يكن هناك داعٍ لأن تهجمي علي، وتفكري أن تسحربي.

تهدج صوتي قليلاً رغماً عني حين قلت:

- لا داعي لأذيتي، ولا داعي أن تضغطي عليه هكذا، إنه رجل مسؤول، كما أنه شخص حنون لا يرضى لأحبابه الضميم، يكفي أن تخبريني بخوفك عليه وأنا معك في ذلك.

لا أدري لماذا حينها أخذ قلبي يختلج في صدري؟ سكت حينها وأنا أشعر بهالتها وطاقتها في الغرفة تتضخمان، و(جَمْنون) بجواري جسده ساخن انفعلاً من حديثي.

هنا قلت بلا وعي:

- إن كان مستقبلك على المحك فإذاً يجب أن ترحل (جَمْنون) لتأخذ حقلك، أما أنا فسأكون هنا دائماً في انتظارك.

لماذا أشعر بقلبي يختلج جزعاً؟ سحبت نفساً عميقاً أملاً به صدري، ثم قلت بعجالة وأنا أهرول إلى الحمام:

- اذهب وأنا سأنتظر زيارتك لي كلما سنحت لك الفرصة.

دخلت الحمام فأغلقت الباب ورائي لأجد نفسي لا أدري كيف ولماذا أجهش بالبكاء، ففتحت صنبور المياه ليغطي على صوت بكائي وشهقاتي، حتى لا يسمعها جَمْنون فيحزن.

إلا أنه كان يضع يده على الباب من الخارج ويسند رأسه عليه وعيناه مغمضتان بتأثر، والدموع وجدت لها طريقاً في وجنتيه، سمعته يهمس من خلف الباب:

- حبيبتي لا تبكي أرجوكِ افتحي الباب.

بصوت حاولت السيطرة عليه قلت:

- لا تدخل، أنا لا أبكي، إنما أستخدم الحمام.

هل دخل مختربًا الباب ووقف ورأيي، أم أن إحساسي به أخطأ؟

نظرت إلى المرأة ووجهي أحمر ومبلل بالدموع، وقلبي يخبرني بأن (جَمْنون) ينظر لانعكاس وجهي وأنا أبكي، هنا غسلت وجهي بسرعة وتنشقت هواءً زائفاً، ثم خرجت من الحمام أدّعي القوة، وأقنع نفسي بأنه لا يزال في الخارج ينتظر خروجي، حينها قلت لوالدته بحسم:

- سيذهب معك، ولكن على أن يزورني، ولا تحرميني منه.

رحيل لا بد منه

(يحكيها جَمُون)

فطرت قلبي (منيّي)، كانت تتصنع القوة، لكنها تتمزق من الداخل، لماذا؟ هل تدرك لماذا؟ إن كنت في حياتها مجرد صديق، أو حتى أعز صديق، فهل يستدعي منها هذا الألم كله؟ هل ستدرك يومًا ما سبب هذا الجزع؟

قاطع أفكاري (وليد) عندما رأيته يدخل صالة المنزل، بعد أن نزلت (منى) إلى الطابق الأرضي؛ فاستقبلته (منيّي) بلطف وجلست تتحدث معه بلطافة وخفة دمها المعتادتين، فهي لا تظهر ألمها، بل تبقى مرحة ولطيفة حتى أثناء الألم.

أخذنا يشربان القهوة التركية حين جاءت أغنية راقصة على التلفاز، فقامت (منيّي) ترقص باحترافية وفن ل (وليد) الذي أخذ يضحك ويهتف لها بحماس، أجواء المرح هذه جعلت والدتي تقف بجواري وتقول بغیظ:

- أرايت؟ إنها تحب زوجها وترقص له بكل وقاحة ناسية وجودك! عد مع والدتك وشعبك الذي يحبك.

ضيق عيني وأنا أرى الفجوة في قلب حبيبي وقلت بهدوء وتفهم:

- إنها تدعي المرح وترقص لتخفي حزنها، ثم إنها ترقص لزوجها فما الجرم في ذلك؟! من حقها أن ترقص ومن حقها أن يراها، أليس زوجين؟

زفرت والدتي بغیظ ونظرت نحوي بحدة وقالت ساخطة:

- لا أفهمك! حقها نعم حقها، فلماذا إذاً ترغب بها وهي لغيرك؟

اعتصر قلبي الألم لكلماتها، فقلت من بين أسناني:

- إنها لي ولو بعد حين هي ترقص له بلطف وحب، ولكن أنا عشقها الماضي والحاضر والقادم، ولا أمانع أن تحيا حياة زوجية مستقرة وكريمة مع رجل يعشقها ويقدرها، وبيت أسرة دافئ لها ولأطفالها، وأنا معها أراعيها وأحبها وأحميها.

صرخت أي بغل:

- يا (جَمُنون) عد إلى وعيك.

التفتت نحو والدتي بهدوء ونظرت في عينيها وقلت:

- ألم تعرفي منى إلى الآن؟ هل سمعتِ كيف فضّلت نجاحي على بقائي؟

قالت والدتي مراوغة:

- نعم.. لأنها لا تهتم إن بقيت أو رحلت.

بغضب قلت:

- خطأ، بل لأنها ليست أنانية، وفضلت أن أكون بخير، هل فقدتِ قدراتك يا أمي؟
ألا ترين هالتها الحزينة؟

كبرت والدتي وأبعدت عينيها عني وقالت وهي تنظر إلى حبيبي بعناد:

- إذًا تعلم منها ولا تكن أنانيًا تفضل رغباتك على أهلك وشعبك.

غاص قلبي لحديثها وأنا أشعر بالضيق والخناق الذي طوقوني به، كنت أخشى أن لا يسمحوا لي بالعودة، وأعود إلى نقطة البداية بعد أن قطعت شوطًا كبيرًا حتى أستطيع الاستقرار مع حبيبي؛ لذا نظرت نحو والدتي وقلت بحسم:

- لا أثق بكم، لذا لن أرحل معكم حتى لو خسرت ملكي.

بجزع صرخت أمي، ولكني رحلت من عندها واتجهت نحو معشوقتي، والتصقت بظهرها وأخذت أتمايل معها وهي لا تزال تتمايل مع الموسيقى.

عندما استلقت معشوقتي على وسادتها لتنام، احتضنتها رغم نظرات أمي الساخطة وهي تراقبني من بعيد رافضة أن ترحل خالية الوفاض، لم أعرها انتباهًا، بل أصغيت السمع لأفكار حبيبتي وهي تفكر بهلع، هل حقًا سيعود لزيارتي، أم أنهم سيبعدونه عني؟ ماذا لو تراكمت عليه المهام حتى لم يجد وقتًا لزيارتي؟ هل سيغيب عني بالأشهر أو ربما سنة، أمعقول أنه سيطلق فراقى؟

تململت في فراشها وانقلبت على شقها الآخر محاولة طرد الهواجس عنها والنوم، ولكن ما هي إلا لحظات حتى تساءلت مع نفسها، هل سأعود وحيدة من غيره؟ أعود إلى تلك المرحلة التي عشتها بدونه؟

في تلك اللحظة انقبض قلبها فوضعت يدها عليه محاولة أن تتماسك، وتقاوم دموع عينيها وأنفاسها حتى لا ينتبه لها (وليد)، احتضنتها بقوة أكبر؛ لأهدئ روعها وأنا في داخلي أؤكد أنني لن أفطر قلبها، ولن أتركها ما حبيت.

في اليوم التالي كانت (منى) هادئة على غير عاداتها، أنهت بعض أعمالها ثم جلست بهدوء في غرفة المكتب، وقالت بصوت عالٍ مسموع:

- (جَمْنون) أنت هنا، أليس كذلك؟

هتفت لها بحب كبير:

- لبيك وسعديك أنا هنا.

ارتجف جسمها للحظة، ثم زفرت وقالت بصوت جاهدت أن يكون جادًا:

- وهل أمك هنا؟

بقلق أجبت:

- نعم.

هنا سحبت حبيبي نفسًا وقالت بشجاعة وحسم:

- سموك أنا أم وأشعر بك؛ لذا سيذهب معك (جَمْنون) على أن تعاهديني على أن يزورني دائمًا، وألا يغيب عني فترات طويلة فأنا...

هنا تهدج صوتها حين قالت مقاومة دموعها:

- فأنا لا أطيق فراقه.

تفاجأت والدتي لهذا الكلام، ولكني همست لحبيبي برجاء وقلت:

- أنا الذي لا أطيق فراقك، وأخشى أن يجبروني على الغياب لفترات طويلة.

انتفض قلبها وهزت رأسها وقالت بقوة موجهة الحديث لوالدتي:

- عاهديني ألا يغيب عني مطولاً.

ثم برقة وجهت حديثها لي:

- وأنت (جَمْنون) لا تقلق، أنا هنا أنتظرك كل لحظة، أدعوك وأتذكرك، لا تحرم نفسك وأهلك من النجاح واستمرار الملك، وعدني ألا تنساني.

ارتجف صوتها وأخذت دموعها تسيل عند هذه النقطة؛ فصحت بجزع واحتضنتها وقلت وأنا أبكي رغماً عني:

- أنساك؟ أنا أنساك؟! لو كان نسيانك سهلاً لحدث منذ زمن مضى، أنا لا أتنفس ولا أعيش بدونك.

بكت وقالت برجاء:

- إذا اذهب مع أمك ولا تفطر قلبها، وأنا أثق بحبك لي وسأنتظرك دوماً.

كانت أمي تشاهدنا بذهول وحيرة، كانت تتعجب من هذه الإنسية التي تبكي من أجل جني ولا تطيق فراقه، رغم وجود زوجها وأطفالها! انتفضت والدتي عندما نظرت نحوها مني التي لا تراها، ولكن تستشعر وجودها، بصرامة وحسم قائلة:

- عديني بأنه سيزورني ولن يغيب عني لفترات طويلة؛ وإلا فلن أدعه يرحل معك.

بصدمة نظرت نحوها أمي التي أذهلتها هذه القوة وذلك التهديد! أخذت أراقب رد فعل أمي حين تنهدت باستسلام وقالت بصوت مسموع:

- أعدك.

انتفضت (مني) عند سماعها لصوت أمي، كما انتفضت أنا دهشة للمسار الغريب الذي أخذته الأحداث! حينها نظرت والدتي نحوي برقة وقالت:

- الآن يا ولدي لا حجة لك لتبقى فهذه الإنسية نجحت في جعلك تعود لملكك وأن تأخذ مني وعداً لن أخلفه قط.

صمتت للحظة وهي لا تزال في حالة ذهول، وأخذت تنظر نحو (مني) نظرة مختلفة عن السابق، ثم استطردت قائلة:

- بعد ثلاثة أيام سرحل لأن القمر سيكون بدرًا مكتملاً، وحينها يكون ترسيمك الرسمي.

لم أنبس ببنت شفة، فقد حسمت (منيّتي) الموضوع، ولم يكن بيدي سوى
السمع والطاعة، وقلبي راغب بالعودة في أسرع وأقرب وقت ممكن.

(8)

العشق الكامن الخامد، يختبئ بصمت في عمق القلب
والشعور

ينتظر اللحظة الحاسمة: لينفجر هذا البركان الثائر
وحممه لا يستطيع أحد أن يوقف ثورتها.

هرخة الحب

(تحكيها منى)

لا أدري في أي وعي كنت خلال اليومين الماضيين حتى جاء اليوم الموعود لرحيل صديقي الغالي، كنت أتصرف، أتكلم أبتسم دون شعور، والآن جاء اليوم الموعود دون أن أدري متى وكيف أتعامل معه؟

كنت تائهة فاحتضنني (جَمْنون) وأنا على فراشي قبل وقت الظهيرة استعدادًا لرحيله، حضنًا قويًا شعرت به يتخلل روحي، انتفض قلبي رهبة وأنا أسمعهم يهمس بحنان عظيم:

- كوني بخير، وسأكون جوارك سريعًا.

طأطأت رأسي في فهم وعلى وجهي أمارات الضياع.

قال لي من بين دموعه:

- لا أطيق بعدك (منيتي) ولكنني سأفعل ذلك لأجلك ولأجل أمي.

ابتلعت غصة كادت تفضح دموعي وقلت له بصوت متهدج حاولت السيطرة عليه:

- أرجوك انتبه لنفسك، وكن بخير وافتخر بذاتك، خذ الملك فهو من حقك، كن سعيدًا ولا تحزن، فأنا دائمًا موجودة وفي انتظارك.

شعرت بقبلة ناعمة على خدي حين قال بصوت باك:

- إلى اللقاء يا قطعة من قلبي، بل قلبي نفسه.

قالها وشعرتُ بحضنه يختفي، برودة عمّت المكان، والدفء الذي كنت بين أحضانه رحل وخلف من بعده الفراغ.

جلست على سريري بجزع، وأنا أستشعر فراغًا عمّ منزلي، فقد رحل الكل، رحلوا جميعهم بعد أن ألفت وجودهم، بل الأدهى هو رحيل صديقي؛ فشعرت بأن روحي رحلت معه.

أخذت بخطوات ضعيفة أتجول في منزلي لعلي أجد أحدًا ما منهم، ولكن لا أحد، البيت خال، ولكن الأسوأ قلبي أنا الذي صار باردًا، وكأن الدماء والدفء والحياة انزّعت منه.

شهقت بقوة وألم حقيقي وأنا أشعر بقلبي يعتصره الألم حتى شعرت بفراغ وتجويف في جوفي، وضعت يدي على قلبي أمنعه من أن يتوقف عن الحياة، ولكن حينها شعرت برجفة في ساقى اللتين لا تكادان تحملاني.

عدت متهالكة نحو غرفتي، ولكن ساقّي لم تكونا تحملاني؛ لأصعد الدرجات الفاصلة بين الطابق الأرضي والعلوي.

يا إلهي ما هذا الذي يحدث لي؟!

لم أختبر في حياتي كلها مثل هذا الألم والشعور وردة فعل جسدي على هذا الوجع، أشعر بالخواء وكأنني سأسقط في هاوية لا قرار لها.

وضعت يدي على حاجز الدرج واستندت عليه لأصعد ببطء وثقل شديدين، كنت ألهث وأنا في حالة جزع شديد، هل حدث لي شيء بعد ذهاب الجن؟ أهو شيء فسيولوجي أم لعنة؟

حين استطعت أن أمسك بمقبض باب غرفتي سمعت الإجابة في رأسي:

- بل الفقد والوجد.

نظرت بذهول نحو مقبض الباب وصوت عقلي ومشاعري يجيبان عن تساؤلي، ضغطت بقوة على قلبي ودخلت غرفتي وأنا أرتجف لا أكاد أقوى على السير، فقدماي ثقيلتان وكأنهما جثة لا حياة فيهما. رميت نفسي على فراشي كيفما نزلت، فلا طاقة لي أن أختار وضعية مريحة حينها، والبرودة تلفني، انهمرت دموعي كسيول غزيرة، شهقت في بكاء مرير.

ما الذي ألمَّ بي؟

أعرف أنني سأفتقده، ولكن لماذا هذا الألم المبرح في قلبي وروحي؟ لقد غاب عني من قبل، فلماذا الآن وأنا أعرف أن غيابه مؤقت؟ أأكون هكذا؟

أنا لم أختبر هذه المشاعر من قبل!

كنت أشتاق، أحزن في غيابه، كنت أشعر بالضيق، ولكن هذا الوجد شديد، ثم لماذا قلبي يؤلمني؟

فجأة وضعت يدي على معدتي وأنا أشعر بها تغوص داخلي، وكأنها ستختفي مخلفة فجوة أليمة، يا إلهي هل سأموت؟

صرت أتقلب على فراشي كالمحمومة وبكائي يزداد أكثر وأكثر، وأنا أدعو الله أن لا يدخل أحد من أبنائي علي، وأن يتأخر (وليد) على المنزل.

كيف أواجه الألم، قررت أن أعمل على بحثي للجامعة؛ لعلني إن انخرطت في العمل ينشغل ذهني عن التفكير به، وقلبي عن هذا الشعور الغريب.

فتحت كمبيوترتي المحمول ووضعت على حجري وأنا ممددة على الأريكة في

الصالون، أردت حقيقة أن أكون في مكان به حياة ودفء، أطفالي يشاهدون التلفاز، الخادمة تجيء وتروح وهكذا، ولكنني وضعت سماعات للأذن حتى أستمع إلى الأغاني من جهازي المحمول؛ لكي أستطيع التركيز في كتابتي، وهنا وكأن الكون تآزر مع وجعي ووقف في صف (جَمَنون)، إذ بأغنية (كارول سماحة) تصدح من برنامج اليوتيوب:

«أقول أنساك أحن أكثر

ولا أرتاح ولا أقدر

وحاعمل إيه يا حبيبي

حياتي معاك»

هنا سألت دموعي بغزارة لا قدرة لي على إيقافها، وكأنها تتساقط لا إرادياً، فزع أطفالي وتقدمت نحوي (إيلين) جزعة تسألني:

- ماما لماذا تبكين؟

لم أعرف بماذا أجيب، فقلت من بين شهقاتي:

- تذكرت قصة أثناء كتابتي وأشعر بالتعاطف معها.

أخذت تمسح دموعي التي رفضت أن تتوقف، جاء ابني (سيف) يحتضنني، بينما ركضت (تولين) إلى المطبخ لإحضار كوب من الماء، أخذت أشربه وأنا أتضرع إلى الله أن تهدأ نفسي، فما يحدث لي كثير لا أقوى على فهمه أو تحمله!

مر على غيابه ثلاثة أيام وكأنها ثلاث سنين، في المنام وجدت نفسي أشاهد مشهداً لا يمت إلى عالم الإنس بصلة، ولا أدري أكانت بصيرة ورؤيا وهذا الأرجح، أم إسقاطاً نجمياً؟

رأيت ظهر صديقي الحبيب (جَمْنون) وهو يقف يرتدي ثوبًا من الحرير الأسود، والمطرز بالذهب، وعلى كتفيه عباءة سوداء، وشعره يصل إلى كتفيه، وعلى رأسه تاج من الذهب، كان واقفًا أمامي، وكأني كاميرا مشاهدة له من خلفه بمسافة بسيطة، كان واقفًا على مسرح مرتفع، وبجواره رجل ذو هيبة شعرت بأنه والده، فأنا لم أر وجهه، وأمامهما نصب من الرخام الأبيض تشتعل داخله النيران، فكان شعلة كبيرة، وأسفل من هذا المسرح المرتفع وعلى مد البصر أناس كثر أو نقول جن، كانوا يشاهدون الموقف في حماس وهدوء، وهنا تقدمت امرأة في منتصف العمر ترتدي ثوبًا حريريًا طويلًا أسود اللون، عرفتها، إنها والدته التي تقدمت بحماس، يحيطها رجال جثوا على ركبهم أمام (جَمْنون) ووالده الملك، وهنا أخرجت أمه خنجرًا ذهبيًا من تحت طيات ثيابها، بينما أخذ رجل جاثٍ على ركبتيه طاسة فارغة مصنوعة من الذهب، ووضعها فوق مستوى رأسه، حينها تقدمت الملكة، فمد لها (جَمْنون) يده اليمنى وهنا شاهدت والدته تجرح بالسكين راحة يده فسالت منها الدماء التي انسكبت داخل الطاسة الذهبية، حملت والدته الطاسة والدماء داخلها ورفعتها بيديها إلى الأعلى؛ ليشاهدها الشعب، فتعالت الهتافات الحماسية.

استيقظت ولم أكمل ما جرى، إلا أنني تبسمت حينها، وعرفت أن هذه البروتوكولات تعني أنه ترسم كولي عهد لوالده الملك، وكان العهد بدمائه، كم فرحت لرؤياه وإن كانت فقط لمحة خفيفة من خده الأيمن، وتساءلت هل تألم أم أنه يعد خدشًا بسيطًا بالنسبة إليه؟ ثم تفكرت بأن طريقتهم غريبة، وأني بالفعل شاهدت الجن وقبيلته ويبدو الثراء واضحًا عليهم، ويا هيبة المكان!

فرحت إذ شعرت بأني كنت معه وجزءًا من الأحداث، أغمضت عيني ببسمة هائلة لرؤياه، وكم تمنيت أن أرى المزيد، ولكنني عندما نمت لم أشاهد أكثر من ذلك

عندما استيقظت كاد الشوق يقتلني، لم أعد أسمع صوته وحديثه، المشاهد أمامي

باردة، عندما أشاهد فيلمًا ما أجدني أعلق معه وكأنه يسمعي، ثم أدرك أنني أتحدث مع الفراغ فيقتلني الحنين أكثر، لقد فقدت صوابي.

مرت الأيام وكأنها شهور، كنت أبكي في اليوم أكثر من مرة، أنوح وكأن مات غالٍ لي، أحيانًا وأنا على سريرتي تخنقني العبرة، فأحاول أن لا أظهر في أنفاسي أو صوتي ما يدل على بكائي؛ حتى لا يسمعي (وليد)، إلى أن وصلت إلى مرحلة لا أستطيع فيها حبس دموعي فاتجهت مسرعة إلى الحمام، وهناك أفتح صنوبر المياه حتى تتدفق لعلها تغطي نواحي، أبكي بانهيار ووجع على الأرضية، قلبي يكاد يعتصر حد التلاشي، أشهق بألم ولا أدري كيف أتصرف، خرجت من الحمام بعد أن غسلت وجهي، واتجهت إلى غرفة ملابسي أجلس بهدوء، وأدعو وأبتهل إلى الله أن يربط على قلبي، كنت في حالة ذهول وحيرة مما أمر به، لماذا؟ لماذا؟

اتجهت نحو المرأة وأخذت أتأمل وجهي المحمر، كم تمنيت وقتها أن أرى انعكاس (جَمُنون)، لكن لا انعكاس سوى وجهي الذابل من كثرة البكاء.

هنا أخذت أتجاوز مع نفسي ماذا بك؟

لماذا هذا الألم الفظيع في قلبك؟ وكان حفرة وجدت نفسها في أحشائك التي أخذت تتقطع من الشوق، من الحب...

الحب!

ماذا؟

ما الذي تفوهت به؟

الحب! لعل قصدي حب الصداقة والعشرة والمشاعر.

حينها شعرت بقلبي ينبض بسرعة جنونية، ومشاعر حب غريبة لم أجربها من

قبل تجد طريقها؛ لتنتفض داخل شرايين قلبي، وتنتشر في عروق جسدي وأنا أنظر نحو انعكاسي في زهول! ولحظة إدراك تفرض نفسها، وأنا أسمع نفسي تقول بحسم وصدمة:

- نعم الحب. إن لم يكن هذا هو الحب فماذا بالله سيكون؟ إنه الحب، حبي له.

شهقت ذاهلة وجلست على الكرسي المقابل للمرأة، ووضعت يدي على قلبي ورعشة غريبة تسري فيه وهمست لنفسي برقة واعتراف:

- حبي للجنبي الذي كنت أرفض حبه، حبي للغالي وصديقي من عالم آخر، حبي للشخص الذي أجده مثل روحي، وبدونه أشعر بالضيق والفراغ، حبي لرفيق الطفولة وعنفوان الشباب، حبي ل (جَمْنون).

شهقت ووضعت يدي على شفتي وأخذت الدموع تسيل بجنون أكثر، أيعقل هذا؟!

ركضت إلى الحمام من جديد وأخذت أغسل وجهي بالماء البارد الذي امتزج مع حرارة دموعي، ثم دست نفسي في فراشي أغمض عينيّ لينام جسدي المجهد، وروحي المتعبة، واكتشافها العظيم.

صوت القلب

بعد أسبوعين ثقيلين من غياب (جَمُنون) عن (منى)، كانت نائمة و(وليد) لديه مؤتمر في لندن مدة ثلاثة أيام، وفجأة شعرت بالدفء يغمر جسدها، ارتعشت وهي تدرك معنى هذا الشعور اللطيف وكأنها محاطة بسحابة حاضنة، ارتجف قلبها وهمست بأمل وترقب:

- (جَمُنون) أهذا أنت حقًا، أم أني واهمة؟

ضمة قوية شعرت بها وصوته المشتاق الهامس يقول:

- نعم أنا يا حبيبتي، يا إلهي ألاكم اشتقت إليك.

انتفضت (منى) فرحةً ونزلت دموع السعادة دون سيطرة وهمست غير مصدقة:

- أهو أنت حقًا؟ (جَمُنون) (جَمُنون) أعدت إليّ؟ يا إلهي لا أصدق نفسي، يا للسعادة!

ضمها بقوة وهمس بصوت باكٍ:

- هل اشتقتِ إلي فعلاً؟ مت ألف مرة بدونك.

همست بآلم وصدق:

- أنا لم تعد ساقاي تحملاني، شعرت بالضياح والدموع تسيل دون سيطرة عليها.

صمت لحظة يتأمل كلماتها، اقترب من وجهها الذي يعشقه وأخذ يتأمله، فرأى

آثار البكاء محفورة على خديها، رأى الحزن والذبول اللذين لا يراهما البشر بدقة،
ضمهما في وجد وأخذ عقله يتساءل ما الذي مرت به في غيابه؟ وهل اكتشفت
شعور قلبها؟

هتفت منى وجلة لصمته:

- (جَمْنون) هل رحلت؟ لا لا تفعل.

انتفض من أفكاره فضمها بقوة إلى صدره، أخذ يداعب شعرها وهمس لها مطمئناً:

- أنا موجود يا صغيرتي، لا تخافي.

تنهدت في راحة وقالت بحب كبير:

- إلى الأبد.

غص قلب جَمْنون بغم وقال بعد برهة صمت بصوت متألم:

- بل... بل لثلاثة أيام فقط.

انهمرت دموع منى الخائفة من الفراق رغماً عنها، هنا هتف جَمْنون بحنان كبير
وهو يمسح دموعها:

- لا لا تبكي يا قلبي، سأعود، أخذت عهداً منهم أن أزورك كل يوم ثلاثاء.

شعرت بأنامل طويلة ورقيقة تمسح دموعها؛ فإذ بها تتمنى لو تلتئمها، تفاجأت من
أفكارها! ولكن المفاجأة الأكبر كانت من نصيب جَمْنون الذي سمع صوت فكرها،
فابتسم رغماً عنه وشعر بالخجل في حين قالت منى باضطراب:

- وكم ستظل معي عندما تزورني؟

قال لها:

- سأعود يوم الخميس.

بخيبة قالت:

- فقط؟

تنهد وقال:

- أليس أفضل من غياب طويل دون معرفة لميعاد لقائنا؟

طأطأت رأسها في امتنان ورضا تام وقالت بحب:

- أفضل أفضل، على الأقل أعيش بأمل أن أراك كل ثلاثاء، دعنا نتمتع بوجودنا معًا خلال هذه الأيام الثلاثة.

جلست القرفصاء على فراشها بحماس، ثم أمالت جذعها نحوه؛ إذ كانت تستطيع معرفة وجوده من هالته، ارتد جَمُنون إلى الوراء متفاجئًا من فعلها! إذ اقتربت بوجهها منه، وهي تنظر نحوه بحب، وعيناها تلمعان قائلة بحماس:

- لنبق متلازمين هاه، عدني أن نبقى معًا نتسامر، اسمع، أخبرني ماذا فعلت؟ اااا
نسيت أن أقول لك لقد رأيتك يوم التتويج، لا أعرف إن كانت رؤيا، أم كنت هناك
حقًا بجسمي الأثري؟ أتعرف ما رأيت؟

أخذت تسرد له رؤياها وهو لا يكاد يسمع حروفها؛ إذ أصابته الدهشة والحيرة وهو يتأمل هالتها، ونظراتها وصوتها وكل تفاصيلها، أخذ يتنفس ببطء وقلبه يخفق بشدة، حينها اقترب منها وهي مستمرة في حديثها عن أشياء كثيرة، لم ينتبه لفحواها حينما وضع يده على قلبها ونظر بعمق في عينيها، لم تكن تراه بل تشعر به فقط أمامها، أخذت تتنفس بعمق وتكمل حديثها عن الأشياء التي فاتته في

غيابه، وعن ماذا ترغب أن تفعل معه خلال هذه الأيام الثلاثة، وحديث طويل لم يسمعه؛ بل إنه أخذ يسمع صوت نبضات قلبها، وسرعة النبض الذي يكون فقط لقلب عاشق، شهق بتأثر وارتجفت شفاته، ودمعت عيناه وهو يرى لمعان الحب يتلألأ في عينيها، هنا لم يعد يحتمل؛ فاقترب من شفيتها وقبّلها قبلة هانئة عاشقة، ودموعه تمتزج بشفتيه الناعمتين.

توقفت منى للحظات وهي تشعر بقرص ناعم على شفيتها؛ فاحمر خداها ووضعت يديها عليهما وهمست بصوت مختنق:

- هل... هل قبّلتني؟

لم يجبها، بل رمى نفسه في حضنها وضمها إليه ويدها على رأسها، وأخذ يقبل جبينها وخديها وكل ما تطاله شفاته في شوق عنيف، وحب عظيم، وفرحة وإدراك لشعور قلبها، أخذ يتساءل بفرح هل كان عليه أن يبتعد عنها لتدرك شعورها؟ أما كفاها غيابه بعد تلك السنين أم كانت تحتاج أن ينزع نزعاً من بين أحضانها؟

لم تكن منى تقوى على الحديث؛ إذ كانت تشعر بلذة غريبة في أحضانها، وقد أدركت أنه يضمها إليه، ويقبلها هنا وهناك.

لم يعد قلبه يقوى أكثر، فجعل النعاس يغشيها؛ لتسقط بين ذراعيه بوداعة نائمة، أما هو فأخذ ينقش على جسدها وروحها حروف اسمه وعشقه لها.

استيقظت بحماس ونشاط كانت تضحك وترقص وتلعب مع صغارها، والبهجة تعم المكان حتى علقت ابنتها (تولين):

- أي لقد عدت كما كنت، ما أجمل المنزل بضحكاتك.

ضحكت ببهجة وضمتهما بين ذراعيها ثم أخذت تدور معها وصدى ضحكاتها يملأ المكان.

خرجت منى إلى الحديقة والنسيم العليل ينقل لها رائحة الزهور، قالت وهي منتشية:

- (جَمْنون) إني أشعر بحرسك يحيطون المكان شعور بالرهبة والعظمة، أخبرني كيف هو شعورك بعد أن ترسمت بشكل رسمي؟ هل ألمك قطع السكين في راحة يدك؟

ضحك جَمْنون في خفوت وقال وهو يضمها من الخلف وعند أذنها بهمس:

- قطع وصالنا يؤلمني حقًا، أما ذلك الخدش فلا أهتم به.

ارتعشت وحاولت ألا يظهر عليها شعورها، ابتسم جَمْنون لمعرفته بواطن روحها ثم قال:

- رغم النجاح والمراسم العظيمة؛ إلا أنني كنت أشعر بالغم وروحي ناقصة بدونك، لكنني بذلت جهدًا كبيرًا أن أكون عند حسن الظن؛ لذا عندما طلبت زيارتك وافقوا، والآن يا حبيبتي يجب أن أغادر في الصباح الباكر، ألا ترغبين بقول شيء ما؟

دمعة خذلت صمودها فنزلت رغمًا عنها، قالت بحزن:

- مرت الأيام بسرعة وستتركني غدًا!!

عض شفتيه في قهر وضمها إلى صدره أكثر وهمس برقة:

- سأعود بعد أربعة أيام ثقيلة على قلبي.

صمتت منى وأخذت تفكر بأنها ستقاوم ضعفها والحزن، وتنتظره بشوق يوم الثلاثاء القادم، فجأة زل لسانها قائلة:

- ألا ليت الأيام كلها هي الثلاثاء.

انتفض قلب جَمْنون فأدارها نحوه لتقابل وجهه، ورغم أنها لا تراه، لكنها تشعر به، قال لها برجاء:

- لماذا؟ أترغبين أن أكون معكِ دائمًا؟

همست في ضعف:

- نعم!

- لماذا؟

- كيف لماذا؟ لأنك رفيقي.

شد على كتفيها واقترب من وجهها وهمس برجاء:

- وماذا أيضًا؟

ارتبكت مني وشعرت بالحرج، وأخذت تفكر هل عرف ما بداخلها؟ هل سمع صوت قلبها وتفكيرها؟ تلعثمت حين قالت:

- أنت تعرف أنك غالٍ علي.

همس لها مشجعًا:

- هل سأرحل غدًا وقلبي عامر بحديث قلبك؟

شهقت وارتدت للخلف ووضعت يدها على قلبها، وقالت بحرج وتوتر:

- لا، لا تربكيني أكثر مما أنا عليه.

فهم قصدها، إذ إنها مذهولة من شعورها وتحاول استيعابه، رُقَّ قلبه عليها
فضمها إلى صدره وهمس بحنان:

- اهدئي اهدئي يا صغيرتي، ما سيكون سيكون، وكل شيء في وقته الصحيح.

ارتبكت مني وهي تفكر في كلماته، إلا أنها رفعت رأسها نحوه وقالت بمرح:

- (جَمْنون).

- عينيه.

ابتسمت في خجل وقالت برقة:

- أرغب أن أحتضنك بنفسي، أنت من يضمني إليه دائمًا، أرغب أن أفعل بالمثل،
فهل أقدر؟

قرنت قولها بالفعل؛ فأخذت ترفع ذراعيها عاليًا وتلفهما في الهواء، حتى شعرت
بلمس هواء مضغوط تمامًا كالشعور الذي يشعر به المرء عندما يحاول أن يدفع
بيده هواء قادمًا بعكس يده من مضخة قوية. كان شعورًا لطيفًا، حينما توقفت
ذراعاها على جسد خفي؛ فارتعشت أوصالها فرحة ونشوة بذلك، وأخذت تنظر
نحوه وقلبها يرتعش، من يراها من بعيد يظنها مجنونة، تلف ذراعيها في الهواء
وتكلم نفسها، ولكن من يعرف ما بها الآن؛ سيدرك حجم السعادة التي تحياها
منى.

كانت تتأمل في وجه جَمْنون وإن لم تكن تراه؛ إلا أنها ترى صورته مطبوعة في
ذهنها، همست له بصوت متحشرج:

- عد إلي بسرعة، لا تجعل الشوق ينهكني.

كان يرتجف بين ذراعيها وعيناه تهيمان بشوق في عينها، همس بعشق:

- عيناكِ عندما تنظرين إليّ، أذوب فيهما.

خجلت وارتعشت فنظرت إلى الأسفل، فقال معاتبًا بهمس:

- لا لا، لا تبعديها عني، انظري إلي.

رفعت رأسها نحوه ونظرت إليه، فقال وهو يغوص في أعماقها:

- أحبكِ حبًا لو حواه العالم لعاش الكل سعادة، (منيّتي) لقد صب الله حبكِ صبًا في قلبي وروحي.

ارتجفت وظهر العشق في تقاسيمها، انحنى على وجهها وأخذ يقبلها بشغف وهي تذوب من قبلاّته، قال لها بصوته الذائب:

- اتركي نفسك للعشق، فوالله إنه بيد الله لا بأيدينا.

شهقت وهي تشعر بقلبها يذوب بطريقة لم تعرفها من قبل، أخذ يقبلها ويقبلها وهي في أعماقها تصرخ بعشق: يا إلهي أحبه أحبه أحبه!

هنا ابتسم جَمُنون في انتصار وغبطة وهو يسمع حديثها الداخلي، وقال برقة دون أن يضغط عليها:

- هل نذهب إلى النوم، ونكمل حلقة مسلسل البارحة؟

طأطأت رأسها كالمسحورة وتبعته على سريرها شاهدا المسلسل معًا، ونامت في أحضانها، وحلّق بها لعالم عشقه، ثم في الصباح الباكر و(منى) لا تزال نائمة، قبّل خديها وعيناه دامعتان، وأخذ يتأملها وهو يرجو أن تكون بخير دون ألم حتى يعود، سمع صوت حارسه وهو يقول:

- سموك حان وقت العودة الكل بانتظارك.

تنهد بحرقة، ونظر نحوها وهو يمني نفسه أن تمر الأيام بسرعة؛ ليعود لمعشوقته الوحيدة.

رحل فعمت البرودة المكان وارتعشت منى من البرد وقد غادرها دفء أحضانها، استيقظت بعد ساعات أمام الواقع المر؛ فالصمت والبرودة ومرارة الفراق عادت إليها من جديد.

أشغلت نفسها قدر استطاعتها؛ ليمر الوقت دون ألم، ورغم دموعها التي تخونها، إلا أن قلبها كان يطير من السعادة عندما دقت عقارب الساعة، بعد منتصف ليلة الثلاثاء، قبّلت أطفالها واستأذنت زوجها راغبة في النوم، ألقّت نفسها في أحضان فراشها الوثير، وهي تمني نفسها أن تمر الساعات بسرعة حتى يأتي الصباح موعد زيارته، فيدفع فراشها وقلبها وروحها، كان الحماس يسبب لها الأرق، حاولت النوم ولكن آلاف الخيالات والقصص كان عقلها ينسجها، دخل (وليد) واندس في الفراش بهدوء، ظنًا منه أنها نائمة، ولكنها بالفعل ما هي إلا دقائق حتى غطت في النوم.

في الساعة الثامنة صباحًا شعرت بذراعيه القويتين تحيطان خصرها، وشفته تقبلان عنقها، فتنهدت بحبور وغبطة، وابتسمت في هناءة وقالت هامسة بتخاطر:

- (جَمْنون) أخيرًا عدت.

تنهد بدوره وقال بشوق:

- عدت بعد أن غبت عنك دهرًا.

احمّرت وجنتها وقشعريرة لذيذة تغمرها، هناءة ما بعدها هناءة، استكانت في أحضانها نصف ساعة كاملة كان (وليد) قد خرج حينها لعمله، نهضت بانتعاش، بطاقة عالية، طلبت إفطارها من الخادمة وأخذت تزين بحلة جديدة أنيقة،

و(جَمْنون) يتأملها في دهشة، يضع يده تحت خده ووجهه قريب من وجهها، وهو يتأمل كل خلجة من خلجات وجهها، وابتسامتها أشرقت وجهها الجميل، وأشعة الشمس تغمر غرفتها الفارحة بضوء الصبح الجميل، ركبت سيارتها متجهة إلى عملها بالجامعة، أصداء الأغاني تملأ الأجواء، وصوت إليسا العذب الحنون تغني قائلة:

«قبلك قلبي كان

شجرة بلا عصافير

جنة بلا ألوان

فراشة ما فيها تطير

غيرت الزمان

بدلت البرد بدفا»

يرتجف حينها جَمْنون فيحيطها بذراعيه وهي جالسة على حجره تقود سيارتها. وهي تستمع بعد ذلك لأغنية إليسا «أسعد واحدة في العالم».

كان الحرس يتأملون أميرهم في دهشة، ما هذا الحب الذي سلب لبه؟ وهذه الرقة اللامتناهية معها فقط، وهذه الإنسية التي أنسته نساء الجن.

ولكن بعضهم في داخلهم كانوا لا يلومونه على ذلك، والبعض رغم إعجابهم بالإنسية، إلا أن مبادئهم رافضة لذلك، وهم يشعرون أن أميرة جنية أولى به من تلك الإنسية.

ولكنها خواطر تمر في قلوبهم ولا يفصحون عنها خوفًا من غضبه...

نعم غضبه!

فرغم رفته وعشقه مع (منى) إلا أنه مهيب ويخشاه الجميع، خاصة إذا غضب في حق.

رغم حلمه فهو شديد، رغم عناده فهو عادل.

رغم تكبره فهو متواضع، رغم لينه هناك قسوته.

أما عشقه فهو يواسي الكون كله، والجن إذا أحبوا وفوا وأخلصوا وأحبوا بجنون.

كالفراشة كانت تنتقل بين الممرات، مضى وقتها وهي في قمة السعادة، وكانت إذا أصبحت في مكتبها وحدها ضمته إلى صدرها بالآلية نفسها التي فعلتها من قبل، تضمه ولا تراه، ولكنها تشعر به، تحكي له، تمزح معه، تحمر وجنتاها، يتردد صدى ضحكاتها ثم تخفيها بحرص حتى لا يسمعها أحد، وعيناها الشقيتان تنظران إلى (جَمُنون) بمرح، فتضحك مرة ثانية فيشاركها الضحك، كانت تشعر بأنها عادت إلى عمر 17 عامًا، وليس في الثلاثين عامًا، امرأة ناضجة تضحج شبابًا، ولكنها تحب كالمراهقة المفتونة.

جاء يوم الخميس فغاص قلباهما، كم إن الأوقات الحلوة تمر بسرعة. أخذت تصبر نفسها بعودته الثلاثاء، فاجأها (وليد) عندما أخبرها مقترحًا:

- ما رأيك أن نأخذ إجازة ونسافر يوم الأحد مدة أسبوع لأي بلد تختارينه؟

صُدمت منى أن تسافر هذا ما تحب، لكن أن يأتي جَمُنون لزيارتها وهي ليست موجودة فهذا ما لا يمكن أن تسمح بحدوثه؛ لذا قالت متلعثمة وبارتباك:

- هاه إنه عرض مغرٍ حبيبي؛ لكن لا، عندي عمل كثير هذا الأسبوع، ويجب أن أنهى بحثي العلمي وأسلمه، أجل الإجازة لوقت آخر، أو اذهب أنت مع صديق لك إن كنت تشعر برغبة ملحة في تغيير الجو.

اقترب منها واحتضنها بحب وقال معاتبًا:

- السفر معكٍ أمتع من كل أصدقائي، ولكن لن أضغط عليك، وأعدك أن أعوضك بسفرةٍ أخرى، أنا حقًا أرغب بالسفر بعد ضغوطات العمل التي مررت بها.

كانت واجمة تشعر بالصدمة من نفسها، أخذت تأنيب الضمير يهجم على تفكيرها وتساءلت:

- (ماذا أفعل؟ أصبحت أراوغ وأنا التي لا تكذب! ولكن لا رغبة لي في الذهاب، أنا أنتظر عودة حبيبي، ماذا؟ حبيبي! هل أخون ولید؟ هل أنا بحبي ل (جَمُنون) أكون خائنة لزوجي؟).

ضاق صدرها فلفت ذراعها حول (ولید) وقالت بإجهد عاطفي:

- سامحني رجاءً.

ضحك وقال بمرح:

- ليست جريمة أن تكوني مشغولة.

تنهدت وقالت في نفسها:

- (الجريمة أن قلبي هو المشغول وليس أنا).

طبعا لم يسمعها، بل أخذ يضحك معها، ويسمع اقتراحاتها لأماكن السفر التي تصلح للاستحمام، وبعد أن أنهت استحمامها بعد ليلة رومانسية مع زوجها،

وضعت رأسها على مخدتها وشعرت بالضيق، أخذت تفكر: هل هذه خيانة؟ ولكن القلب أمره ليس بيدي، ثم إن جَمُنون كان في حياتي قبله.

تنهدت في هم وأغلقت عينيها وحاولت النوم بعد أرق وتعب، وفي عالم الأحلام والرؤى رأت والدتها ترتدي ثوبًا حريريًا مطررًا بخيوط من ذهب، وشعرها الطويل يلمع، ووجهها الجميل مشرق، فرحت منى لمرآها فهتفت بفرحة عامرة:

- أمي أمي الحبيبة أمي!

وقبل أن تندفع نحوها لتحضنها؛ لاحظت أنها أصغر عمرًا وتضع أحمر شفاه ورديًا منى تمتلك مثله، وهنا لاحظت أن والدتها تضحك وهي تمد يدها للشاب جميل جدًا، أمسكت بيده وصعدت معه درجات تقود إلى الطابق العلوي، تبعتهما منى في دهشة ورأت كيف أن والدتها تضحك وتتدلل مع هذا الشاب الذي أخذ يقبل يدها ويتأملها بحب ويبادلها الكلمات، أدركت منى كمية الحب العظيم الذي بين أمها وهذا الشاب فتساءلت بصوت مسموع:

- من هذا؟

سمعت صوتًا لا تدري مصدره يقول:

- إنه زوجها.

تفاجأت وقالت بحيرة:

- ولكنه ليس أبي.

رد عليها الصوت نفسه:

- إنه زوجها الثاني.

تفاجأت منى ونظرت خلف والدتها وزوجها الثاني، فشاهدت والدها يجلس القرفصاء من بعيد يتأملهما وابتسامة استسلام وتسليم على شفتيه، فأدركت حينها أن أمها اختارت هذا الشاب لها زوجًا ثانيًا حتى في الجنة، وأن والدها لن يكون نصيبها في الجنة؛ لأنها أحببت واختارت زوجًا غيره.

نظرت نحو أمها والشاب، وهنا أصابتها الدهشة؛ فلامح والدتها أصبحت ملامحها، والشاب زوجها كان (جَمْنون).

ابتسمت واستيقظت فجأة وقلبها ينبض بسرعة وجنون، تفكرت:

- (هل معنى هذا أنني سأتزوج بـجَمْنون وأن وليد لن يكون زوجي في الجنة؟ فالرؤيا لا تخص أمي وأبي، ثم هل معنى هذا أن أمي تبارك حيننا أنا وجَمْنون؟)

شهقت فرحةً وأخذت تشكر الله على فضله، إذ بارك حبها وأرسل لها روح أمها لتخبرها بالمستقبل، في الوقت نفسه نظرت نحو وليد النائم في دعة، وابتسمت له بحنان ومسحة حزن مرت في خاطرها، فهمست:

- سامحني، والله إني أحبك، ولكنه قدرتي منذ البداية، منذ الطفولة، منذ الأزل، أسأل الله لك في الجنة زوجةً أفضل مني، أما أنا..

نزلت دمعة على خدها فاقتربت من وليد ودخلت تحت ذراعه وأكملت:

- فسأكون مع قدرتي الحقيقي، وقلبي سيظل يحبك بمودة كبيرة، فأنت حبيبي وزوجي وأبو أطفالي، فشكرًا على حبك لي.

كان نائمًا بعمق وهمسها غير مسموع وحتى حركتها بجواره لم يشعر بها، نامت ورأسها على صدره، وعندما أدرك قربها منه بعد فترة ابتسم في هناءة، وضمها إليه وأكملًا نومهما معًا.

سافر وليد يوم الاثنين وجاء يوم الثلاثاء الموعد، وأخذ قلبها يخفق بسعادة وهي

تتخيل أنها ستكون زوجته في الجنة، وأخيرًا شعرت بالذراعين الغاليتين تطوقانها، فانتفض قلبها بقوة وسمعت صوته العاشق يقول لها بشوق مجنون:

- اااا، ألاكم اشتقت إليك.

أخذ يقبلها بجنون وهي مستسلمة لقبلاته، وتشعر بأنها تحلق فوق السحاب، مرت الأيام حلوة كالعسل، لم تخبره بمنامها، ولكنها كانت تتذكر تفاصيله في كل لحظة، وهو يرى ما تراه، ويسمع تفكيرها؛ فأخذ قلبه ينبض بفرح وهو يؤكد لنفسه أنه لطالما كان واثقًا من أنها ستكون نصيبه منذ البداية.

جاء يوم الخميس وغاص قلب منى لموعد رحيل حبيبها، وكانت تدرك أنه يتعمد أن يتركها وهي نائمة حتى لا تعاني من ألم الفراق، وعندما استيقظت قرابة الظهر صُدمت بأنها لا تزال تشعر به.

جلست في دهشة وهتفت كالمجنونة:

- (جَمْنون) (جَمْنون) هل أنت هنا؟ معقول؟!

رد عليها بهدوء:

- نعم موجود.

بحيرة وفرحة معًا:

- ولكن كيف؟! هل أجلت سفرك؟ يا للحظ السعيد!

قال لها بحسم:

- وسأبقى معك أبد الدهر.

انتفض قلبها وبتوتر قالت:

- كيف؟ هل حدث لملكك مكروه؟

ضحك في زهو:

- ملكي لا ينتهي بسهولة بحفظ الله، مملكة قوية، وعائلة قوية متماسكة، وأنا صعب أن يتحداني أحد.

في حيرة سألت:

- إذاً كيف ستبقى بجواري وتترك أرضك ومملكته؟

زفر بغیظ وقال:

- ولماذا البقاء بجوارك يتعارض مع إدارة شؤون المملكة؟ لماذا؟

فكرت منى وأخذت تقلب كلماته في رأسها؛ لتفهم مغزاها، لكنه أشفق عليها من ذلك، فقاطعها قائلاً:

- (منيتي) يا حبيبتي، أثقين بي؟

ردت بسرعة وبثقة:

- طبعاً أثق بك.

- وهل تثقين في التزامي بكلمتي، ووعدتي وأمري؟

قالت بثقة:

- نعم أثق.

- فإدًا انتظري وستعرفين ما أعنيه.

كانت تخاف عليه من غضب أهله فقال يطمئننا:

- المملكة ستكون في ازدهار أكبر عندما أدير شؤونها وأنا قلبي مطمئن ومرتاح.

قطبت جبينها مفكرة، فقَبَّلَ جبينها وضحك قائلاً:

- لا تجهدي نفسك بالتفكير، دعي الجهد والحرب على عاتقي.

غص قلبها لهذه الكلمات، إذ أدركت أنه لطالما حارب وحده فقد كان يحارب لأجلها، أما هي فكانت تحارب لأجل أهلها ونفسها.

ضاق صدرها لأنانيتها وحزنت عليه، فكم تعذب وحارب بسببها، لذا قالت بهمة:

- (جَمَنون) اسمعني جيداً، لقد كنت طوال السنوات الماضية وأنت تحارب وحدك لأجلي، وأنا أحارب لأجل أهلي، أما الآن فأنا وأنت سنحارب لأجلنا.

دُهِشَ وأي دهشة لكلماتها، وعزمها، ضمها برقة إلى صدره وهمس لها بحب كبير:

- أنا وأنتِ معًا قوة كاملة كـ (الينيانغ) الشمس والقمر معًا، والليل والنهار معًا، لا قوة ولا حياة لأحدهما دون الآخر، أنا وأنتِ روح واحدة.

ارتعشت لحديثه واقشعر بدنهما لعظم علاقتهما، ابتسمت سعيدة وقلبها ينبض بسرعة في حب، سلمت له القرار فهو رجل ذو إرادة وعزيمة قوية وثابتة، إن كان يرى أن الحكم سيزدهر وهو معها فهي تصدقه.

كان ذلك اليوم فوضويًا بمعنى الكلمة، الجنود مضطربون، الحرس خائفون، يترجونه أن يعود؛ وإلا غضب الملك منه والمملكة، وهو كان يرفض، يجلس على كرسيه متكئًا على ركبتيه، وعيناه ثابتتان حادتان، اقترب منه (شامر) وقال بتوتر:

- يا أخي الغالي أخشى أن تفتح أبواب الجحيم بموقفك.

قال بحسم:

- فلئفتح.

- سموك.

هتف جَمْنون بقوة وصرامة:

- فلتفتح يا (شامر) فلتفتح؛ وإن القرار قراري؛ والرأي رأبي، والعزم عزمي.

تراجع شامر خائفاً، وهو يتمنى ألا يغضب خاله الملك غضبته، وهنا تأمل في ابن خاله (جَمْنون) ألا كم يشبه أباه شكلاً وفعلاً.

بعد منتصف الليل وعندما دقت الساعة 12 تمامًا من ليلة الجمعة، اقشعرت منى وهي تشعر بتيار بارد يكتسحها، لمحت عباءة ذهبية مرت في لمحة عين واختفت، ثم شعرت بهالة جَمْنون تشتعل، هنا همست في خوف متخاطرة:

- والدتك؟

باقتضاب صارم:

- أجل.

ارتجفت منى وأخذت تدعو الله في أعماقها أن تمر الأمور على خير.

(9)

(منيتي) أنت خلقت من الحب

وأنا خلقت للحب

فلتكن له الكلمة العليا.

فكوني سلطانتى إن شئت أكن لك عشقا كما أشاء

(يحكيها جَمُون)

كنت أواجه غضب أمى التى أصبحت حدقتا عينيها حمراوين، ولكننى كنت أنظر نحوها بتحدٍّ وإصرار.

قالت بغضب عظيم:

- لقد أخللت بالعهد ولم تعد.

برباطة جأش قلت:

- أي عهد؟

بهستيريا صرخت:

- أنك سترها ثلاثة أيام فى الأسبوع ثم تعود.

- لم يكن عهدًا، بل طلبًا، أنا لم أعدكم بشيء.

جثت والدتى الغالية على ركبتها ووضعت يديها على ركبتى وقالت برجاء:

- سموك لا تفعل ذلك أرجوك.

انعصر قلبى فأمسكت يديها وقلت ببر:

- لا تترجىنى، فأنا ابنك وبار بك، أمى الغالية أثنىين بى؟

رفعت رأسها والدموع في عينيها وقالت بشك:

- كيف أثق بك والإنسية سلبت عقلك؟

زفرتُ بضيق وقلت:

- لا تعودى إلى ذلك، ماذا تريدون؟ أن أكون ولي عهد عظيم كوالدي العظيم؟
لكم ذلك، أنشكّين في قدراتي؟

قالت والدي برجاء وخوف:

- أعرف من أنت يا ولدي، أنت ستكون حاكمًا عظيمًا لا شك في ذلك، ولكنك
ترغب في البقاء هنا، فكيف يكون هذا؟

ابتسمت في ثقة وقلت مطمئنًا:

- سأفتح أراضي عدة، وسيكبر جيش والدي، إن فعلت هذا وأنا هنا، فهل
تصدقون حينها أن الإنسية تأثيرها عليّ إيجابي وليس سلبيًا؟

فكرت أمي ثم قالت بحسم:

- أمدك بالجيش العتيد؛ فتمدنا برأي وحكم سديد، إن فعلت فأنت من غضبي
سليم، ولكن والدك ليس بحليم، وغضبه منك أمر أكيد، فهل أنت من غضبه
بعيد؟

رددت عليها بثقة وحسم:

- من غضبه لن أكون بعيدًا، لكن من فخره وعزته سأكون مجيدًا، فانظري في
أمري، ولتري قوة عهدي وسلّمي بأمري.

أطرقت برأسها مفكرة، ثم رفعت وجهها وبدأت حدقتا عينيها تتلونان باللون الأسود تدريجيًّا؛ فاقتربت وقبّلت جبيني، وقالت بثقة:

- سأكون ظهرك فلا تكسر ظهري.

بتأثر وامتنان قلت لها واعدًا:

- ظهرك معي منصوب ورأسك مرفوع.

ضغطت على ركبتي ووقفت، وكالريح انطلقت مع حرسها لتحمل قراري وأمري لوالدي، وهي عازمة على دعمي وحمائي.

استلقت حبيبي على فراشها وقلبها وِجِل، قلت لها أطمئنْها، وأنا أضْمها بحب بين ذراعي:

- حبيبي لا تخافي، فأمي وعدتني بدعمها.

تنهدت براحة وقالت بحنان:

- هكذا اطمأنتت عليك، ومهما كانت خطتك فأنا أثق بأنك قادر على ذلك.

أسعدتني ثقتها، فأحطتها بقوة أكبر، وأخذت أقبّل عنقها العاجي، وأنا أهيم في حب سلطنة قلبي وروحي، فقلبي عرشها وأنا كلي ملك لها.

ارتجفت بحب فسمعتُ نبضات قلبها المجنونة، آه كم خلب لي نبضها، فقلبها حق له أن يخفق بحب، وحق لها أن تتدلل بعشقي.

همست لها متيماً:

- ألن تقولي لي؟

- أقول ماذا؟

اضطربت وهي تداري شعورها الذي عرفته مسبقًا قائلة:

- أقول ماذا؟

ابتسمت لظرفها؛ فكيف لها أن تمثل علي، وهي تعرف يقينًا أنني أسمع كل
هواجسها وأفكارها وأحلامها؟

همست لها بعشق:

- قولي لي أنتِ، ما سر قلبك؟

ارتعشت وزادت نبضات قلبها خفقانًا، وهمست بصوت مرتعش:

- أأ أنا قلبي! لا تربكني أكثر.

أحطتها بكل حب حتى تهدأ وتطمئن، وقد قررت أنها الفرصة السانحة الآن؛ بما
أنا وحدنا و(وليد) مسافر، لن أترك ترددها يؤثر عليها، قبّلت وجنتها ووضعت
يدي على قلبها؛ لتسكن وتهدأ، ثم سرحت خواطري بها، فقلت لها بصوتي العاشق
الأجش:

ناديتكِ مهلاً مهلاً معذبتي

أيموت من الحب إنسانا؟

وما بين دمع ودمع كنتِ قاتلي

وما بين آه وآه وأدت أفراحا

بربك أي سوط جائر به جلدتِ؟

وأبي قلب من صخر تحمله الحنايا؟
بتينك العينين الساحرتين فتنت
نظرات رسمت فيها الظلم ألواناً
أتخافين من سطوة الحب يا فاتنتي؟
فقسوتِ عليّ هرباً منه وآثرتِ الحرمانا
اطمئني اطمئني يا محبوبتي
فأنا لا أومن بالنساء
وأصدقك أنتِ
كفرت بهن جميعاً
وآمنتُ بكِ أنتِ
أنا سمعك
أنا قلبك
أنا نبضك
فأنا أنتِ
وأنا أعرف أنكِ جبل من العطاء
بحر من الحب، امرأة لا تشبه النساء

فكوني صغيرتي كما أنتِ

واتركي أمر الحب بيد السماء

فكوني سلطاني إن شئتِ

أكن لكِ عشقًا كما أشاء.

ارتجفت معشوقتي وذابت حتى النخاع، التفتت نحوي ونظرت إلى عيني رغم كونها لا تراهما فعلاً، وقالت بعشق سيطر عليها:

- (جَمْنون) أنا أحبك أحبك؛ فكن لي عشقًا كيفما نشاء.

صحت فرحةً وعاطفتي تطير بي فوق أعلى سماء، أيا رب السماوات والأرض، أيتها الرب العظيم أنطقت وصرحت بحبها لي أخيرًا بعد وجع وحرمان ورفض سنين طوَالًا؟

همست لها بعشق وأنا أبكي وأبكي، ودموعي تسيل بغزارة، ومن بين شهقاتي أخبرتها:

- أخيرًا يا (منيّتي) أخيرًا يا معشوقتي، ألا كم عذبتني، أحبك، لا، أعشقتك، لا بل أعبدك عبادة، وإن العبادة في الهوى حلال.

بكت (منيّتي) وقالت بحب فاجأها، حب لم تفهمه من قبل، حب كانت بذرته داخلها منذ عرفتها والآن نما وأثمر فأريكها:

- (جَمْنون) أيا حبيبي، لا أفهم ما هذا الشعور الجارف؟ لم أجربه من قبل! عرفته عندما انسلت مني الروح عندما تركتني ورحلت يا حبيبي سامحني على قسوتي، اغفر لي رجاءً.

فكرت أطلب المغفرة؟

صحت وضممتها بجنون وقلت لها من بين دموعي:

- أنتظلين المغفرة؟! لا يا حبيبي أنت مغفور لك ليوم الدين فاقسي عليّ وارجميني إن شئت، فذنبك عندي مغفور، وقدرك في قلبي محفوظ ومرفوع، فأنا بكِ عالق، ولا أزداد بكِ إلا صبابة.

ضحكت من بين دموعها واحمرت وجنتها وقالت بدلال:

- وأنت مغفور لك ليوم الدين.

صمتت لحظة وقالت بصدق:

- لن أخفي عليك ارتباكاً أمر به، هل أنا هكذا أخون زوجي؟ أنت تعرفني إنسانة صادقة، والذي أمر به يقطعني من الداخل، لا أفهم ولا أدري ماذا أفعل، رغم أن والدتي زارتني...

صمتت لحظة، فوفرت عليها عناء الشرح وأخبرتها بأني أعرف منامها، فقد رأيته في ذهنها، ثم استطردت قائلاً:

- ألا تدركين ما معنى ذلك؟ أنا لكِ منذ البداية، فأنا أحببتك ودخلت حياتك قبل (وليد)، من منا أصابته الخيانة؟ إنه أنا، أنا الذي لا يزال إلى الآن يتحمل وجودك مع رجل آخر، ولا أمانع هذا العذاب على أن نبقي معاً، لن أحرمك منه؛ ولكن لتدركي أنكِ لي دنيا وآخرة، وأقسم لك إنك لي، وأنا لك ولن تفرق بيننا هذه الاعتبارات والظروف، أنتِ امرأتِي؛ فلتدركي هذا على مهلك، وتريثي وخذي الأمور بسريرتها؛ فكل شيء في أوانه الصحيح يصح.

تنفست بسرعة وعقلها يقلب كلماتي ويدرسها، أشرق وجهها وأنارت عينها وقالت

بفخر وحب:

- أنت حكيم، وأنا أؤمن بك حبيبي الذي عاد إلي بقدر قسوتي عليه، ويحبني رغم كل خطاياي.

همست لها بعشق يخرج من قلبي:

- أحبك ولن تجدي أحدًا من الخلق يحبك مثلي، يا (منيّتي) أقسم لك إنني أحبك حتى أكثر من والديك والخلق جميعًا.

أغمضت عينيها وابتسمت بهناءة؛ فاقتربت من شفيتها وهمست لها:

- كوني حبيبتي، واتركي أمر الحب بيد السماء.

قبّلتها وقبّلتها وأخذت أنهل من غرامها، وأنا أترّبع على عرش العالم، ف(منيّتي) صارت حبيبتي إلى الأبد.

بين أحضان العائلة

(تحكيها منى)

كانت الأيام سعيدة، أشعر بالاستقرار النفسي ف (جَمُنون) معي والأهم أنني أدركت مشاعري، وهذا أزاح عني غمامة سوداء كانت داخلي منذ أن عرفت (جَمُنون)، ذلك الفتى الصغير الذي قابلني لأول مرة وأنا في (سوريا) بعمر ست سنوات.

أن تعرف مشاعرك الحقيقية وينجلي الغطاء عن حيرتك وشكوكك؛ حينها فقط ترتاح.

كنت أردد وأدندن دائماً أغنية (ماجدة الرومي) من كلمات شاعري الأحب على قلبي (نزار القباني):

أحبك جداً جداً جداً

وأعرف أنني تورطت جداً

وأحرقت خلفي جميع المراكب

وأعرف أنني سأهزم جداً

برغم الدموع ورغم التجارب

وأعرف أنني في غابات حبك وحدي أحارب

وأني ككل المجانين حاولت صيد الكواكب

وأبقى أحبك رغم يقيني، لأن الوصول إليك محال

يا من دفعت بحبك نصف حياتي

ويا من أشيلك كطفل في أغنياتي

أنا لا أحبك من أجل شال حرير

وعطر مثير، ولكن أحبك حتى أؤكد ذاتي

وأعرف أن هواك انتحار

وأني حين سأكمل دوري سيرخي عليّ الستار

وأن سكوني أمام هواك الكبير انتصار

فكان يرد علي بكل يقين قائلاً:

- لا لن تهزمني ولن يرخي عليك الستار، وسيكون حبنا منتصرًا مرفوع المقام.

وأخيرًا ناقشت رسالة الدكتوراه وحصلت عليها مع مرتبة الشرف، كان (جَمْنون) وحاشيته يقفزون فرحة بنجاحي، وأقام (وليد) وليمة حضرها الأصدقاء والأحباب بعد ذلك مباشرة، جاءت إجازة الربيع وقررنا أن نسافر إلى (جدة) فقد اشتقنا إلى أهلنا فيها، كنت جدًّا متحمسة أن يقابل (جَمْنون) أختي (سمية) من جديد.

قال (جَمْنون) متحمسًا:

- اشتقت إلى أسرتك.

تفاجأت وسألته:

- حقًا؟

بعتب قال:

- وتساألين؟ بدون شك، فأنا أحب والديك، وكل من يشاركك دماءك؛ فأحبابك أحبابي وأعداؤك أعدائي.

شعرت بدغدغة في مشاعري وانتفضت بهجة؛ فاقترب مني واحتضنني، هنا تذكرت أمرًا مهمًا جدًّا:

- (جَمَنون) لاحظت انشغالك عن قبل، فقد أصبحت كل صباح أستيقظ ولا أجدك بسبب الاجتماعات الكثيرة، وكثرة الزوار، فكيف تترك عملك لتسافر معي؟

شعرت بشبح ابتسامته وسمعت صوته يهمس لي:

- عندما تستيقظين وتفتحين عينيكِ أركض إليكِ ركضًا، وأترك الجميع بانتظاري، فأنا لا أفوت رؤية إشراقتك الحلوة كل يوم وكل صباح، فما بالك أن أتركك ترحلين وتصبحين بعيدة عني، بل إني معك راحل ومسافر لكل بقاع الأرض، فمسكنك هو مسكني ووطني أنتِ، أما العمل فينتقل معي حيثما أشاء.

دهشت وفرحت ولم أعرف ماذا أقول أو أفعل؟ أيجبني إلى هذه الدرجة حتى يحرك جيوشه لأجلي؟

أغمضت عيني بغبطة وقلت بتأثر:

- أنت ما أنت؟

قال بحب:

- أنا عاشق حُلقت منك.

ذبت من كلماته وهمست:

- وأنا ما أنا؟

همس بعشق:

- أنتِ معشوقتي، حُلقتِ من الحب.

أي هناء بين ذراعيه؟ الحب العظيم عرفت معناه الآن، ورغم أني كنت وما زلت أحب (وليد)؛ إلا أنني أيقنت بأن للحب درجات، فمن نظن أنه أحب مخلوق، نكتشف أن هناك حبًا أكبر منه.

عجيب أمر المشاعر!

كيف خلقها الله؟

بعد يومين حل وقت السفر، كم كنت مشتاقة إلى والدي وأهلي وصديقاتي، عندما وصلنا اتجهنا مباشرة إلى منزل والدي، فكان في استقبالنا بحفاوة، ورغم هذه الحفاوة إلا أن غياب والدتي لا يزال ملحوظًا رغم مرور سنوات على ذلك، كان والدي قد استقر في الطابق الأرضي فلم يعد يستطيع أن يتحمل البقاء في الغرفة التي ماتت فيها أمي، وجعل للطابق العلوي والملحق به مدخلًا مستقلًا وحديقة مستقلة، وسكن بها أخي (فيصل) مع زوجته صديقة أختي (سمية) التي نحبها كثيرًا، وهذا الوضع أراحنا، إذ إن وجود أخي وزوجته وأطفالهما الثلاثة يؤنس وحدة والدي الذي استقل بحياته محاطًا بالخدم في الطابق الأرضي، وباب جانبي يجعل الأحفاد يتسللون منه دائمًا؛ ليصاحبوا والدي ويلعبوا معه.

كنت قد قررت أن أبقى في غرفة الضيوف في منزل أبي، فأنا جئت والشوق يسبقني

لعائلتي ولا أرغب في البقاء بعيدة عنه.

كان (وليد) كعاداته متفهمًا لذلك ويسمح لي بالبقاء عند أسرتي وليس أسرته الذين نكتفي بزيارتهم، و(وليد) قد ينام ليلة أو ليلتين عند والدي والباقي عند أسرته، وأسرته عائلة طيبة جدًا ومتفهمون؛ لذا أجاملهم أحيانًا بالمبيت عندهم من فترة إلى أخرى، خاصة إن كانت الإجازة طويلة، وأختي (سمية) تشاركني المبيت عندهم كوننا معًا تزوجنا من تلك الأسرة الفاضلة.

تغدينا عند والدي الحبيب وجلست مع زوجة أخي (ابتسام) كنت أحبها جدًا كانت مرحة وجميلة، وطروبًا، فكنا معًا نستمتع إلى الأغاني نرقص ونردد كلماتها، قالت لي (ابتسام) بلوّم مازح:

- ما السر؟

- أي سر؟

- سر بشرتك المشعة، هيا أسرع هاتي اسم الطيبية.

جلجلت بالضحك وأخبرتها بغموض:

- خلطة سرية عندي، اسمها الحب.

ضحكت وقالت بمرح:

- الحب إذا ما الجديد؟ هاتي السر بسرعة.

قلت لها جادة:

- خمس قبلات صباحًا ومساءً على كل خد، وحضن عميق يقيك أشعة الشمس، وشرب 8 لترات من كلمات الغزل.

قالت (ابتسام) بمرح:

- بهذه الطريقة فإن طبيبك العاشق ستمتصين شبابه.

قلت بلؤم وأنا أغمز لها:

- بالعكس يناله من الحظ نصيب، فهو سيحتضن بالمثل، ويتمتع بجمال بشرتي التي يقبلها.

غرقنا في الضحك والمزاح ثم استأذنتها لأتجهز لزيارة أسرة زوجي والعشاء عندهم، وكلي شوق لمقابلة أختي (سمية) ..

سمعت (جَمْنون) يقول لي بلطف:

- أنا أيضًا مشتاق لرؤية (سمية).

أذهلني شعوره وأحببت ذلك، ضحكت بمرح وعقبت:

- ستفرح (سمية) جدًا بذلك، سوف أخبرها.

كان اللقاء سعيدًا جدًا وسط الأهل والأحباب، بعد وليمة العشاء جلست مع (سمية) في حديقة المنزل الخلفية نحتمي الشاي وهنا قالت أختي بحماس:

- (جَمْنون) معك الآن، أليس كذلك؟

غمزت لها وقلت بمرح:

- بلى وهو يبلغك أنه مشتاق إلى رؤيتك.

صاحت أختي بحماس واحمرت وجنتاها وقالت بمرح:

- يااه ما أشبه اليوم بالأمس، إنه يعلم بأني أحبه منذ البداية، وكم حزنت على فراقه، ولكن الآن قد عاد، وأعادك لما كنت عليه، لقد عاد إلى عينيك بريقهما.

بحيرة قلت:

- أكان وضعي سيئاً لهذه الدرجة؟

- كنتِ مرحة كالعادة ولكن ابتسامتك فاترة، وعيناك لا بریق لهما، وكأنكِ تزيفين سعادتك، كنت في حيرة من أمري ما بها أختي؟ ولكي متيقنة بأنكِ سعيدة مع (وليد) وحياتك مثالية، ثم تنبعت لأمر، وهو أن هذا حدث منذ وفاة أمي، ولكننا جميعاً فقدناها ومرت السنون؛ إلا أنني فطنت للأمر بعد ذلك أن أمي و(جَمْنون) تزامن فراقهما في الوقت نفسه، فأمرك من وقتها قد تبدل، أما الآن وبريق الحياة ينعكس في محياكِ؛ فإن السر إذاً هو صديقك الخفي قد عاد إليك، بل قد عاد إلينا.

تفكرت في حديثها وآمنت به، بحرج ضحكت ورفعت خصلة من شعري ووضعتها خلف أذني وقلت:

- أحياناً لا نعرف قيمة الشخص إلا بعد فراقه، دعيني أحكي لك ما حصل معي من تطورات، ولكن سأستأذنه أولاً.

أخبرني (جَمْنون) بأن أمور الجن دائماً خفية، وعليّ أن أبقئها في طي الكتمان؛ لأن العواقب وخيمة، قد تصل إلى حد أن تنتهي الصلة معهم، ولكنه طمأنني بأنه لن يتركني أبداً، وأنه سيوضح لي ما هو مسموح مشاركته ومع من؛ لذا سمح بأن أحكي لأختي التي حسب قوله يعدها أختاً له.

ذهلت (سمية) من مواجهتي لأمه، ولكل الأحداث التي مررت بها، قالت بدهشة:

- يا إلهي (منى) قصتك أشبه بأفلام الفنتازيا.

عندما أردت أن أعقب على حديثها تناهى إلى مسامعنا صوت نحنة (وليد)،
سكتنا ونظرات أعيننا تقول: «أتراه سمعنا؟».

في تلك اللحظة قال (وليد):

- كيف حالك يا أم (فارس)؟

ردت (سمية):

- هلا هلا بخير، والحمد لله على سلامتكم.

(وليد): زوجك في انتظارك للرحيل.

فهمت (سمية) فنهضت واحتضنتني وقالت بهمس:

- غدًا في وليمة العشاء عند والدي احتفالاً بقدومكم وحصولك على الدكتوراه،
نستطيع أن نختلي بعضنا ببعض ونكمل حديثنا.

رددت عليها بغبطة:

- وأيضًا سأرى (عبير) و(فاتن) و(مها) لقد اشتقت إليهن.

رحلت (سمية) فجاء (وليد) وضمني لصدره، وجلس على الكرسي الذي كانت
(سمية) تجلس عليه من لحظات، سرحت عيناه تجاه الشجرة الكبيرة في الحديقة
فابتسم وقال:

- أتذكرين هذه الشجرة؟

ضحكت بخفة وقلت مقلدة الممثلة (شيرين) في مسرحية (المتزوجون):

- شجرة حبنا.

ضحكنا معًا وقال بحنان:

- كلما نظرت إلى هذه الشجرة تذكرت لقاءنا الأول، وتلك القطة الضالة، فلولاها لما التقينا.

تنهدت بخفة وأمسكت يده ووضعت رأسي على كتفه وقلت:

- ذكريات جميلة لن تنسى.

صمتنا وأخذنا نتأمل الشجرة وشريط الذكريات يمر أمامنا، كنت ممتنة لله أن عرفت (وليد) وكان جزءًا من قصة حياتي، كم أحبني واحتواني، وكان نعم الزوج والأب.

قال لي بعد برهة:

- لنرحل الآن، ولكن غدًا أرغب أن أنام في منزل أسرتي وغرفتي القديمة.

قلت له متفهمة:

- نعم أكيد، ولكن ما رأيك أن نستغل قربنا من مكة ونؤدي عمرة؟

تهللت أساريره وقال مؤيدًا:

- لم لا، أيناسب بعد يومين؟

فرحت جدًا وأيدته.

وهكذا ذهبت إلى منزل عائلتي ونمت ليلة رومانية في أحضانه، وفي لمحة عين رأيت (جَمْنون) وهو مولينا ظهره كإشارة لإعطائي مجالًا لخصوصيتنا.

فكرت حينها كم نضج (جَمْنون) وتغير، كم هدأت نفسه وثورته وأصبح أكثر اتزانًا

من الماضي، لا بد أن الزمن والتجارب ومنصبه وكل ما مررنا به، بل والأهم عاطفتي نحوه الأكيدة؛ حققت مثل هذا الاتزان.

نمت وجاء الغد وسأرى أفراد أسرتي الليلة في وليمة العشاء.

يا ليت أُمي معنا، كان هذا لسان حالي وأنا أرى أخواتي الثلاث وابناءهن، و(مها) الغالية وزوجها (حسين) أخي الحبيب بالإضافة إلى أخي (فيصل) وزوجته (ابتسام)، وأخي (عبد الله) وزوجته (أسماء) ووالدي، كل عائلتي بأطفالنا يلعبون في الحديقة، لم يكن ينقصنا سوى أُمي التي انتهت حياتها قبل أن تتمتع بكل أحفادها؛ والسبب الجنية المعتدية (جنياه).

في وليمة العشاء الفاخرة كان الرجال في مجلس الرجال، وزوجي (وليد) كان مستمتعًا مع إخوتي ووالدي وأخيه زوج (سمية) وأخيه الأصغر (سلطان)، بينما أخوه (عادل) كان في (الرياض) يهتم بإدارة عيادة التجميل التي يمتلكها زوجي فهو يعمل فيها ويديرها.

بعد الوليمة جلسنا في الصالون نحن النساء بدون أطفالنا، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث، ثم لفت انتباهي شيء منذ سنين مضت من بعد اختفاء (جَمْنون) لم أراه، وهو عينا (مها)!

أعرف أن المارد (غدفان) لا يزال معها ولم تتحرر منه كأختي (عبير) من سطوة الجن، ولكن أن أرى بؤبؤي عينيها أسودين هكذا وفي لمح البصر يظهر لي البؤبؤان طوليين لثوان معدودة، هنا أخذت أحرق فيهما بذهول! وأنا أوقن أنني حقًا عدت كالسابق.

سمعت (جَمْنون) يقول لي:

- بل أقوى من السابق، إنه خائف ويرتعد.

نظرتُ نحو (مها) فوجدتها تلف ذراعيها حول جسدها بخوف وضيق، وكأنها تحمي نفسها، التقت عيوننا فأشاحت بوجهها عني.

عرفت أن الخبيث نقل مشاعره السلبية عني إليها، خفت أن أخسر حبها فتتحاشاني؛ لذا ذهبت وجلست بجوارها ووضعت يدي على كتفها، فانتفضت ونظرت إليَّ بخوف، قلت لها بجدية وبصوت منخفض:

- ألا يزال ماردك يؤلمك؟

توترت للحظات فاستطردت قائلة:

- أنتِ الآن خائفة مني أفهم هذا؛ لأنني أقدر على عقابه.

لا أعرف لماذا تفوهت بهذه الجملة؟ شعرت بداخلي بقوة عجيبة على العلاج الروحاني.

قال لي (جَمْنون):

- لقد أصبته في مقتل، كان خائفاً مني لأنني عدت إليك، والآن خاف الضعفين؛ لأن زوهريتك ستظهر عليه.

تخاطرت معه بحيرة:

- ما معنى زوهريتي ظهرت؟

قال لي:

- سأشرح لك لاحقاً، أما (غدفان) فله يوم ما معي.

نظرت نحوي (مها) وقالت برجاء:

- الوضع لا يطلق أصبحت أشعر بالضيق كلما اقترب مني (حسين)، بل إن آلام جسدي تزداد كلما كان في المنزل، ولا أعرف النوم والراحة إلا عندما يخرج من البيت، والأفضل عندما يكون مسافرًا.

طأطأت رأسي متفهمة وأخبرتها قائلة:

- هذا المارد قد أحبك بعد أن اعتدى عليك؛ لذا يسعى إلى التفرد بكِ دون أخي.

نظرت نحوي سائلة:

- والحل؟

«عزيزي القارئ، إن كنت تقرأ هذه النسخة على شكل كتاب مطبوع فتأكد من أنك تقرأ نسخة مسروقة وليس لمن طبعها الحق في البيع والشراء.. وهذه النسخة بالأصل هي نسخة إلكترونية تم تجهيزها من فيلق مكتبة ضَاد^(١) الإلكترونية على تطبيق تيليجرام! فتأكد من أنك تحمّل هذه الرواية وتقرأها من قناتنا الرسمية. نعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة..

أخذت أفكر فقال (جَمُنون):

- ليس الآن، قولي لها سيخرج منك يومًا ما، هذا وعد مني.

نقلت كلامه حرفيًا لها، وفجأة أرى صورة في رأسي كالخيال والجني (غدفان) بشعره الحريري الأسود الكثيف، وهو ينتفض ويضرب خديه ويصرخ، صورة مرت كلمح البصر.

عقب (جَمُنون) بصوت خِفت منه أنا:

(١) للانضمام إلى القناة الرسمية أدخل البوزر التالي في محرّك بحث تيليجرام: [@twinkling4](https://t.me/twinkling4)

- سيأتي اليوم الذي يندم فيه الجميع على اعتدائهم عليكم.

كان صوته كزئير الأسد، سألت بخفوت:

- متى؟

أجاب بحسم:

- عندما آخذ الملك وأصبح ملكًا.

لا أدري لماذا ساعتها شعرت بالفرحة؟ وارتجفت عروقي فخراً به وحماساً للقادم.

بعد أن أدينا العمرة وسجدت لله أمام الكعبة وابتهلت إلى الله أن يحقق أحلامي، وعلى رأسها أن أرى (جَمَنون) ويحمي لنا حبنا، كان (جَمَنون) يدعو معي وهو يبكي وأنا أبكي، ونبتهل معاً إلى الله.

شعرنا بالخفة واستمتعنا بإجازتنا، وزرنا أماكننا المفضلة ومنها نادي اليخوت في جدة، قابلت صديقات الدراسة، وكانت إجازة جميلة رغم قصرها، ثم عدنا إلى الرياض لتبدأ معي فاجعة كنت أخاف أن تتحقق فعلاً.

فاجعة ستجعل حياتي بأكملها تأخذ منعطفاً جديداً.

(10)

من بين الأعراش تقدم نحوي

نمر جبلي أسود مهيب

عندما نظرت في عينيه

رأيت عالمًا آخر، وليس فقط مجرد نمر أسود.

للموت راحة

(تحكيها منى)

عادت الحياة إلى وتيرتها، ولكن شيئاً من الانقباض كان في قلب (منى)، قال لها (جَمْنون) بجدية:

- (منيتي) إن (وليد) ليس بخير.

قطبت جبينها فأكمل قائلاً:

- عندما عدت إليك لفتت انتباهي هالته، ولكنني لم أدقق وقتها، فجلّ مشاعري كانت مركزة في العودة إليك، وحينها لفتت انتباهي أحلامك، وهو أمر استخدمته لمصلحتي؛ لكي أقنع عائلي بالبقاء معك، رغم أنه لم يشفع لي كثيراً.

قاطعته سائلة:

- عن أي منام تتكلم؟ فأحلامي كثيرة لا تنتهي.

توتر (جَمْنون)، إذ خاف أن تسيء الظن به وبنواياه، ولكنه حسم أمره فزفر بتوتر وقال:

- لا أرغب أن تسيئ الظن بي كما كنتِ تفعلين في السابق، ولا أرغب أن أخيفك وأنتِ عندي أعلى من روجي.

تنهدت منى وقالت بصدق:

- أعدك ألا أفعل، لقد تعلمت من أخطائي؛ لذا تكلم وكأنك تكلم نفسك صدقني يا حبيبي فأنا لا أراك إلا كما نفسي.

ابتسم (جَمْنون) بغبطة وقال بعد أن حسم أمره:

- إن (وليد) مصاب بتجلط في أحد أوردة قلبه، ولكن الأمر ليس بخطير حينها وهو لا يعرف عنه أو متى أصيب به، وأنتِ رأيتِ أحلامًا عن قصر عمره؛ لذا بحثت بطريقتنا نحن الجن وعرفت أن الأمر صحيح، ولكن يا حبيبي رغم الجزء الأناني بداخلي، والذي لا أنكره، إلا أن جزء العدالة عندي تحرك، وكان لزامًا عليّ أن أحذرك للقدام، وأن أكون منصفًا مع الرجل الذي عاملك بحب واحترام.

توترت منى وقالت بعدم صبر:

- (جَمْنون) تكلم لقد نفذ صبري، لم أفهم! أتعني أنه سيموت؟

حينها انهمرت دموعها بغزارة، فانعصر قلب (جَمْنون) وحاول تهدئتها قائلاً:

- لا تبكي أرجوك لا تبكي، ما قصدته أن عليكِ تحذيره بأن يفحص نفسه وينتبه لصحته فالقضاء يتغير.

مسحت دموعها وبهلع سألت:

- كيف يتغير؟

صمت (جَمْنون) للحظات وهو يفكر بأن الإنس غائبة عنهم أسرار كثيرة، فهل يحق له إخبارها؟

- (جَمْنون) لا تصمت أخبرني، كيف يتغير القضاء، بالدعاء أليس كذلك؟

باقتضاب أجاب:

- نعم وأمور أخرى.

- ما هي؟

زفر وقال:

- الحياة ترسم لك عدة طرق، وأنت تختارين الطريق، ولكل طريق قدر وحكاية؛ إلا أن بينها الطريق الأنسب لك، والذي إن سلكته حققت القضاء الأمثل لك؛ كاختيارك أن تكوني معي، فأنا نصف روحك الحقيقي، من يتصدق ويدعو تذهب عنه المصائب، من يصل رحمه يمد الرب في عمره ورزقه، من يهتم بصحته تتغير حياته، ومن يلقى بنفسه للتهلكة يهلك، وهلم جرا، لذا أخبريه أن يفحص نفسه ويخفف من التدخين، أعتقد أنه في حاجة إلى عملية لكي يُشفى.

توترت مني، ولكنها قالت بامتنان واستغراب في آن واحد:

- شكرًا لك، ولكن هل ترغب حقًا أن يصبح بخير؟

زلت منه ضحكة موجوعة وقال:

- أكيد لا، وهل أكذب؟ وأنت التي تعرفين، كم استمتت في حبك وحاربت لأجلك، فهل تظنين أنني أرغب حقًا بأن يبقى في حياتنا إلى الأبد؟

صمتت مني ذاهلة لاعترافه وحال أمرها يعرف بأنه سيقول ذلك، وهي لا تلومه، ولكن حديثه كان قاسيًا.

قرأ أفكارها فقال بحزن:

- وفي الوقت نفسه أفكر بك وبأطفالك؛ لذا أخبرتك عنه وليبق القضاء بيد الرب.

أطرت برأسها تفكر ثم أغمضت عينيها وهمست:

- أفهمك، أفهمك.

في يوم ما عندما شعرت منى بأن (وليد) يعاني من تنفسه أثناء النوم، حتى أنه جلس فجأة ليتنفس بقوة، فقالت له وهي تربت على ظهره:

- حبيبي ما رأيك أن تفحص نفسك عند الطبيب؟ ربما قلبك متعب.

نظر نحوها بسخرية وقال ضاحكًا:

- أنا طبيب.

قالت بحماس:

- طيب المفروض أن تكون أدرى بنفسك، صدقني أنت تحتاج إلى الفحص.

لم يعر كلامها اهتمامًا مما أغازها، وغط في النوم، وهكذا استمرت في نصحه، ولكن عناده وكبريائه كانا حائلًا بينهما حتى أسقط بيدها.

للموت رائحة، هكذا فكرت منى وهي تزور والدة صديقتها (بدور) في المستشفى والتي كانت تصارع مرض السرطان، كانت قد أجرت عملية جراحية للمرة الثانية، ولكن منى كانت تشم رائحة تعرفها جيدًا، نظرت نحو صديقتها التي استبشر وجهها خيرًا بإشراقه وجه أمها، وكيف أنها تتكلم معهم بعد فترة طويلة من المعاناة والألم.

أطرقت منى برأسها وأخذت خلايا مخها الرمادية ترجع لها الذكريات القديمة، (هذه الرائحة) صوت عقلها يقول لها: «شممتها مسبقًا من جدتي - رحمها الله - قبل موتها بشهر».

رفعت منى رأسها وأخذت تتأمل والدة صديقتها، الوجه رغم حيويته إلا أنه مصفر ومغبر من المرض، أم أنها غبرة الموت، فللموت صفرة تعلق وجه صاحبها، وهنا

أخذت تتأمل عيني والدة (بدور)، العينان البنيتان بهما لون رصاصي.

سحبت مني نفسًا عميقًا عله ينجح في إزالة الغم الذي شعرت به، فهذه العلامات تعرفها، بل كثير من الناس يعرفونها، حتى هذه الحيوية فهي (صحوّة الميت)، تأتي إلى الشخص قبل وفاته حيوية ليودع الحياة وبعدها يموت.

أما الذي لاحظته ولا يعرفه الناس فأن هناك رائحة هي هناك رائحة هي فقط تشمها، بينما من حولها لا يشمونها، وهي رائحة أشبه بالتربة العفنة، أم أنها تربة أشبه برائحة تربة المقابر.

رائحة تزداد قوتها كلما كان الإنسان أقرب إلى الموت.

والآن تكاد تزكم أنفها، خرجت وقادت سيارتها وهي تحاول أن تجامل ضحكات صديقتها وبهجتها، أوصلتها إلى منزلها، وفي سيارتها وهي عائدة إلى منزلها سألت (جَمْنون):

- للموت رائحة أشمها دائماً من الأشخاص الذين قاربوا على الموت الرباني، وليس الذين يتعرضون لحوادث مفاجئة، فهل أنا على حق؟

قال لها برقة:

- لأن لديك بصيرة، فنحن الجن نرى الهالات المحيطة بالشخص؛ كلما خفت شاكراً معينة منه دل على ضعف هذا الجزء، ولكن إن خفت كل الشاكرات وأصبحت ضبابية مجهدة؛ فالشخص مريض وقد اقتربت نهايته، ولكن إن كانت رمادية مطفأة لا حياة فيها فهو حتمًا على شفير الموت.

الفضول تملك مني فسألته:

- وماذا عن أم (بدور)؟

أجابها:

- حسب هالتها وكل الدلائل؛ فإنها ستموت في وقت أقرب مما تتصورين.

سألته:

- هل بإمكان الجن أن يعرفوا متى؟

- إذا سألتنا القرين نعرف فهو موكل بمصاحبة هذا الإنسان لعدد معروف لديه من السنين، ولكن لا أحد يعرف كيف وأين والوقت بالتحديد سوى الله، أما إن كان الشخص سيموت قريبًا فلا حاجة إلى السؤال؛ فمن العلامات نحدد مدة الوفاة ولو بشكل تقريبي مثل أطبائكم.

- فإدًا متى؟

صمت لثوانٍ ثم أجابها:

- توقعي خبر وفاة أم صديقتك خلال يومين.

وهكذا كان عندما اتصلت (بدور) باكية على (منى) تخبرها بوفاة والدتها، رغم نجاح العملية وهي في حالة صدمة وذهول، أخذت الأخيرة تصبرها، وعندما أنهت المكالمة مرَّ بها (وليد) يسألها ما الأمر فأخبرته بالأمر وبأنها في الغد ستقوم بواجب العزاء.

اقترب منها (وليد) وضمها يهدئها ويشجعها على مساندة صديقتها في مثل هذه الأوقات، تركها ليرحل، ولكن نظرات الصدمة والذهول؛ بل الذعر كانت تنعكس على عيني منى.

فقد ترك (وليد) رائحة الموت عالقة على ثيابها، بل في خياشيمها وحولها، مما جعلها تنهار باكية.

كانت رائحة الموت تزداد قوة يوماً بعد يوم حتى انفجرت مني وقالت له:

- أرجوك افحص نفسك، أنا قلبي يخبرني بأنك لست بخير.

قال لها بملل:

- طيب لقد فحصت، وأعرف أنني قد أصبت بجلطة خفيفة، وأنا أفكر بإجراء العملية الداعمة، ولكنني لم أتفرغ لأخبرك بذلك، ورجاءً لا أحب النصائح عن التدخين وما إلى ذلك، لا تقلقي سأفعل ما تريدين.

زفرت مني براحة وضمته إلى صدرها وقالت بحب:

- سلامتك ألف سلامة، ولا بأس عليك، أنا أفعل ذلك من حبي لك.

ضمها وهو يضحك قائلاً:

- عمر الشقي بقي.

وهكذا انتهى النقاش على أمل أن يحدد (وليد) موعد العملية، ولكن...

لماذا رائحة الموت تزداد يوماً بعد يوم؟!

شبح الموت

(تحكيها مني)

بعد وفاة أم صديقتي بأسبوع فاجأنا خبر وفاة زوج عمتي (هنية) المتوفاة منذ ثلاث سنوات، كان العزاء في الجنوب؛ لذا اكتفيت بعزاء بنات عمتي هاتفيًا، وفي تلك الليلة في منامي شاهدت رؤيا غريبة.

كنت أسير في حديقة منزلي، ولكنه منزل يختلف عن منزلي الحالي، كانت حديقته أوسع والمنزل يقف أمامي شامخًا، سرت نحو باب المنزل الجانبي وكان مفتوحًا، وعندما دخلته أصابتنني الدهشة فعمتي المتوفاة (هنية) كانت تقف أمامي مبتسمة، ووراءها ببضعة أمتار يقف زوجها المتوفى منذ يوم مضى عن عمر يناهز الثمانين.

نظرت نحوه ثم نحوها وقلت بحزن وتأثر:

- عظم الله أجرك في زوجك.

ابتسمت بغموض وقالت لي:

- ولماذا الحزن؟

احترت ولم أعرف بماذا أجيب، فاستطردت عمتي:

- هو عاد إلى رب العالمين، وأنتِ الحياة أمامك.

لم أفهم ما دخلي أنا؟ فجأة اختفت عمتي وزوجها، ووجدت بدلًا منهما سرير أطفال بحواجز، فاقتربت منه لأرى أطفالًا كالأقمار، أكبرهم بعمر السننتين

وأصغرهم بعمر الشهر، كان كل طفل معه توءمه صبيانياً وبنات يستلقون بعضهم بجوار بعض، وطفلة صغيرة بعمر الأشهر تحشر نفسها بينهم بطريقة ظريفة، ضحكت بخفة وقلبي يشعر بحب كبير لهم، فجأة سمعت لفظ «ماما»، نظرت نحو الأطفال الرضع بدهشة فالتقت عيني بإحدى الرضع وكانت فتاة كالبدر كانت تنظر نحوي وتقول: «ماما».

تلفتت حولي باحثة عن امرأة غيري لكن لا أحد، وهنا دخلت المكان مجموعة نساء يتحدثن بينهن قائلات:

- لماذا الدهشة فهذه المرأة سعاد حقُّ لها أن تسعد.

نظرت إحداهن نحوي وقالت:

- يا سعاد اسعدي.

تعجبت وقلت:

- اسمي (منى) ولست سعاد.

ردت ضاحكة:

- السعد حليفك، ومُناك مجابة.

دخلن بابًا جانبيًا فلحقت بهن لأجد نفسي في قلب المنزل، صالة كبيرة، ولسان حالي يقول فيه:

- أهذا منزلي أم منزل عمتي؟

مر شاب فقلت له فجأة:

- عظم الله أجرك في عمي صاحب البيت.

قلتها ثم بكيت لأتفاجأ به يبتسم ويقول لي:

- ولماذا تبكين؟ والسعد حليفك، وهذا منزلك.

أذهلني حديثه، وإذ بي أنظر إلى المنزل الذي من المفترض أن يكون منزلي، لأرى فجأة غرفة نوم كبيرة بسرير مزدوج، وفي لمح البصر مجموعة من الجن كانوا يطيرون؛ ليغيروا فراش السرير والستائر والأثاث بحركة سريعة؛ لأجد أن الغرفة أصبحت بها سرير مزدوج جديد بستائر حريرية وخيوط ذهبية، والأعجب في نهاية الغرفة كان هناك عدة أسرة لرصع، وهنا سمعت صوت رجل يقول:

- السعد حليفك يا سعاد، ومناك مجابة يا مني.

هنا انتفضت من منامي ذاهلة وأنا أردد: «السعد حليفك يا سعاد ومناك مجابة يا مني».

ابتسمت براحة غريبة وعدت إلى النوم من جديد.

عندما أفقت تذكرت المنام، لماذا شعرت بأن المنام يعنيني أنا؟ وذلك المنزل وأولئك الأطفال يخصونني أنا؟ ولماذا غرفة نومي تغير أثاثها؟

سمعت صوت (جَمُنون) يقول بانتشاء:

- الأمور ستنتضح لك قريباً، وحينها ستفهمين (مني).

بعد يومين من ذلك المنام تفاجأت برؤيا غريبة جداً ولا أدري إن كانت رؤيا أم حقيقة! كنت أعرف أنني على سرير نائمة و(وليد) بجواري، وأيضاً (جَمُنون) يحتضنني ونائم، ولكنني فجأة شعرت بحضور قوي دخل الغرفة، والظلام يخفيه علي، وأنه أساساً خفي، وهنا سمعت الجن الحرس المرافقين ل(جَمُنون) يهمسون

بوجل ورهبة: «ملك الموت ملك الموت!». هنا ارتعدت وأنا أتخيله قادمًا نحوي، فز (جَمُنون) وضمني إليه، وأنا أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فجأة! ذلك الحضور القوي لملك الموت تخطى جهتي، وانطلق جهة (وليد) فزع قلبي وأخذت أهزه وأقول له:

- يا حبيبي قل لا إله إلا الله.

كان (وليد) يرتجف من رهبة الموقف، وأنا أضمه إلى صدري، وقال بصوت مرتجف مرتعد:

- لا إله إلا الله.

تغرغر صوته وتحشرج، وفتح فمه ورأيت روحه تنسل منه خارجة من فمه؛ ليثقل في حضني ميثًا.

انتفضت من منامي والعرق يبللي، والضيق يجثم على قلبي، نظرت بجواري فلم أجد (وليد)، تهتدت وحمدت الله أنه منام فقط، شعرت بيد (جَمُنون) تربت بحنان كبير على شعري، رنين هاتفي المحمول أعادني أكثر إلى أرض الواقع، كان المتصل (عادل) أخو (وليد)، أجبته بصوت حاولت أن أبعد عنه نبرة النوم، ولكن صوته جاءني محاولًا أن يبعد عنه نبرة البكاء:

- أم سيف.. أ.. أ (وليد).

بهلع سألت وأنا أشعر بقبضة تعتصر قلبي:

- ما به؟

صمت ونهنته بكاء من بعيد فعرفت أنه يبعد الهاتف عن فمه، صرخت بقوة ليسمعني:

- (عادل) تكلم بالله عليك!

رد باكياً وقال:

- تعالي حالاً إلى مستشفى ... وسأشرح لك.

هتفت به:

- هل هو بخير؟ أتعرض لحادث ما؟

أخذت ذكرى ملك الموت في منامي تلح علي.

أجابني على مضض:

- لقد دعست سيارة صديقه (معاذ) أمام عينيه.

صرخت:

- و(وليد)؟

صمت، فصرخت بشكل هستيري:

- يا (عادل).. هل مات وليد؟

بدهشة وانهيأ قال:

- كيف عرفت؟ لقد أصابته سكتة قلبية من هول الموقف.

سقط هاتفي بجواري وأخذت أنظر أمامي بنظرة خاوية، وأنا أحوقل، والدموع تصب بغزارة، وصوت (عادل) من بعيد يناديني:

- منى... منى، لا حول ولا قوة إلا بالله منى.

لم أجهه فأقفل الخط، وأخذت حينها أبكي بحرقه؛ فقد رأيت (وليد) وملك الموت يقبض روحه بعيني، والجن قد نبهوني، ولكن من يفهمني؟ أخذ (جَمُنون) يهمس باكياً:

- لا تبكي حباً بالله، فالحياة لا تنتهي بالوفاة، بل الروح غيرت وجهتها، اهديني يا حبيبي.

شعرت بحضنه قوياً ساخناً؛ فتركت نفسي بين ذراعيه أبكي بحرقه، زوجي وحببي ورفيقي، وأبو أبنائي، يا إلهي كيف سأخبرهم؟ أبكيه رغم توقعي المسبق بأنه سيرحل يوماً عني؛ إلا أن الحزن والبكاء عرفا طريقاً إلى قلبي وروحي، وكأني لم أشعر مسبقاً بأي شيء.

النمر الأسود (جاكوار)

(تحكيها منى)

من منا كان يستحق العزاء؟ أنا أم أم (معاذ)؟ كالحلم الثقيل مرت الأيام، الرجال يعزون في (معاذ) ويعزون في (وليد) هنا وهناك، الغسل والدفن تم لهما معًا، وكأن محبة (وليد) لصديق روحه؛ قد انتقلت معه إلى العالم الآخر.

كنت أشعر بالغضب داخلي وأنا أتوشح بالسواد والنساء يقدمن لي العزاء، الغضب من (معاذ) العنيد الذي قطع الشارع رغم تحذيرات (وليد) له! وهكذا اصطدمت به السيارة فسقط بعد أن ارتفع جسده أمتارًا عدة حسب وصفهم، فلم يكن (وليد) وحده معه في ذلك الوقت، بل اثنان آخران من أصحابه، هناك على الإسفلت تنافض جسد (معاذ) ونصف دماغه خارج من جمجمته المحطمة، (وليد) كان يحتضن صديقه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، فلم يحتمل هول وبشاعة المنظر، وهيبة الموقف، الإسعاف عندما جاء لينقل الجسد الميت لـ(معاذ) تفاجؤوا بنوبة قلبية لزوجي (وليد)! أم أقول: فقيدنا الغالي؟

حاولوا إسعافه ونقلوه للمستشفى، وهناك لفظ أنفاسه الأخيرة بين ذراعي أخيه (عادل) الذي كان أول من عرف من أصحاب (وليد) وحضر مباشرة للمستشفى، فلحن أخاه الشهادة قبل أن ينتقل إلى رحمة الله.

حقدت على (معاذ)، فلو أنه لم يقطع الشارع بتهور لما مات، ومات معه زوجي الحبيب، كنت أغلي في داخلي، حتى سمعت صوت (جَمَنون) يهدئي:

- الإيمان بالقضاء والقدر واجب، لا تغضبي فكل شيء في الحياة مكتوب، وكل امرئ رهن خياراته.

تخاطرت معه والدموع تسيل على وجنتي، والمعزيات ينظرن إليَّ بشفقة، هذه الشابة المكلومة، قلت بنبرة غاضبة متخاطرة معه:

- بالضبط، المرء رهن خياراته، فلو كانت غبية، فما ذنب من يحبونه؛ ليتجرعوا مرارة غبائه؟ هذا بسبب غياب (معاذ).

تنهد (جَمَنون) وقال بحنان:

- بالضبط يا حبيبتي، وهل تظنين أن (معاذ) كان يتوقع ولو 1% أنه سيموت؟ لو كان يعرف لما أقدم على ذلك، كان يظن أنه أسرع من البقية؛ لذا هو أيضًا مسكين، فترحمي عليهما، فهما الآن عند الرب في بُعد آخر أجمل من هذه الحياة، واشكري الله أن (وليد) مات بنوبة قلبية، وليس هو من اصطدمت به السيارة ومزعت جسده، ونازع بألم مثل (معاذ).

انتفضت عند هذه العبارة، وأخذت أشكر الله أن (وليد) لم يعانِ، بل توجعت مشاعره لبعض الوقت قبل أن يقابل الرحمن.

لم يكن أحد يفهم ويتصور القوة الجبارة التي كنت فيها، أحزن وأتقبل العزاء، وأتخاطر مع صديقي الجني الذي يحاول احتوائي، بينما أحاول أنا أن أحتوي أطفالا وأدبر كل شيء في الوقت نفسه، متى تنتهي هذه الأيام الثقيلة والصعبة؟ عزاء الرجال انقسم قسمين: قسم في (الرياض) يديره (عادل)، وقسم في (جدة) بعد أن حضر والد (وليد) وإخوته الدفن في (الرياض).

حضرت (سمية) لتقف معي تاركة المسكينة أم (وليد) بعد أن بقيت تؤازرها ليوم، طالبة منها أن تأتي لتساعدني.

كانت تحتوي أطفالا المساكين وتؤنس فجعتي، وهكذا انتهى العزاء، وبعد أسبوعين رحلت (سمية) وعاد أطفالا للنوم في غرفهم بعد أن كانوا ينامون معي؛

فشعرت لحظتها بالفراغ والوحدة، أرملة شابة على سرير خالٍ، ومسؤولية كاملة على عاتقي، أصبحت الآن الأم والأب وكل شيء.

تحممت بالماء الساخن والملح الخشن؛ لأغسل جسدي المجهد، وأجدد طاقته، ثم بالماء البارد الذي انصب على شعري ووجهي واتحد مع حرارة دموعي، فجأة شعرت باحتواء عجيب! عرفت أنه (جَمْنون) يحتضني تحت الماء؛ ليسحب الحزن مني، وقد نجح، فكما السحر انسلت مني كل المشاعر السلبية والآلام؛ فللجن أساليب عجيبة ثم سمعته يقول بركة:

- تنفسي بعمق؛ فالحياة تستمر ولا تنتهي، تعبر الدنيا وتستقر في الآخرة.

رددت في عقلي: «وبالقضاء خيره وشره، وبالقضاء خيره وشره».

ارتديت بجامتي القطنية الحنون، واتجهت مجهدة إلى فراشي، ووضعت رأسي على مخدتي اليتيمة شعرت بالحزن من جديد، وبكيت حتى شعرت بالنعاس، حينها شعرت بشخص دافئ جدًا يحتضني من خلفي، كان (جَمْنون) الحنون، حضن دافئ حنون غريب! يبث كهرباء في جسدي تجعل روجي تحلق، ونفسي تهدأ لهذا الشعور الذي يذكرني بطفولتي؛ لأنام بعدها براحة وكأن مشكلات الحياة آخر اهتمامي.

في بعد الأحلام الخامس رأيت حقيقة ملموسة شعرت بها، رأيت رأي العين من بين الأعراس تقدم نحوي نمر أسود جبلي، سواده بهيم، هيئته تهز الجبل من تحت قدميه، كبير الحجم، جميل المحيا رغم أنه خطير ومفترس، كان يمشي الهويني وهو يتقدم نحوي، حينها التقت عيناى بعينييه الخضراوين، وبدلاً من شعوري بالخوف ففز قلبي فرحة وأنا أرى الدفء والحنان والحب في عينيه، ركض نمر ال(جاكوار) نحوي، وبدل الهروب منه وجدت نفسي أفتح ذراعيَّ بلهفة لأضمه نحو صدري، كم فرحت عندما استقر رأسه بين يدي لأضعه على صدري، فأخذ يفرك رأسه على صدري بكل محبة ودفء وشوق، وعندما رفعه لتلتقي عيناى

بعينه انتفض قلبي وأنا أرى داخل تينك العينين عالمًا آخر وليس فقط نمراً أسود.
استيقظت من نومي وأنا أشعر بذلك الدفء لا يزال على صدري وراحة عجيبة
تغمر نفسي!

كنت لا أزال أشعر بدفء ذلك النمر، والأعجب ملمس اللحف على صدري كان
فروًا ناعمًا! حركت يدي على ذلك الفرو الناعم لأجد أنه ذراع النمر الأسود، لم
أخف، بل ابتسمت بهدوء عجيب، وراحة بال ومحبة، وهمست وأنا أعرف
صاحب هذه الذراع:

- (جَمْنون).

هرهرة صدر القط الكبير تناهت إلي وجسده يرتجف؛ ليبت فيّ طاقة التهدئة،
وبعد دقيقة عادت يده بلمس الجلد الناعم الطبيعي، ثم سمعت صوته الرقيق
المتحشرج يهمس لي:

- حبيبي (منيتي).

بكسل ضمنت يده إلى صدري والنعاس يشل حركتي وأنا أقول:

- نمري.. نمري الأسود المهيب.

سقطت في نوم عميق لم أذق مثله منذ أحداث الوفاة والحزن والهم.

نوم دافئ في أحضان نمري الأسود، أم أقول: في أحضان (جَمْنون)؟

قررت أن أنتقل إلى (جدة) أرغب بقوة أن أكون مع عائلتي وأسرتي، أرغب بقوة أن
يكون أطفالنا محاطين بجديهما من طرف والدهم وجدهم لأهمهم، عائلة كبيرة،
بها الخالة والخال والعمة والعم، وأيضًا (جدة) هي المدينة التي أحبها أكثر من أي
مدينة في العالم.

سمعت (جَمْنون) يقول لي بتفكير:

- أترغبين بذلك حقًا؟

تنهدت وقلت له بصدق:

- الزمن يمحو الجراح، ومع الوقت كل شيء ينقضي، المكان هنا له ذكريات لا أطيع البقاء معها، لا تزال رائحته عالقة بالمكان، أرايت كيف الأطفال أصبحوا يتحاشون الجلوس على كنبه في الصالة؟ بل وتخنقهم العبرة؛ فلم يعودوا يجلسون في الصالة بأكملها، كيف سنمضي قدمًا إذا كانت الذكريات وخياله تحيط بنا؟

قال (جَمْنون) بعد برهة:

- الذكريات لا تنتهي بتغيير المكان، ولكن إلحاح الذكرى هو ما يختفي.

هتفت بحماس، إذ إنه يفهمني:

- بالضبط هذا ما قصدته، الذكريات في القلب، وكما رأيت أنت فقد صنعت صناديق لثيابه وأشياءه لأطفاله؛ للذكرى كل واحد منهم سيأخذ هذا الصندوق معه حتى كلما اشتاق إلى والده استطاع تأمل أشياءه وصوره، ولكن إلحاح الذكرى وخياله في المنزل هنا وهناك؛ يؤثر على النفسية فيتعب الطفل ولا يستطيع أن يتخطى هذا الحزن ويكمل الحياة.

قال متفهمًا:

- نعم معك حق، وأحببت كثيرًا كيف أن (سمية) شرحت لهم أن الروح لا تموت أبدًا.

تنهدت بهم وشاركتهم مخاوفي:

- أحتاج أن أقدم نقلاً من جامعتي إلى جامعة (جدة)، أيضاً إجراءات بيع هذا المنزل، وشراء منزل آخر في (جدة) وهذا أمر سهل، لكن الصعوبة أمر النقل الوظيفي، أخشى التأخير.

بصوت واثق وحاسم قال:

- إن كانت هذه رغبتك فلا تهتمي بأي عراقيل، طالما أنا معك يا حبيبتي كل الأمور مقضية.

ارتجفت بفرحة داخلي وسألته بدلال:

- ما معنى ذلك؟

شعرت به يحتضنني من الخلف، وهو يهمس قائلاً:

- وضعك ليس كباقي البشر؛ فطلباتك ورغباتك أوامر مجابة.

ذابت روجي وأنا أتأمل كلماته، شعرت حينها بأنني محمية من رجل عظيم ومحِب.

قلت له براحة:

- أنا أشعر بالأمان، أقسم لك على ذلك؛ لأنك معي، بالنسبة إلى الحياة فكما كان (عادل) من قبل النائب والمشرف على الأمور في العيادة، فهو الآن بتراض بيننا سيكون المدير التنفيذي، ويكمل مساره مع مسيرة أخيه (وليد) رحمه الله، أنا أثق به وأعرف يقيناً أن كل ريال من حقي وحق أبنائي سيأتي إلي.

قال (جَمْنون) بثقة:

- لأنني واثق به فاطمئي أنتِ وأبناؤك أصحاب العيادة الشرعيون، وما (عادل) سوى موظف والمدير التنفيذي الآن، وهو شخص يستحق الثقة، ونحن نعلم

بذلك فاطمئني، تستطيعين الانتقال لأي مكان تحبين، وأنا معك حاميك، وأبناؤك
أبنائي فلا تخافي.

سالت دموعي تأثرًا، فضمني بشكل أقوى، شعرت به بقوة رغم عدم رؤيتي له،
ولكنه شعور أقوى مما لو كان الذي يحتضني إنسانًا من لحم ودم.

مرت الأيام غريبة، كنت أعمل على إجراءات حصر الإرث، وطلب النقل، وهذه
الأمور والمسؤولية على عاتقي، أحتوي أطفالتي حتى لا يشعروا بأي تغيير وألم،
أحتضنهم، أواسيهم، أحتويهم، والعجيب أن (جَمُنون) صنع معجزة معنا! لا
أعرف كيف أصف ذلك فأساليب الجن تختلف عنا، وقدراتهم عالية لا نفهمها،
لقد سكب في أرواحنا بلسمًا يشفيها تصالحًا وسلامًا داخلين عجيبين! وقع في
قلبي وقلوب أطفالتي، كنت أرى كالخيال جنيتين بأجنحة (فيري) ولكنهما ليستا
بحجم عقلة الأصبغ، بل بحجم البشر، كل واحدة منهما تحتضن ابنتي من
خلفهما، (تولين) من تحتضنها أجنحتها خضراء، أما (إلين) فمن تحتضنها أجنحتها
صفراء، كالخيال أراهما تعلان ذلك، ثم تهدأ روحا ابنتي، وتعم عليهما السكينة،
تمامًا كما يحصل عندما يحتضني (جَمُنون)، الغريب أن ابني (سيف) يحضنه
رجل بأجنحة أيضًا (فيري) وبحجم رجل الإنسان، ولون أجنحته بيضاء، أي عجب
هذا؟!

تناهى لعقلي حديث (جَمُنون) قائلاً:

- هذا العجب لا شيء أمام الأشياء التي ستكتشفينها أكثر! وأنا وعدتك بأني
سأحميك وأحمي أطفالك، والحزن مدمر للذات فلا أرضاه لكم سبيلًا.

تأثرت وقلتُ وعينايتُ تترقرقان بالدموع:

- شكرًا.

بضيق لطيف قال:

- لا تشكربني فأنتِ حبيبتي.

شعور الأمان طاع، والأشغال حقيقة أشغلتني، بعد ثلاثة أشهر من وفاة الغالي (وليد) استلقت على فراشي مجهدة راغبة في النوم، و(جَمُنون) يحتضني بين ذراعيه ككل ليلة، في عمق منامي، وجدت نفسي كالواقع نائمة على سريري، ولكن المنظر أمامي لم يكن غرفتي بل بعدًا آخر، رأيت نازًا تشب وتشتعل وسط منطقة جبلية، ولهيبها يضيء عتمة الليل، ومن خلف السنة اللهب رأيت رجلًا جالسًا ينظر نحوي من بين السنة اللهب، كان كالظل الأسود بدون ألوان، رغم النيران التي من المفترض أن تكون منعكسة على ملامحه، ولكن ملامحه غارقة في الظلمة، وعن يمينه ويساره طفلان توأمان صغيران، خمنت أنهما في الثالثة من العمر أو أصغر، طفل على يمينه يلعب، وطفل على يساره يرسم على الأرض، وذلك الرجل يرمقني بحقد، تأملت هيئة رأسه وجسده فكان ذا جسد طويل وعضلي، وشعره غزير وجميل وكأنه (جَمُنون)، كنت أشعر بالثقل وخرج من فمي صوتي هامسًا وسائلًا:

- ج... (جَمُنون)؟

جاءني الرد على هيئة زفير وحشرجة غاضبة كالأسود، ثم رأيت الشرار يلعب في عينيه، والإجابة وصلتني كصفعة على وجهي: «ب والده»، انتفضت رهبة وعرفت أن هذين الطفلين أخوا (جَمُنون)، وهنا وقف والده بطوله الفارع، وتقدم نحوي طائرًا، وأخذ يحاول أن يضربني على جانبي الأيمن، ولكنه كلما أراد أن يفعل، ينظهر بقلق نحو النائم جواري، أي ابنه (جَمُنون)، وكأنه يخشى إغضابه، أخذ يصر على أسنانه بحقد، ومخالب يده ترغب بتمزيقي، نظر نحوي بغل وزفر بقهر وعيناه تتوعدانني بزياره أخرى لينتقم مني لأنني أخذت ابنه منه.

فتحت عيني برهبة ونظرت جواري لأشعر ب(جَمُنون) نائمًا وذراعه على خصره، فهمت أن والده يربني أن أخوي (جَمُنون) صغيران، وكان من المفترض أن يكون

ابنه ولي العهد معه، يقيم شؤون الدولة، ولكنه أصبح مشغولاً معي، ومع مشكلاتي الخاصة، في خضم أفكارى، جاءني صوت (جَمْنون) الناعس وهو يقول:

- لحظة ماذا أرى؟ أبي زارك متوعداً، نعم نعم إنني أرى ما رأيته.

تنهد بهم، ثم احتضنني بقوة وقال مطمئناً:

- لا تخافي لا يقدر أحد أن يعتدي عليك، وأبي أعرف كيف أهدئ من روعه، نامي يا صغيرتي ولا تخافي.

تنهدت بهم وخوف، في الحقيقة خفت وحملت همًّا عليه وعلى نفسي، ولكنني سلمت له الأمر، وحاولت أن أكون هادئة لأنام، وبعد نومي انسل من جواري (جَمْنون) واجتمع مع حاشيته الخاصة؛ ليرتب لأمر افتتاح منطقة يرغب والده فيها بقوة، وكأنه بذلك يقدم عربون هدنة بيني وبين والده.

(11)

حياة جديدة

ومرحلة جديدة

وتجارب جديدة

وجهها لوجه

- كم أنت محظوظة عزيزتي (منى)، أمورك تيسرت في النقل بشكل عجيب، رغم ألم فراقك إلا أن عزائي أن تكوني سعيدة بين أهلك.

هكذا قالت لها مديرتها في الجامعة، ابتسمت (منى) بامتنان لله بينما (جمنون) يضغط على يدها وهي لا تصدق كل هذا التسخير، حتى منزلها استطاعت أن تجد له شاريًا بالسعر نفسه الذي طلبته، ومن يكون الشاري؟ صديقتها (دلال) التي قالت لها في بهجة:

- هكذا سأشعر بجمال روحك وطاقتك معي، بل وستوريني كلما أتيت إلى الرياض، إن هذا البيت لطالما سحرني بذوقك العالي.

تذكرت منى كيف أنها قبل شرائها منزلها الجديد في (جدة) بثلاثة أيام، رأت ببصيرتها مشهدًا سريعًا عندما أغمضت عينيها على سريرها، رأت جنية تقف أمام منزل لا تعرفه، دخلت من بابه الخشبي الكبير، وسمعت صوتها يردد قائلاً: «منزل (منى) منزل (منى)».

فتحت منى عينيها بدهشة، ولكن الأكثر دهشة هو أن واجهة المنزل الذي اشتريته وبوابته؛ كانتا مثل الذي رآته ببصيرتها تمامًا.

عادت من ذكرياتها وابتسمت لمديرتها وقالت بهناء:

- الحمد لله تم كل شيء، وأنهيت عدتي، وسأحاول أن أبدأ حياتي من جديد.

نهضت مديرتها واحتضنتها بحب وهمست لها:

- حبيبتي، رحم الله زوجك، ولكن تذكري الحي أبقى من الميت.

أبعدت منى عنها ونظرت في عينيها وقالت بقوة:

- تذكري: الأموات ينعمون بحياة أخرى، وأنتِ رحلتك لا تزال على هذه الأرض، فلا تبتئسي، انظري إليّ زوجي توفي منذ عشرة أعوام، وقمت بكل شيء من تربية أطفالي وزوجت ابني قبل سنتين، وتوظفت ابنتاي، ولا تزال الصغرى في مرحلتها الجامعية، وكما تعرفين...

غمزت لها بشقاوة وأكملت:

- تزوجت قبل سنة وأشعر بالسعادة والحمد لله، فالحياة تستمر يا جميلتي.

أطرقت منى برأسها باستحياء وامتنان وقالت لها:

- دكتورة (عفاف) لطالما شعرت بأنكِ أختي الكبرى، لا تنسيني من دعائك.

قالت لها د. (عفاف):

- وأنتِ لا تنسينا من الزيارات والتواصل، كلنا معكِ قلبًا وحضورًا.

عندما همّت منى بالانصراف سمعت (جَمْنون) يهمس لها:

- السعد حليفك ومناك مجابة.

استوقفتها هذه العبارة، خرجت من مكتب مديرة الجامعة ووقفت تحت الشمس التي انعكست أشعتها على عينيها البنديقتين، ولمعت على شعرها الكستنائي، هنا أخذت منى تتذكر منامها عن عمته وزوج عمته رحمهما الله، أخذت تفكر:

(هل كان ذلك المنام تعبيرًا عن أن لا أحزن على وفاة زوجي؟ وأن حياتي ستتبدل

للأفضل؟).

كان شعورها غريبًا ويختلف عن باقي النساء الأرامل؛ لأن حب حياتها يقف بجوارها، هذا ما أعطاها قوة عجيبة.

في ذلك اليوم انشغلت منى بالترتيبات وهي تنسق مع أخيها (فيصل) ترتيبات الفيلا الجديدة التي اشترتها في جدة بحي الشاطئ.

عندما أوت إلى فراشها رأت (وليد) بثوب أبيض ناصع، وابتسامة رضا وتسليم بالقضاء على شفثيه، اتجهت نحوه وابتسمت له وقالت بحرارة:

- (وليد) هل أنت سعيد في الجنة؟ لا تخف أنا والأطفال بخير، إننا فقط مشتاقون إليك.

في تلك اللحظة شعرت منى ب(جَمْنون) يتقدم ليقف بجوارها، فنظر إليه (وليد) وتفاعلت وتوترت بأنهما تقابلا أخيرًا وجهًا لوجه، في تلك اللحظة مد (جَمْنون) معصمه الأيسر فكان يزينه سوار فخم من الذهب، ووجدت منى نفسها تمد معصمها الأيمن وبه مثل السوار الذي يزين معصم (جَمْنون)، اقترب معصم (جَمْنون) من معصمها؛ فالتحم السواران معًا.

ضحكت منى بدهشة وفرح، وشاركها الفرحة (جَمْنون) في تلك اللحظة، نظر (وليد) نحو معصمها وابتسم بتسليم ورفع رأسه ونظر نحو (منى)، ثم أعطاها ظهره وهمَّ بالرحيل، وأثناء ذلك كان (وليد) يخرج ذهب منى الذي اشتراه لها سابقًا في أرض الواقع من جيوبه، وأخذ يرميه على الطريق، صدمت منى لماذا يرمي (وليد) ذهبي؟ ركضت لتلمه وتجمعه من قارعة الطريق، وهنا سمعت صوت أمها يقول لها:

- لأنه ذهب والحياة أمامك أنتِ.

التفتت منى للخلف؛ لترى والدتها واقفة ترتدي ثوبًا من الحرير المطرز بالذهب،
فرحت وقالت لأُمها بسعادة:

- أُمي، أُمي، كم أنت جميلة!

قالت والدتها:

- وأنتِ جميلة، ولكن يا ابنتي حدّريه.

سألت منى بحيرة:

- أحذر من؟

هنا رأت (جَمُنون) يسير أمامها وهو يرتدي حريراً أبيض مطرزًا بخيوط من ذهب،
وجيوبه ممتلئة بالمجوهرات والذهب، والنقود الذهبية التي أخذت - من شدة
اكتنازها في جيبه - تتساقط على الأرض دون علم منه، ومجموعة من الرجال
يتسللون خلفه ويأخذون منها، استطردت والدتها قائلة:

- حدريه من هؤلاء السياسيين، إذ إنهم إن سرقوا من كنز عظيم؛ لا تكاد تظهر
سرقتهم، وبارك الله لكِ فيه.

انتفضت منى مستيقظة؛ فانتفض معها (جَمُنون) ولثوان وهي تتأمل منامها كان
هو كذلك يتأمله، فقد كان داخلًا معها ورأى روح (وليد) في البعد الخامس، فجأة
احتضنها وصاح بفرح:

- أرايت أنها تباركنا والسماء تباركنا؛ فمصيرك اشتبك بمصيري، وأخيرًا (وليد)
أصبح يعرفني وقد سلم للقضاء والقدر، أما تحذير والدتك فسأعمل به حبيبتي.

دُهِشت منى من غرابة الموقف وعالم الروح! وكيف أن أرواح الموتى والجن
والأحياء تلتقي، دمعت عيناها وقالت بامتنان:

- معنى هذا أن حياتنا ستكون معًا أخيرًا، أخيرًا يا حبيبي والمرحوم (وليد) أصبح يعرف وكأنه سلم الدفة إليك، كم أشعر بالراحة.

احتضنها بقوة وقال لها:

- أخبرتك من قبل سنوات مضت، أننا بعضنا لبعض ولو طال الوقت.

ودّعت صديقاتها و(الرياض) العاصمة الجميلة، وانتقلت إلى مدينتها الحبيبة (جدة) عروس البحر الأحمر.

اللين يانغ

أخذت تتأمل منزلها الجديد غير المؤث بحديقته الكبيرة وحوض السباحة الجميل، تفاصيل فاخرة تعدت جمال منزلها في الرياض بمساحته وأسلوبه الذي جمع بين العصري والكلاسيكي، كان ثمنه كبيرًا أكثر من منزلها الوثير بالرياض، ولكنها عن قصد اشتريته؛ لأنها باختصار رأته ببصيرتها وفي رؤيا صادقة؛ فالجن مثلما ضروا عائلتها سابقًا، فهم الآن العكس تمامًا؛ إذ نفعوها ونفعوا صغارها، كان أخوها (فيصل) يسير جوارها قائلاً بدهشة:

- لا أنكر جمال الفيلا، ولكنني تعجبت من تهورك أن تشتري منزلًا من خلال الفيديو والصور دون أن تعاینه حقيقة.

ابتسمت ابتسامة صفراء وقالت بلؤم:

- لأنني أثق في رأيك.

تأملها (فيصل) فتلك الابتسامة وطريقة كلامها تحملان الكثير، لذا قال بسخرية:

- صدقتك! هناك سر، كيف اعتمدت عليّ تمامًا وأنت التي تحبين أن تختاري بنفسك كل شيء.

صمتت، ماذا تخبره؟ أتخبره بأنها قد جاءت إلى هذا المنزل بعد أن رأته الصور وتيقنت بأنه نفسه المنزل الذي في الرؤيا؟ هل تخبره بأنها مع (جَمَنون) قد جاءت في إسقاط نجمي، وأخذت تتجول في المنزل غرفة غرفة، ورائحة المنزل الجديد التي شمته من قبل نفسها الرائحة التي تشمها الآن؟ أتخبره بأن الحديقة بكل تفاصيلها قد شمته ورودها، ولمست أوراق أغصانها؟ لقد رأته كل شيء،

و(جَمْنون) يتجول معها ويقول لها: «اشتره يا منيتي) فهذا المنزل نصيبك، وحياتك سترى الخير فيه، وطاقته عالية، وإنه محمي منا».

لا، لم تخبره ولن تخبره، فهي ستبدو مجنونة في نظره، لذا قالت مراوغة:

- ذلك لأن المسؤوليات على رأسي منعتني من القدوم وإضافة عبء آخر، لذا سلمت لك الأمر، وكما ترى النتيجة خلاصة.

غص قلب (فيصل) وشعر بمدى غبائه، فشقيقته مرت بمرحلة حداد، فكيف يتوقع منها أن تكون رائقة المزاج لمثل هذه التفاصيل؟

وضع يده على كتفها وقال متصنعاً المرح:

- تستطيعين الاعتماد عليّ في أي شيء، فذوقي مميز.

ضحكت بخفة وقالت:

- سأستمتع الآن بتأثيره طالما أنني أسكن مع والدي، الآن مرتاحة، فلدي الوقت للتفكير.

كانت أمورها تسير بسلاسة جميلة في الجامعة، شعرت بالامتنان فجامعة الملك عبد العزيز جامعته الغالية التي درست فيها وعاشت أياماً جميلة لم تنسها ولن تنساها، ضحكت عندما تذكرت رد فعل الطالبات عندما رأينها، كانت معتادة على نظرات الانبهار بجماها ورشاقها وأناقته، لكن رداً فعلهن كانت ظريفة، والأجمل من هذا أنها وجدت بعض من درسها أيام البكالوريوس، مرت الأيام بسلاسة، وابنتها التوأمتان سجلتهما في مدرسة خاصة ممتازة، مديرتها صديقة لأختها (سمية) التي تعمل معلمة في مدرسة حكومية، ولها خبرة في أفضل المدارس، أما ابنها الغالي (سيف) فلا يزال صغيراً على مرحلة رياض الأطفال.

كانت قد اتخذت قرارًا حكيماً بقدموها إلى (جدة) فالاحتواء أحاطها وأحاط أبناءها بالكامل من قبل عائلتها وعائلة المرحوم (وليد)، أيضًا صديقاتها القدامى اللاتي ما زلن على تواصل معها؛ قدمن لها كل الحب والدعم، كانت تسعد عندما تجلس مع أخواتها الثلاث، شكرت الله، فأمرها كلها طيبة، والأهم (جَمْنون) الذي لم يتوان عن تقديم الحب والدعم لها، وفتح أمامها كل أبواب القبول، فكل الإجراءات التي أقدمت عليها سارت بسرعة، وكأن الكون تكاتف ليبارك خطواتها الجديدة والقادمة على حياتها.

أثنت بيتها الجديد أثنائًا يليق بذائقتها العالية، وسكنت أخيرًا في بيتها الوثير الذي يحمل طاقتها العالية من أوله لآخره، وبدأت حياتها كامرأة مستقلة، بدأت مرحلة جديدة وبعدها جديدًا لم تكن تتخيل أن تعيشهما قط.

حياة كالسحر، وقصة أشبه بالفتنازيا التي تقرأها في الكتب وترها في الأفلام.

مرحلة ذات بُعد مختلف، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

كان لغرفتها الخاصة شعور مختلف وغريب، إنها غرفتها وحدها بدون زوجها السابق، أخذت تتأمل التفاصيل، غرفة أنثوية أنيقة على ذوقها دون ذوق رجل معها، ف(جَمْنون) هو روحها ونفسها، ساعدها في الاختيار بناءً على ذوقها ورغبتها، وهو يردد: «اختاري ما تشتهين فذوقك جميل ورغباتك مجابة».

داعبت أناملها أقمشة الستائر وفتحت باب الشرفة الكبيرة الملحقة بغرفتها، ووقفت تتأمل الحديقة والمسبح اللذين تطل عليهما، احتضنها (جَمْنون) من خلفها وهمس لها:

- أنتِ سيدة المنزل وكل شيء، أنتِ سيدة الكل.

ابتسمت وقالت وعيناها تسرحان بعيداً:

- لماذا لست بحزينة؟

ابتسم في داخله، ولكنه قال بهدوء:

- لأنك لست حزينة، لماذا الحزن؟

قالت بحيرة:

- ظننت أنني سأنهار لو مات (وليد)، ورغم حنيني إليه عدت الأمور بخير، وأما الآن فأشعر بدغدغة فرحة، لا أعرف لماذا؟

ارتجف قلبه غبطة، وأخذت أنامله تلعب بخصلات شعرها وقال بحب:

- الحب هو السبب، الحياة التي كان مقدراً لك أن تعيشها وتأجلت، وحن وقت أن نحيا بها معاً.

صمت ليستمع إلى دقات قلبها، ثم قال بهيام:

- أتحبيني؟ أريد أن أسمعها منك مرة أخرى.

احمّرت وجنتاها، وقالت وقلبها يرفرف:

- نعم أحبك، أحبك حباً لم أحب مثله من قبل، حباً غريباً! تعدى حتى حبي لأطفالي، لعائلي، لنفسي!

ارتجف (جَمْنون) وقال لها بصوت حنون ومتأثر:

- عندما خلق الله الأرواح، التقت روحانا، أنا واثق، وإن روحينا هما روح واحدة قد سُطرت نصفين؛ لذا كان محتمّاً علينا أن نلتقي، ولقاؤنا يحمل تحديات من حيث الفروقات والصعوبات، هكذا هما توأماً الشعلة، ولكن عندما تنتهي هذه

العقبات ويتحدان يشتعلان، ويحققان التوازن الحقيقي، ك(الين يانغ)، فالشمس والقمر والليل والنهار منظومة كون متكاملة، لا يقوم الكون بدونهما، وأنا وأنتِ لا تكون لنا حياة كاملة دون بعضنا البعض.

تهنّدت منى وارتجفت روحها، وتساقطت دموعها، وقالت بصدق:

- وأنا معك لا أستطيع أن أراوغ، أقولها لك أنت، ولا أقوى أن أقولها لأحد آخر، حتى لا يساء فهمي، أعترف لك بأنني سعيدة إذ اجتمعنا معًا، والآن لا أشعر بتأنيب الضمير مع (وليد) رحمه الله؛ لأن في قلبي شعورًا أقوى لرجل غيره، أحبك (جَمُنون) ولن أكون لرجل غيرك أبدًا هذا وعد مني.

رفرف قلب (جَمُنون) بفرح وشعرت بقبلة على شفيتها دون أن تراه، ارتجفت وأسلمت نفسها إليه، سمعته يهمس لها:

- أتقبلين بي زوجًا؟

فتحت عينيها بدهشة وقالت بغبطة:

- وهل هذا يكون؟

ابتسم على بساطتها وقال معاتبًا:

- كم مرة شرحت لك منذ سنين مضت أن الزواج بين الإنس والجن يكون؟ وهناك حالات كثيرة قد حصلت.

صمت لثوانٍ ليقراً عينيها وهالتها ثم قال:

- أتقبلين الزواج مني (منيتي)؟

ابتسمت بخدر وقالت بعشق:

- طبعًا أكيد أقبل.

أخذ يقبلها بشغف ويضمها وهو يبكي بسعادة، لكنها لا تراه، ولكنها تشعر به،
فهمست برجاء:

- (جَمْنون) لماذا لا أراك؟ دعني أراك أرجوك.

زفر بحرقة وقال:

- اصبري قليلاً، فممنوع عليّ أن أظهر نفسي لك، ولكني أمهد خطوة خطوة لكل
شيء.

صمتت بحزن ثم قالت:

- لم يمر على وفاة (وليد) سوى ستة أشهر، هل سأكون وقحة بزواجنا مبكرًا؟

تأملها (جَمْنون) وهو يعرف قيمها ونبيلها، ضمها وطمأنها قائلاً:

- لم تتزوجي لمصلحة أو جاحدة بحبك له، إنما تتزوجين لأجل الحب بالشخص
الذي كان يفترض أن تتزوجي به قبل (وليد)، ففي عرف الجن أنتِ زوجتي منذ
أعوام مضت حتى لو عارضتني عائلي؛ لذا، اخرجي من هذه القيود؛ فالحياة
الحقيقية تحتاج أجنحة قوية لتحلقي بها وتصلي إلى السعادة، أما الأعدار
والخوف فلا تُؤلّد إلا أجنحة مكسورة ضعيفة، تذكري المنام الذي رأيت فيه
والدتك تتزوج من رجل ثان تحبه، ووالدك في الجنة لم يعد نصيبها، هذه أنتِ.

عقبت:

- أعرف أنا وأنت في الجنة.

ضحك بخفة وقال:

- بل في الدنيا ثم الجنة، أنتِ ستتزوجين رجلًا ثانيًا أحببته أكثر من زوجك الأول؛ لذا ستختارينه أيضًا في الجنة، والزوج الأول سيعوض بامرأة أخرى، وهو بنفسه شبَّكَ أساورنا معًا، أظننت معنى هذا أننا سنكون معًا فقط؟ بل إنها علاقة حقيقية سننتزوج ونربط اسمينا معًا.

كم شعرت بالذهول للكلماته، وكم استغرقتها ولمستها، ابتسمت برضا وماء بارد سلسبيل قد غسل قلبها وروحها؛ فشعرت بالرضا التام، والسلام الداخلي.

نظرت نحوه وابتسمت بصفاء وقالت:

- سأعيش الحياة التي كانت مكتوبة لي وأجلت التمتع بها، أعرف أنني مررت بمحطة جميلة مع زوجي السابق؛ ولكن الآن قد وصلت إلى وجهتي الحقيقية معك؛ لأستقر وأحلِّق بقوة في سماء حبك؛ لذا..

ابتسمت في ثقة وعشق واستطردت:

- (جَمْنون) تزوج بي.

همس بصوت متهدج:

- أقبل.

عادت خطوات إلى الوراء وعيناها تناديان (جَمْنون) بعشق وفتنة وهي تدخل غرفتها متبخرة.

أخذ قلبه يقرع كالطبول في أذنيه وهو يتجه نحوها مفتونًا ومسلوب الإرادة حتى ارتمى بين ذراعيها بعشق وهيام في أول ليلة لها في هذا المنزل الجديد، وعلى هذا السرير الوثير الذي نامت عليه منى في أحضان (جَمْنون) وهي تشعر بالدفء كالعادة بين ذراعيه، ولكن هذه المرة هناك طاقة عالية تصل إلى عنان السماء

تشعر بها تسري في كامل جسدها، وتتغلغل في روحها، ابتسمت في نشوة ونامت
بهناء بين ذراعيه الحبيبتين.

عندما فتحت عينيها في ظلمة الغرفة، ابتسمت لرائحة الأنفاس التي بجوارها
كانت كالريحان، قالت برقة:

- صباح الحب حبيبي.

شعرت بذراعيه وسمعته يهمس:

- صباح الجمال لأجمل من خلق الله.

أخذت جهاز التحكم عن بعد لتفتح الستائر؛ فتسللت أشعة الشمس الذهبية
لتنير ظلمة المكان وصوت مني يقول بدلال وغبطة:

- يا دنيا يا جميلة صباح الخير.

مرت الأيام جميلة مستقرة حتى أخبرها (جَمُنون) بخبر عجيب سيغير مجرى
الأحداث!

تاج المُلْك

(يحكيها جَمُنُون)

- مولاي..

تقدم وزيرِي وهو يحمل بين يديه طاسة كبيرة من الذهب بها ماء صافٍ، وضعها أمامي وأخذ يحركها بإصبعه وهو يقول:

- صاحب الجلالة يرغب بالحديث معك.

ما أن أنهى عبارته حتى رأيت والدي على صفحة المياه من قصر الحكم في بلادنا.

كانت تقاسيم وجهه غاضبة، فقال بدون مقدمات:

- لقد حان الوقت الآن لتتويجك.

قطبت جبيني سائلاً:

- متى؟

زفر والدي وقال بعد برهة:

- لقد حققت انتصارات أذهلت المجلس، لا أنكر ذلك، وأنت تعرف أنك مؤهل شرعاً لمسك زمام الحكم في عمرك الآن، لن نخالف أعرافنا مهما اعتذرت، فأنا وجدك عندما كنا في عمرك أخذنا الحكم بعد المهام الرسمية لولي العهد بعشرة أشهر، بعد أن أثبتنا كفاءتنا، ولن أقبل منك أي عذر بالتأجيل، ولا تتحجج بتلك الإنسية التي أخذتك مني.

بسرعة قلت له حتى أصبته بالذهول:

- موافق، متى بالضبط؟

سكت والدي وقد ألجمته الصدمة، لم يتوقع أن أستسلم بسهولة! فقال بحذر:

- ستصل والدتك والحاشية بعد يومين، أنت تعرف أن التتويج يجب أن يكون في تاريخ معين من هذا العام.

كنت أنتظر اللحظة التي أصبح فيها ملكًا، وأملك من الصلاحيات ما يتعدى الجميع، فقلت بعزم:

- أعرف وسيحدث ما تأمله، وسأكون ملكًا عظيمًا، وسأوسع حكمنا.

تهللت أسارير والدي، ولكنه عبس حينما استطردت قائلاً:

- الحفل ثلاثة أيام وسأعود بعدها لخليبي.

احمرّت عيناه واشتعلتا، وقال من بين أسنانه:

- خليلتك؟ أجننت؟

قلت بجديّة:

- بل في كامل وعيي، أنت تعرف الأخبار، فهي قد صارت أرملة، فما حجتك الآن؟

بصوت هادر أجابني:

- أنت خاطب وتعرف ذلك.

فار الدم في عروقي، واشتعلت عيناى نارًا وأنا أرد هادرًا:

- أي خطبة تلك؟

ضرب والدي بيده على يد كرسي عرشه قائلاً:

- ابنة رئيس الوزراء...

لم أعطه فرصة ليتكلم لأني قاطعته قائلاً:

- مرة ابنة الوزير (شياط) والآن ابنة رئيس الوزراء، ألم تتعب بعد؟

قال والدي مراوئياً:

- حسناً اجعل الإنسية خليلتك، وتزوج من (تاسيا) فأنا أرغب بالذرية.

ابتسمت ابتسامة صفراء وقلت:

- إني مستبصر، فلك ما تريد؛ ولكن بطريقتي وليس بطريقتك.

نظراتنا التقت بتحدٍّ حتى قرر والدي أن ينهي الاتصال، إذ مسح بيده الصورة فاخفت.

زفرت بغیظ وأنا أقسم أن يتحقق مسعاي الذي سعيت إليه منذ سنين.

اتجهت إلى حبيبتي التي كانت تترى في الحديقة؛ اقتربت منها وأنا أتأمل بشرتها اللامعة وخطودها التي عادت إليها حمرة الحياة، قلت لها:

- (منيّتي).

- (جَمْنوني).

- سأصبح الملك بعد بضعة أيام.

شهقت (منيتي) وقالت بدهشة وعجب:

- خبر عجيب، كيف؟ هل والدك بخير؟

ابتسمت وأنا أطمئنها:

- ألم أخبرك من قبل؟ أعمارنا طويلة جدًا؛ لذا يحكم ولي العهد ووالده الملك على قيد الحياة؛ بل إن جدي لا يزال حيًا بصحة وافرة، وهكذا المملكة تكون قوية؛ لأن الذي يحكمها ليس فقط الملك؛ بل إن معه كمستشارين له الملك الأب ومن قبله.

كنت متعجبة ومبهورة تهللت أساريرها وقالت بفخر:

- فخور بك رغم صغر سنك، مبارك ستكون نعم الملك العادل والقادر.

حضنتها وقلت بحذر:

- التتويج يحتاج أن أرحل..

كما توقعت، شهقت هلعًا وتساقطت دموعها بغزارة بسرعة خلال ثوان، وهي تصبح قائلة:

- لا.. لا تتركني، لا طاقة لي على فراقك.

ضممتها وأخذت أقول لها برقة:

- لا تجزعي، يا إلهي هذا ما كنت أخشاه، فقط ثلاثة أيام وأعود لك يا حبيبتي.

أخذت أهددها وأطمئنها قائلاً:

- أنا الذي لا يطيق بعدك، فمهما تألمت أنتِ فأنا أتألم الضعفين، ستأتي والدي

والحاشية بعد يومين، وسأغيب عنك ثلاثة أيام، وعندما أعود ستتغير أمور كثيرة بعد أن أصبح الملك، فاطمئني وابتهجي حبيبي.

سكنت وهدأت روحها، جاءت والدتي والحاشية و(منيبي) تترقب يوم الرحيل بخوف، ورغم ذلك زينت المنزل، واستقبلت والدتي بالترحاب، أمي ذهلت من طاقة (منيبي) القوية وقد تزينت حبيبي وأقامت لي حفلاً بمناسبة أخذي للتاج، كعكة عليها تاج وارتدت ثوباً أصفر وحذاءً ذهبياً رغم أنها لا ترانا، ولكنها بشعورها استشعرت كل شيء، ونقلت فرحتها وفخرها وأمانها بكل لطف، ويلوموني في حبها وهي زهرة عباد شمس تدور نحوي؛ فأغمرها بنوري وحيي.

عندما حان وقت الرحيل كانت تبتمس وتقول بصوت عالٍ ليسمعها الجميع:

- رافقتك حبيبي السلامة ورافقتكم السلامة، كن على ثقة بأني فخور بك، ويا أم (جَمْنون) ستكونين فخورة بابنك العظيم.

صمتت للحظة ثم أكملت قائلة:

- (جَمْنون) رافقتك السلامة وسأكون في انتظارك.

خانتها شجاعته عندما وقفت أمام المرأة في الصالون تهذب هندامها، فأخذت تنظر لانعكاسها وترفع بصرها للأعلى؛ إذ تعرف أن انعكاسي في هذه الزاوية انعكس في عينيها وجد البعاد فاحمرتا وهي تقاوم أحاسيسها بابتسامة مشجعة، ألا تدري أي أصم صوت قلبها ولو دارته بابتسامتها؟!

احتضنتها من خلفها؛ فانتفضت عندما شعرت بي، لم أتحمل رؤية انعكاس وجهها المتأثر على المرأة، وجهها الحبيب والغالي، تأثرت رغمًا عني وهمست لها من قلبي:

- لا تحزني فلن أرحل إلى الأبد، فقط ثلاثة أيام، أرجوك كوني قوية؛ لأقوى بك.

عضت على شفتها وقالت بخجل:

- رغماً عني، سامحني.

قلت بعتب:

- لا، لا تعتذري فأنت مغفور لكِ إلى يوم الدين.

أغمضت عينيها لتمنع دموعها من النزول، وأنا أتأملها مسلوب القوى، فكم أخذت مني؟ قلبي وعقلي وروحي، أترغب بأن تأخذ أكثر؟ وماذا أكثر؟

كانت تأسرني بكل لفطة تفعلها بقصد أو بدون قصد، قالت برقة:

- متى يتم التتويج بالفعل؟

أخبرتها بالتاريخ، فأول يوم حفل الاستقبال يبدأ من صباح الغد، ثم حفل عشاء، واليوم الثاني يكون التتويج صباحاً، والحفل الكبير واستقبال التهنئات مساءً، واليوم الثالث حفل نهاري؛ لتوديع الوفود، وأنا سأعود لكِ صباح اليوم الرابع؛ فلا تخافي وأشغلي نفسك، لا تبقي عرضة للوحدة.

أطرقت برأسها ثم لفت بسرعة نحوي لتحتضني، كان رأسها على صدري، وذراعاها على كتفي، رغم أنها لا تراني لكنها تعرف يقيناً بإحساسها العالي أين أنا، ضممتها إلى صدري، ثم تركتها مكرهاً وانطلقت إلى مملكتي، ووالدي والجميع بانتظاري.

وأنا مستعد لهذه المرحلة، وبدخلي قوة حب عظيمة تدفعني، سأحصل على التاج ومن بعد ذلك سأطوع الدنيا رهن أمري.

(12)

الرباط المقدس

خيـط قدرـي لا تراه

لكنه عقد من زمن الأرواح

السيف الموعود

(تحكيها مني)

فراغ مخيف أحاط بي وبالمنزل، ولكنه سيعود.

فراشي صار باردًا من بعده، لكنه سيعود.

العجيب أنني أشعر بهالته لا تزال عالقة بجسدي وكأنه لم يرحل؛ لدرجة أنني هتفت بغباء:

- (جَمْنون) هل أنت هنا؟

أجابني الصمت بالتأكيد.

أخذت بنصيحته بأن أشغل نفسي، في اليوم التالي خرجت من المنزل بعد عودتي من العمل مع صغاري، اتجهت إلى منزل أختي وتوأم روجي (سمية)، أشغلت نفسي معها دون أن أخبرها عن (جَمْنون) أي شيء، فأنا لم أستأذنه في ذلك، فممنوع أن أتكلم بشيء دون إذن مسبق، هذا في عرف الجن.

عندما عدت إلى سريري الفارغ احتضنت لحافي وأخذت مسكناً يرخي الأعصاب ويساعد على النوم، كان يوم الغد هو يوم التتويج يوافق الثلاثاء، إذًا فالعمل سيدشغل ذهني غدًا.

رأيت نفسي أقف في منطقة جبلية عجيبة، أشبه بجبال مدينة (العلا) في السعودية التابعة لمنطقة (تبوك) والتي بها مدائن صالح، كان هناك باب كبير منحوت من صخر الجبل، مفتوح ويقف عليه حارسان ضخما البنية مهيبان،

عرفت بإحساسي العالي للعالم الآخر أنهما من الجن، بل من العفاريت الأقوياء،
وأنتي لست في عالم الإنس.

أخذت أسترق النظر وأنا قلبي يهفو إلى (جَمْنون)، أتراه هناك؟ أردت أن أدخل،
ولكن الحارسين وضعا رمحيهما كعلامة إكس أمامي، وقالوا بغلظة:

- ممنوع دخولك أيتها الإنسانية، تراجعى بعيداً.

عدت خطوات إلى الوراء، لكن شوقي له أكبر من منعهما لي، لذا رددت قوله تعالى:
(وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهْمًا لَا يَبْصُرُونَ). (آية
9 سورة يس).

قلتها ثم نفثت عليهما من بعيد، وعزمت أمري ومررت بخفة من بينهما فلم يرياني
لحسن الحظ، وعندما دخلت هالتي ما أرى.

كنوز وذهب ومجوهرات لم أشاهد مثلها في حياتي حتى بالأفلام، كانت هناك
مكتبة ضخمة لا يرتص عليها الكتب؛ بل سبائك ذهب كل سبيكة بحجم الكف
الكبيرة، عليها نقوش غريبة، والأغرب ألوانها التي لم أرها في عالم الإنس!

سبائك خضراء، سبائك حمراء، وصفراء، ونحاسية، وذهبية وبنية، عجيب
عجيب ما أرى!

تعديت هذه المكتبة لأرى تلة ممتلئة بصناديق ذهبية يخرج منها اللؤلؤ،
والسلاسل الذهبية، والأحجار الملونة الكريمة، تخطيت هذا التل فإذا بي أرى
تمثالاً لرجل وسيم منحوت من الذهب، دُكرني بتمثال (توت عنخ آمون) لأنه
كان يضع على رأسه تاجاً ذهبياً طويلاً وعظيماً، وتحت ذقنه قطعة ذهبية كحال
الفرعنة.

تساءلت هل هذه كنوز النبي الملك (سليمان) عليه السلام من الجن أم أنها كنوز

مارد المصباح الذي وجده علي بابا؟ ثم جاءني الرد سريعًا.

سمعت اسمه يتردد في قلبي: «إنها كنوز الملك (جَمَنون) الزعيم المعظم».

اقتربت من التمثال أكثر وأخذت أتأمله، فوجدت فيه ملامح حبيبي (جَمَنون)، ابتسمت بفخر وسعادة، هنا سمعت صوت الحرس يهتفون بغضب: «إنسية دخلت عالمنا امنعوها!».

ركضت بسرعة في عمق الجبل لأجد بابًا آخر، فتحتة بسرعة وأغلقتة من خلفي؛ لأختفي على الحراس الغلاظ، وهناك شاهدت تابوتًا ذهبيًا بنقوش كالحروف العربية، ولكن الكلمات غير مفهومة، أخذني الفضول لأن أرى ما بداخله، أزحت الغطاء فأصدر صوت احتكاك رخامتين، مما جعلني أخاف أن يجذب الصوت الحرس، لذا توقفت لبرهة ثم أزحت برقّة، لكنه سقط على الأرض محدثًا صوتًا عاليًا جعلني أبسمل وأقفز من مكاني، لحظات هدوء ثم تقدمت بفضول لأرى ما داخل هذا التابوت أو الصندوق الذهبي الجميل، وهناك شاهدت سيفًا ذهبيًا، وعمده مرصع بالجواهر، ونقوشًا وكلمات غريبة لم أفهمها عليه، سحبت نصل السيف بحذر فظهر طرفه، وهنا سمعت هتافًا يقول: «هذا سيفك القادم ولي العهد الصغير».

انتفضت من هول الموقف فوجدتني غارقة في عرقي على فراشي ألهث، ويدي لا تزالان تشعران بلمس السيف بهما.

تأملت يدي الفارغتين وتساءلت: كيف؟

هل كنت في عالم الجن فعلاً بجسدي الأثري؟ لقد تطورت قدراتي فعلاً منذ أن عاد (جَمَنون) إليّ، وهل أصبح ملكًا حقًا؟ يا إلهي كم الساعة؟!

اختطفت هاتفي المحمول بسرعة من على الطاولة الجانبية لأجدها العاشرة والنصف من صباح يوم الثلاثاء.

انتفضت فقد أصبح حقًا ملكًا، هل رأيت ما رأيت حقًا؟ إدًا وما معنى السيف؟ لقد كان الهتاف من بعيد وكأنه ملاك يبشرني، بماذا؟ ما السيف الذي سيكون سلاحًا لي؟ وما معنى ولي العهد الصغير؟

ف(جَمْنون) لم يعد ولي العهد، وأيضًا هو رجل وليس بولد صغير، كم تمنيت لو كان (جَمْنون) هنا ليجيب عن تساؤلاتي وأشاركه أفكاره.

ابتسمت بغبطة، فقد كانت رحلة عجيبة وجميلة، يكفيني أنني كنت على مقربة منه، حتى لو لم يرني.

بنشوة نظرت نحو هاتفني من جديد، وهنا انتهت للوقت 10:45 والدقائق تمضي، يا إلهي عندي دوام.

تنفست بعمق، فمحاضرتي الساعة 12 ظهرًا لا يزال عندي وقت، ولكنني متأخرة عن الحضور المبكر لذا اتصلت بالجامعة مقدمة اعتذارًا على تأخري؛ بسبب تعبتي والمسكن الذي لم يجعلني أسمع المنبه وأستيقظ.

نهضت بخفة وذهبت إلى الجامعة وأنا أنظر إلى الشمس التي أصبحت في كل يوم أكثر شبهًا ب(جَمْنون) الملك الشاب الذي أتمنى له المُلْك العظيم، والحاشية والبطانة الصالحة التي تعينه على أمره، يا إلهي متى يأتي فجر يوم الخميس؟ ما عدت أطيع صبرًا فالشوق إليه يزداد كل لحظة.

بطيئة هي الأيام عندما تكون بانتظار الحبيب، ذهبت إلى فراشي وقلت لنفسي: بقي يوم واحد، الساعة الآن 1 صباحًا بعد منتصف ليل يوم الأربعاء، علي فقط أن أتحمل هذا اليوم حتى يأتي صباح الخميس فيعود مليكي لأحضان.

كنت نائمة وعند الساعة 7 صباحًا شممت رائحة جميلة، مسك أبيض مع زهرة الليلك، زهور زكية الرائحة، هذه الرائحة أعرفها، نعم أعرفها، كنت بين الوعي واللاوعي عندما شعرت بذراعين تحيطان بي، وعقلي يسترجع هذه الرائحة الدافئة

الناعمة التي أحب، إنها رائحة (جَمْنون)، انتفضت وفتحت عيني على وسعهما، وهتفت بفرحة:

- (جَمْنون) (جَمْنون) أعدت حقًا؟

شعرت بذراعيه حقيقة لدرجة أنني لمست ذراعه وعضلاته البارزة، وسمعت صوته العاشق المشتاق يهتف:

- لقد عدت، عدتُ إليك، فما عدتُ أطيق عنك صبرًا.

التفت إلى الخلف علي أراه كما لمست يداي ذراعه حقيقةً ولكنه لم يكن مرئيًا! عدت أتلمس ذراعه فكانت غير محسوسة كما كانت منذ ثوان مضت، ولكنني أشعر بهما الآن كهالته، طاقة دافئة تدغدغي، هتفت بفرحة:

- ألم يكن الموعد غدًا؟

رائحته العطرة لا تزال تصل إلى أنفي وهو يقول:

- بلى لكني ارتأيت بما أن الوفود قد احتفلت باكراً ورحلت، لم أحتمل البقاء حتى العشاء فاستأذنت وقدمت والتاج معي.

ضحكت بسعادة، كانت الدنيا لا تسعني، فها هو قد عاد باكراً لأجلي، أخبرته بما حدث معي ورحلتي إلى عالمه وسألته:

- هل كان حلمًا أم حقيقة؟

أجابني بذهول:

- بل حقيقة يا (منيثي)، هذا التمثال عرضه أثناء تنويعي ووضعه مع الكنوز، وقد توجت حوالي العاشرة صباحًا.

شهمت بدهشة:

- يا إلهي فإذا حقًا ما رأيت، ولكن ما معنى السيف؟

صمت (جَمُنون) للحظات وقال:

- السيف إرث ينقل من ولي عهد إلى ولي عهد، وهو الآن ملكي وسينتقل لوريثي.

تدبرت كلماته وقلت بحيرة:

- وهل معنى هذا أنك سيفي؟

صمت لفترة ثم رد بغموض:

- لكل شيء أوانه يا حبيبتي، فدعي الأيام تجب عن ذلك.

قلت معترضة على غموضه:

- لكن..

- اششششش لا لكن، دعيني الآن أقبلك، فقد جفّت شفّتي عطشًا بدون رحيقك.

قبلني فصمتت وذبت ونسيت ماذا كان سؤالي أصلًا!

الزهرية وترياق الحياة

(تحكيها منى)

الحياة تغيرت عما قبل حصوله على التاج، أصبحت أشعر بطاقة عالية في المنزل، وعدد الجن فيه صار كبيرًا جدًا، كنت أسمع صوت حوافر الأحصنة بشكل عجيب خاصة في فترة الصباح، وعندما أردت أن أخرج من غرفتي ذات مرة متجهة إلى غرفة مكثبي، صعقت عندما شاهدت بلمحة سريعة طاولة اجتماعات كبيرة، لوهلة توقفت أتأمل اللاشيء ما عدا أثاثي الحقيقي، همست بحيرة:

- (جَمَنون) ما الذي أراه؟

شعرت به يقف جواري وهو يقول:

- (منيتي) صدقي ما ترين، فإن قدراتك اشتدت بعد ما عدت إلى جوارك.

قلت له:

- أنت الآن في اجتماع؟ أرغب بالحديث معك.

- لقد انتهى الاجتماع.

أشرت إليه بأن يتبعني إلى الحديقة، وهناك تحت ظل الشجرة جلست وبيدي كتاب "الآن نفتح الصندوق" للروائي الدكتور (أحمد خالد توفيق)، وهو مجموعة قصصية مرعبة، أحضرت خادمتي كوب القهوة التركية وقطعة الشوكولاته.

احتسيت قهوتي ثم سألته:

- أريد أن أفهم، أنا أعرف أنني ذات بصيرة، ولكن لماذا عندما تكون معي تقوى؟ وفي غيابك عني تلك الفترة الماضية ضعفت! فهل هي مرتبطة بك؟

قال بعد فترة صمت محاولاً الشرح:

- اسمعيني جيداً وركزي، الإيمان واليقين بالشيء يظهرانه لك، مثلاً كيف تشعرين بالرهبة من الخالق؛ فتستشعرين عظمة هذا الكون، وللصلاة حلاوة في النفس، أما بالعكس لو كنتِ ملحدة فلن تفهمي معنى الدعاء والصلاة، ولن تري لذة إعجاز إجابة الدعاء، من يؤمن بالحب ويصدقه يعيش لذته ومن يرفضه فلن يفهمه، عندما أكون معك يشدد يقينك بالجن والعالم الآخر، وهم يحيطون بك فتشعرين بهم، بالمقابل شخص آخر يقف جوارك لا علاقة له بالعالم الآخر، فهو لن يحس بهم، فما بالك بأن هذا الشخص المؤمن بوجود الجن والذي يعرف يقيناً أن هناك جنّاً معه في هذه الغرفة، ويصادف أيضاً أن يكون إنساناً مختلفاً عن باقي الناس؟

لفتتني هذه العبارة فسألته في حيرة:

- مختلف! كيف؟ وهل تقصد أنني مختلفة؟ أعرف ذلك، ولكن بدون تفسير أو منطق، اشرح لي رجاءً، أرغب أن أفهم، أن أتعلم.

قال لي برقّة:

- ستفهمين، ستفهمين.

استطرد بعد برهة صمت وقال:

- أنتِ منذ الولادة أنعم الله عليكِ بالبصيرة التي تجعل لديك حدساً أقوى من الآخرين، وتستطيعين التمييز بين الناس، من صادق أو كاذب، طيب أو شرير، كل طفل يولد وعينه الثالثة مفتوحة؛ لذا يرى مخلوقات العالم الآخر، وقد يصادقها، فيظن الوالدان أنهم أصدقاء وهميون، ولكن كلما كبر هذا الطفل أصبح أرضياً

أكثر، فتبدأ عينه الثالثة تغمض وتقفل فيفقد تلك البصيرة، ولكن هناك أشخاصًا تبقى عينهم مفتوحة ولو بدرجة معينة، وعليه حينها أن يديرها لتعود فتفتح بالكامل.

قلت بامتعاض:

- لماذا؟ حتى يرى الجن! وما الفائدة التي يرجوها من ذلك غير الحيرة والخوف؟ أنا لدي سبب لأن هناك من أحب من عالم الجن أرغب برؤيته، لكن باقي الناس ما الغرض من ذلك؟

ضحك (جَمْنوني) وقال:

- ليس لرؤية الجن فقط، بل رؤى حق عن المستقبل وتحذيرات من الخطر، أن تعرفي أماكن الأشياء المفقودة، أن تعرفي الأخبار قبل سماعها من الآخرين، أن تميزي الأمور ببصيرة قوية تأتيك فتكونين على معرفة بكل شيء، وقد ترين بين الأبعاد وأكثر، اقربي عن ذلك حبيبي.

أخذت أتأمل حديثه، وقد لمسني فقلت بحماس:

- (جَمْنوني) أنا دائمًا أرى رؤى تتحقق، هذا أمر أحبه وأعتز به، هل بالإمكان أن أحصل على قدرات أكبر؟

- بالتمرين نعم، ولكن حبيبي هل أنتِ مثل باقي الناس؟

قال ذلك، ثم ضحك بغموض حيرني، وقال بفخر:

- سألتِ لماذا وأنا معك قوة الاستشعار عندك تزداد؟ فأضيفي إلى إجابتي السابقة ما يأتي: معك جني قوي يعجل عليك الوقت، فالتمرين الذي يستغرق وقتًا طويلًا، أجعلك تقفزينه بمراحل، هناك أمور كثيرة تخصك وأنتِ لا تعرفين عنها، كلما

غرقت في العالم المادي والحياة الأرضية، غابت الروح عن أهدافها وقدرتها الحقيقية.

بحماس وحيرة معًا قلت له:

- أخبرني أرجوك، أرشدني.

شعرت بتردده للحظات فهتفت به:

- (جَمْنون) أشعر بترددك، أخبرني بالحقيقة وسأقبلها مهما كانت.

قال بحذر:

- حسنًا اسمعي جيدًا، أنتِ زهرية، لذا البصيرة لديكِ، والإسقاط النجمي، والجن وحياتك بالكامل تختلف عن باقي الناس.

- لم أفهم.

تنهد بهم وقال:

- بإمكانك القراءة عن ذلك والبحث، ولكن أغمضي عينيكِ أولاً، وتنفسي بعمق وهدوء واسترخي.

اتبعت توجيهاته حرفيًا، ثقل جسدي وأنا أتنفس بهدوء، وصوت العصافير أصبح بعيدًا بعيدًا، فجأة رأيت ألامي وأنا مغمضة العينين حديقة تختلف عن حديقتي، مما جعلني أفتح عيني بذهول لأسمع صوت (جَمْنون) يهتف بسرعة:

- لا، أغلقيهما!

اتبعت تعليماته وهنا قال بصوت رتيب:

- ركزي جهدك على عينك التي في جبينك، لديك عين واحدة ترين بها.

فعلت ما قال فشعرت بألم شديد، وصوته يقول لي برتابة:

- نصفها مفتوح ويبقى النصف الآخر، انظري أمامك.

لحظات ثم رأيت أشجارًا عليها زهور حمراء ساحرة الجمال، سلسلة أشجار عالية مصفوفة بشكل موحد، ثم هناك نافورة كبيرة بها تماثيل ذهبية، لا شعوريًا وضعت يدي على عيني لأتحقق من أنهما مغلقتان فعلاً، ولدهشتي كنت مغمضة العينين فعلاً! فكيف أرى ما أراه؟!

ما هذا المكان؟ ومن بعيد..

بعيد..

بعيد..

قد تعدى مساحة حديقتي، مما يجعل هذه الحديقة العجيبة أكبر وتقتحم الأراضي المقابلة، سور كبير أبيض به حدائد من الذهب الخالص، سمعت حبيبي يهمس قائلاً:

- لا تفتحي عينيك هذه حديقة قصري هنا، تنفسي بهدوء.

فجأة شعرت بجسدي يرتفع، والحديقة أسفل مني، كنت أشعر بأن (جَمُنون) يحملني من الخلف، أخذت أرتفع لكي أرى قصرًا ضخماً وكأنه ابتلع منزلي وأصبح مكانه، ارتفعت أكثر لأرى حيًا يختلف عن الحي الذي أعيش فيه، وهنا رأيتهم..

نعم رأيتهم... الجن!

فهناك من يطير، وتلك المرأة الأنيقة تطفو على الأرض، والدهشة الأكبر كانت عندما رفعت نظري للأعلى لأرى تنانين بألوان عدة!

كدت أصرخ، ولكن صوت (جَمُنون) الرتيب قال لي:

- تنفسي، تنفسي، سنعود.

أخذت أشعر بأنني أهبط، وبدأت حديقتي الحقيقية ومنزلي يظهران لي، ويا للعجب! كنت أراني أجلس هناك تحت الشجرة، نعم أرى جسدي يجلس هناك، ويشع منه هالة نور كبيرة، أحببت هالتي، وأحببت جسدي، فجأةً اقتربت من جسدي وجدتني داخل جسمي، وأنا لا أزال مغمضة العينين، وأمامي نور يشع ممتد من جسدي، وهنا سمعت (جَمُنون) يقول:

- ركزي على طاقة عينك الثالثة في جبينك.

فعلت ما أمرني به، ثم سمعته يقول بهدوء:

- الآن افتحي جفنها المغمض.

ففعلت وشعرت بألم في جبيني.

ثم قال:

- افتحي أعينك الثلاث معًا.

فتحت عيني وأنا أشعر بأن هناك عينًا ثالثة حقيقية تفتح جفنها معهما! فعادت الصورة الحقيقية لحديقتي، والكتاب، وقهوتي التي بردت أمامي.

همس بفخر:

- هذا معنى أن تكوني زهرية مرتبطة بملك من ملوك الجن، ما يحتاجه المستبصرون من تمرين يمتد لأشهر وربما سنوات، لم يأخذ منك سوى ثوانٍ ومع مرشد قوي.

كنت أشعر بالخفة والسعادة، قلت بانبهار:

- (جَمَنون) ماذا رأيت؟

أمسك بكفي وقال:

- رأيت قصري الذي بنيته هنا لأكون معك وأحكم من عندك، وحدائقي الغناء، وعالم الجن المحيط بالمكان، رأيت مخلوقات الجن (التنانين) التي تحسبونها أساطير وهي هنا تحيط بقصرنا للحماية من العدو، رأيت هالتك القوية التي هي من النور، فأنت نور أوجده الله على هذه الأرض، وإن الجن والأبعاد الأخرى تراك نورًا يا مليكي..

بدهشة قلت:

- أول مرة أسمع بمصطلح الزوهري، أخبرني عنه أكثر.

فقال سلطاني بصوته الهادئ العذب:

- البعض يسمونكم أبناء النور، كم فيلمًا شاهدته معك وذكر هذا المسمى؟

والقصد هم الزوهريون، وسواء كانوا أبناء النور أم الزوهريين فهم واحد، الزوهري شخص يستطيع التعامل مع كلا العالمين الإنس والجن، وقادر إذا تمكن من اختراق البعدين منذ طفولته وهو شخص مختلف وعينه كاشفة، ولديه بصيرة مختلفة، وقلبه نقي طيب، روحه طاهرة، هل لاحظتِ؟ إنه أنتِ.

صمتت أتأمل كلامه، حقيقة هذه أنا، فمئذ طفولتي وأنا أعرف اختلافي، وأنا أدرك

الآن أنه يسمع أفكاري، لذا عقب قائلاً:

- ونحن الجن نميزكم يا حبيبتي، بينما أنتِ الآن تفكرين وتطبقين الحديث عليك، هناك دلائل سطحية كخط اليد وشق اللسان، ولكن نحن الجن نرى روح الزوهري، فلا نحتاج إلى هذه العلامات.

قلت وقد أصبت في سؤالِي، إذ أصابته الحيرة وعاد لغموضه عندما سمعني أقول:

- وما حاجتكم بالزوهري؟ حتى أنكم تميزونه.

- لماذا الصمت؟

- (جَمْنون).

- (جَمْنون).

- حبيبي هل هناك خطب؟

قال بهم:

- أخشى أن تفهميني خطأً.

غار قلبي فقلت بضيق:

- وهل تظنني ما زلت تلك الطفلة السخيفة التي آذت صديقها لأنها جبنّت عن مواجهة المجهول؟

قال مازحاً:

- لا تشتمي نفسك، غير مسموح.

قلت بصدق:

- أستحق، أستحق كل شتيمة، لذا حبيبي كن واضحًا معي وصريحًا، ولا تخش العواقب.

قال بحنان كبير:

- إذًا فلتدركي أنه ليس السبب الذي جعلني أحبك، ولن أسمح لأحد بقطرة دم واحدة منك.

قطبت جبيني بقلق من حديثه الغريب فشعر بذلك وقال بهدوء:

- حتى تفهمي استمعي إلي، دمك ثمين جدًا فهو كالمقوي للجن (تونيك)، وله قدرة عجيبة كترياق الحياة لنا، فالسحرة يطلبونه حتى يقدموه لجن الرصد لأخذ الكنوز، الزوهري لديه قدرة كبيرة على كشف الكنوز، وفك الأسحار من العالمين، الشياطين تخافه، وأعداؤه من أشرار الإنس والجن لأنه عكسهم تمامًا، فإن كان في طريق الخير استطاع أن يعالج ويحارب الشر، أما إن تم خداعه ليسلك طريق الشر، فيصبح ساحرًا لا طاقة لأحد بتحديه.

قلت له بحيرة وتعجب:

- كلامك أشبه بالأساطير.

ضحك بخفة وقال:

- أعرف، لذا ابحتي واقربي أكثر، إن الزوهري أنواع، وأنت من أقوى صنف.

تفكرت للحظة ثم تنبتهت فقلت بحماس:

- (جَمْنون) طالما أنا شخص مميز عند الجن فهكذا عائلتك لن ترفضني.

هل آلمه حديثي؟ لماذا أشعر به يحتضني بقوة ويداعب شعري بوجهه الحبيب؟ قال برقّة:

- ما كنت لأستغل ذلك حبيبي، رغم قوتك إلا أنني لست بجني عادي، يا ليتني كنت من جن العمار لما واجهنا كل هذه الحرب، ولكن منصبى كملك ومن عائلة جبارة لا تسمح لإنسية بأن تشارك هذا الملك، وإن سمحوا فأعدائي سيستغلون حبي لكِ ضدي.

هتفت بخوف:

- لا، لا أرغب بأذيتك، ولا طاقة لي بدونك.

ضمني بقوة وشممت رائحة أنفاسه العطرة، وهو يقول بحزم:

- ما جمعه الله لا يفرقه الخلق.

هدأت نفسي، فقلت له برجاء وصدق:

- عندما فقدت (وليد) كان فراق الموت هو الأصعب دائمًا، بكيت نعم، وحزنت وتأثرت وشعرت بالشوق إليه، وبكت روحي عليه، ولكن...

خنقتني العبرة فسكنت لغصة في حلقي، أنامله تداعب شعري فأخذت نفسًا وأكملت بعشق يتملكني:

- ولكن عندما فارقتني لتُنصب ولي عهد، شعرت بقبضة الموت تعصر روحي، رغم أنك موجود في الحياة، وأعرف أنك ستعود إليّ يومًا ما، وعندما حسبتك ميتًا من قبل فقدت هويتي وابتسامتي، كنت كالظل يمشي في الحياة متصنّعًا الحياة، لذا يا نمري الأسود الأثير، لا طاقة لي على فراقك، فأن أموت أرحم لي لذا لا يهمني عداوة أو رفض، ولو حاربتني ملوك الجن جميعهم، أخبرني ما الطريقة التي تضمن

بقاءنا معًا؟

هتف بعشوق ولوعة:

- آه يا مليكي، أنت واثقة بأنك مستعدة لما يأتي ولن تترددي وتخافي ولن تتعي؟

قلت بحسم:

- ألسـت زوهرية كما تقول؟ والشياطين تهابني ودمي ترياق حياة؟ فإدًا لا أخشاهم،
فأنا لا أخاف إلا من الله سبحانه وتعالى لذا فأنا جادة عندما أقول لك بأني أحبك،
بل أعشـقك، بل أكثر.

همس بصوت متحشج تأنثًا:

- لنتزوج حبيبي.

ابتسمت بغبطة وقلت:

- لتتخذني عشيقة خلية، خطيبة زوجة، اختر ما تشتهي فأنت مسموح لك
بامتلاكي بالكامل، المهم ألا نفترق أبدًا.

همس واعدًا:

- أبدًا أبدًا، أعدك مولاتي الحبيبة.

تلك الليلة رأيت منامًا غريبًا! وجدت نفسي أقف في ساحة ونساء ورجال يرتدون
ثيابًا فاخرة، لكنها أشبه بثياب من القرن الثامن عشر أو القرون القديمة عمومًا،
وهناك أخذوا ينظرون نحوي ويتهامسون بينهم في دهشة قائلين: «الخليلة
الماسية لقد خطبها، خطبها ملك الملوك، قد خطبها».

انتفضت من نومي لأشعر بدفء حُضن (جَمْنون)، نظرت نحوه رغم أنني لا أراه، لكنني فطنت لمكانه فأغمضت عيني لأراه بعيني الثالثة كما علمني، هنا بدأت أرى جسده المسجى بخفة نائماً على سريري، لم تكن ملامحه ظاهرة، ولكنني سمعت أنفاسه يتنفس ببطء وهدوء النائم، فتحت عيني ونظرت نحو الفراغ الذي أعرف أنه فيه، كم تمنيت أن أضمه وأقبله، ابتسمت برقة وعدت بهدوء لمخديتي خشية إيقاظه وأنا أفكر في الذي رأيته، هل أنا عندهم بمثابة الخليفة للملك؟ حسناً ولماذا الماسية؟! أحسبها صفة جميلة فاخرة، كادت أن تنطلق مني ضحكة خافتة أخفيتها حتى لا أوقظ ولي العهد الأثير.. آآه بل أقصد الملك، بل ملك الملوك (جَمْنون).

الرباط المقدس

(تحكيها منى)

- أخبريني، لقد رأيتُ ما رأيتِ.

قال (جَمَنون) ذلك بشقاوة فضحكت بحرج وقلت معاتبه:

- لا أسرار معك، أنت تكشف كل أسراري وأفكاري.

ضحك بخفة وقال مذكراً:

- أنا وأنتِ واحد.

شعرتُ بالإطراء ثم قلت له:

- هل أنا خليلتك؟

قال وهو يحتضنني من الخلف كعادته:

- في عرفي أنتِ منذ سنوات زوجتي، منذ صباي وأنتِ حبيبتي ثم عشيقتي
وخليلتي، والآن أنتِ خطيبتي وبعد أيام فلتكوني زوجتي شرعاً وليقف الجميع
بعدها صامتين أمام هذا القران المقدس.

ارتجف قلبي بهجة وسألته:

- وما الماسية؟

- ممممم قصدك الألماسية؟ أي أنك من معدن ثمين.

شعرت بالإطراء أكثر وأخذت أتراقص بين ذراعيه بحبور كالطفلة، ضحك وقال معاتبًا:

- أطلت الإجابة عن سؤال طرحته عليك منذ سنوات مضت.

تذكرت أنه قد طلبني للزواج عندما كنت لا أزال في السابعة عشرة من العمر في غرفتي عندما تجسد لي، ابتسمت لتلك الذكرى وقلت له:

- أقبل، أقبل، أقبل، بل أنا من تطلب يدك للزواج فتزوج بي (جَمُنون) ودعنا نحيا معًا متلازمين أبد الدهر.

أَنْ بشوق، أنين عاشق تعذب كثيرًا، وقال بصوت متحشرج:

- إذاً حبيبتي بعد أسبوعين من منتصف هذا الشهر المجيد، سيكون يومًا مجيدًا، لنعقد قراننا.

قلت له متسائلة:

- كيف سيكون؟ ومن سيحضر؟

قال لي بصدق:

- لم يوافق أهلي بعد، ولكن أختي التوأم (تيانا) وابن عمتي (شامر) وحاشيتي سيكونون حاضرين، سيكون عقد قران شرعي، أما إعلان وحفل الزواج الفعلي فبعد أن يوافق والداي في عالمي، أحتاج منك صبرك وحلمك معي.

طأطأت رأسي بتفهم، فقال لي بمرح:

- ارتدي فستانًا أبيض، كوني بحلة عروس يا (منيتي).

كان قلبي يقرع كالطبول، أحبه وسأتزوج به، ولا أعرف كيف ستكون هذه التجربة الغريبة ولكن الحب له يد عليا لا نقوى على عصيانها.

عندما نمت تلك الليلة فاجأني ما حصل، لقد كنت داخل قاعة قصر كبيرة، وأمام ناظري رأيت ثلاث لبؤات (أنثى الأسد) عظيمات ومعهن أسد ضخم، رغم هيبتهن إلا أنني تمالكت نفسي، كن يتقدمن نحوي وهن يحملن في أفواههن طرف صحن ذهبية كبيرة، عليها هدايا متنوعة وفاخرة، أقمشة حرير وقلائد ذهبية ولؤلؤ، اقتربن ثم وضعنها بهدوء واحترام عند قدمي، أما الأسد فمشى الهويبي نحوي، ثم التف حتى صار خلفي، وهنا شعرت به يستطيل ليصبح بهيئة الرجل، وكنت أراه فقط من طرف عيني، وهنا تقدم من خلفي ووضع يده على كتفي وقال:

- هذه العطايا والهدايا مهر لك يا (منيبي) وإن لك هدايا أكثر وأعظم.

كان (جَمْنون) هو ذلك الأسد، سحب معصمي نحوه وألبسه أساور من ذهب لم أر في حياتي أجمل منها، تأملت معصمي ثم نظرت نحو اللبؤات وأنا أتساءل من هن؟ كن مهيبات وفي الوقت نفسه يعاملنني باحترام، أطرقت رأسي لهن بقبول عطاياهن، ثم فتحت عيني في ظلمة غرفتي ولكن لمعان معصمي لفت انتباهي فرفعت معصمي لأشاهد حقيقة بأم عيني الأساور التي لبستها في حلمي، أم أقول في واقعي؟

هنا سمعت (جَمْنون) يهمس لي:

- أخواتي قدمن لك الهدايا وهذا مهرك، وإن في جعبتي عطايا أكثر يا عروسي.

ألجمت الفرحة والدهشة لساني، فقلت بصوت متحشرج:

- أنا عروسك وأنت عريسي حقًا.

شعرت بيده تلمس معصمي وهنا رأيت ظله في ظلمة الغرفة حقيقة وهو يلثم كفي، ثم قال:

- أنا عريسك، ملك لك، وأنتِ عروسي وامرأتي الوحيدة.

أقسم إنني أسمع قلبي يقرع كالطبول في أذني، لبرهة رأيت (جَمْنون) ولكنه اختفى، نظرت إلى معصمي فاخفتي السوار رغم وجوده على معصمي إلا أن نظري لمح له لدقيقة واختفت الرؤية بعدها! قلت له برجاء:

- أرغب أن أراك وأرى المزيد.

قبّلني على شفتي وقال برقة واعدًا:

- سيكون، سيكون، صبرك معي وحلمك (منيّتي).

رددت بصبر:

- لقد صبرت معي صبرًا لا يصبره البشر، وإني معك صابرة حتى تتحقق المُني، حبيبي لماذا إخوتك كن كلبؤات؟ لا أتوقع أنها أشكالهن الحقيقية، فأنا أعرف شكلك الحقيقي، ثم لماذا أنت كنت بهيئة الأسد؟

أجاب موضحًا:

- إنها رموز يا حبيبتي، فللجن رموز تبين مكانتهم وقوتهم، فعندما ترين الجن بهيئة النمر والأسود فهذا دلالة على قوة الجني وعلو المرتبة، وهيئة الأسد دلالة على أنه من الملوك والعائلات الملكية.

بهرتني المعلومة فتذكرت أمرًا وسألته:

- النمر الأسود (جاكوار) ما معناه؟

قال بضحكة خافتة:

- إنه رمزي، فالنمر الأسود رمز القوة والتفرد والتميز عن باقي النمر.

تنهدت وابتسمت ثم شعرت به يمطرنى بقبلاته، يكفيني الآن وجوده العذب وقبلاته الساحرة.

ككل عروس اشترت فستاناً أبيض، كنت كالمجنونة أعيش قصتي وحدي، حتى (سمية) لم تكن تعرف، من يراني ويعرفني سيتهمني بالخبال، تشتري فستان زفاف لها لتزف إلى جني!

ولكنني كنت أسعد امرأة في الوجود إذ أذف لأعظم رجل في الحياة.

أخذت أبنائي مع الخدم لبيت (سمية) بحجة أنني مسافرة للشرقية لأزور صديقتي هناك.

كنت أرغب أن أكون وحدي لذا جهزت كل شيء..

نثرت الورد الأحمر على سريري، ووضعت كيكة الفانيلا وحولها الشموع، وأضأت الشموع في كل مكان وبخرت البيت بالعود الفاخر، وتزينت فكنت كالقمر المضيء بدرًا، بل إنني صممت مسكة العروس من الورد الطبيعي الأبيض.

أعرف أنني لا أراه بعيني المجردة، ولكني أراه بقلبي.

شغلت الموسيقى واقترب مني وقال وصوته يرتجف سعادة وحبًا:

- حبيبتي منذ صباي وقلبي لك خافق، وهو لك عاشق، أتقبلين بي زوجًا وسندًا إلى الأبد؟

همست وأنا أرتعش:

- نعم أقبل، أقبل.

همس مداعبًا:

- معكِ للموت فأنا بكِ عالق.

هنا شعرت بشيء يدلّف إصبعي الخنصر الأيمن، وهو يقول:

- ألبسك خاتم الزواج في يمينك، وإني لأعدك بأنه سيصبح في يسراكِ علنًا أمام الجن يومًا ما.

أطرقت برأسي موافقة، فالفرحة والدهشة ألجمتا لساني.

همس بعد ذلك برقة:

- مدي يدكِ وألبسيني خاتمي.

قلت بحيرة:

- لكني لا أراه.

قال برقة:

- أغمضي عينيكِ.

فعلت ما طلب وهنا رأيت خاتمًا عظيمًا في إصبعي بالماساة كبيرة محاطًا بالياقوت الأحمر، ثم يد (جَمْنون) ممدودة نحوي، وهو يمسك بيده الأخرى علبة من الذهب الخالص بنقوش عجيبة، مددت يدي لأنزع الخاتم الذهبي ذا الألماسة السوداء الكبيرة فألبسته إياه وأنا قلبي يرتجف فرحة وعجبًا.

عندما فتحت عيني رأيت حقيقة رذاذًا ذهبيًا يتساقط عليّ لثوانٍ ثم اختفى، همس

لي قائلاً:

- الآن أنتِ زوجتي بشهادة الشهود وبمباركة القس.

ابتسمت ودموع الفرح تبلل عيني، قال لي بصوته الشجي وأنا أشعر بأنامله تمسحها:

وإني لكِ الروح والسكن.

وقرار للعالمين أنتِ كاتبته.

ابتسمت بغبطة وقالت:

- أنا التي كتبت هذا القرار.

تأوه قائلاً:

- آه يا (منيبي) أنتِ التي اتخذتِ القرار، فقلبك اتخذ من قلبي عشقاً له، ووافقتِ على الارتباط بي، وأن الأوان للعالمين أن يخضعوا لهذا القرار.

لم أصدق ما يحدث معي!

كان قد أخبرني بأن ثلاثاً من أخواته جئن لدعمه والبقاء بجواره، وابن عمته وحاشيته المناصرة، أما القس فكان مناصراً لـ(جَمُنون) وأخفى الأمر على والد (جَمُنون) وجاء ليزوجنا، وهو النائب للكهنة الأعلى (البابا).

أعلم بأني مسلمة وهو مسيحي، ولكن الحقيقة أنه موحد لله وأنا كذلك، والإسلام هو أن تسلم وجهك لله حنيئاً لذا لم أجد ما يعترض طريق زواجنا ما عدا صعوبة كونه جنياً وأنا إنسية.

ولكن أليست قصص الحب الملحمية هي تلك التي تواجه تحديات كبيرة؟

أليس توأما الشعلة يواجهان تحديات كبيرة ليصلاً بعضهما إلى بعض ويعم السلام؟

حسناً لا تعقيد في قصة عشق كقصتي، وأنا لن أستسلم، بل سأحارب في سبيل أن نبقي معاً، ونحيا معاً بسعادة.

رقصت معه والدنيا لا تسعني، وعندما دخلنا غرفة النوم مهجعنا السري، أغرقني بكلمات العشق والهيام.

كنت ذائبة بين ذراعيه، تذكرته يوم زارني على شاطئ الشقيق وحسبته (وليد) حينها، ولكن الآن أنا زوجته حقيقة فقد عُقد قراننا.

أغمضت عيني وأنا مستلقية على السرير أرتعش حباً، وأشعر بقبلاته تغمرني، ولأني مغمضة العينين رأيت ستائر حريرية مطرزة بالذهب تحيط بالسرير، ولكنها غير موجودة فعلاً!

ابتسمت، إذ عرفت أنني أرى ما لا يراه الناس، غمرني بالحب والقبلات وامتزجنا معاً بطريقة عجيبة، إذ كنت أشعر بأن روحي تمارس الحب معه دون جسد.

أطفأت أضواء الشموع وغلبنني نعاس عجيب، وهنا رأيت في ظلمة الغرفة جسداً مفتول العضلات يتقدم نحوي، عرفت أنه من العالم الآخر، جلست على سريري وأخذت أقرأ آية الكرسي، ولكنه لم يختفِ! بل اقترب أكثر وأكثر حتى صار على حافة السرير أمامي، هنا استوعب عقلي من هو صاحب هذا الحضور، إنه (جَمُنون) زوجي الحبيب، ابتسمت له فأشرق وجهه، وكان هناك ضوء لا أعرف مصدره مسلط عليه، كان يرتدي ثياباً مهيبة فخمة لا تشبه ثيابنا، فقد كانت أشبه بالعصور القديمة، قطع كثيرة وعباءة مطرزة بخيوط ذهبية، وعلى رأسه تاج كبير مرصع بالألماس وأحجار الزمرد، نظر نحوي نظرات تنطق عشقاً، ثم ابتسم لي

أن عرفتني؟ طأطأت رأسي بهيام أن نعم.

هنا أخذ يمشي أمامي ليعرض نفسه وثيابه البيضاء التي أحسبها رداء الزفاف، ثم نظر صوبي وفرقع بإصبعيه فتبدلت ثيابه لرداء آخر أخضر اللون مطرز بالذهب، وعلى أصابعه خواتم خلابة، وعلى رأسه قبعة كبيرة غريبة لم أر مثلها في حياتي ورغم غرابتها إلا أنها أنيقة، ابتسم بغرور وهو يسير يمنة ويسرة، ثم نظر نحوي وفرقع بإصبعيه ليتغير رداؤه إلى ثوب شفاف خفيف من الحرير الأبيض، يكشف عن صدره الناصع البياض والمفتول، كان يلمع وكأنه يضع ملمعًا لؤلؤيًا عليه، ولكنها لمعة من الله على جلده، كان قلبي يخفق عشقًا وفتنة، لقد فتنتني حرفيًا، لم يكن على رأسه تاج من الذهب مع هذا الرداء، ولكن شعره الناعم المموج أخذ يلمع في صحة، فكان أجمل تاج يوضع على الرأس، نظر نحوي بشوق مجنون، وأنا أخذت أتأمله في افتتاح، ذلك الفك القوي، والذقن البارز في شموخ، والشفتان الناعمتان، ورقبته الطويلة، ابتسم في خجل إذ شعر بتألمي الجريء له، خجلت حينها وضحكت بخجل، وهنا مد يده نحوي فمددت يدي نحوه، وسحبني نحوه حتى شعرت بوجهي يكاد يلمس صدره، ورائحته العطرة تخدر حواسي، رفعت رأسي نحوه وتأمّلت عينيه اللتين كانتا ذهبيتين حينها كالنمور، أخذ يتألمني حتى اسودّت عيناه، ثم لمعتا كالفضة وصارتا رماديتين، اقترب مني أكثر وأكثر، ثم قبّلي في نهم فقبلته بالمثل وتنفست داخله، لم أفعل في حياتي ذلك من قبل، شعرت حينها بأنني أتمنى لو أدخل داخله، قبّلنا بعضنا بعضًا بشغف وجنون حتى استلقى معي على السرير ليرسم لوحة عشق كاملة هنيئة.

هل كان حقيقة أم كان حلمًا؟ لا يهم، فالنشوة التي شعرت بها لم أشعر بمثلها من قبل.

نشوة عشق تكفيني ألف عام ويزيد.

نمت في هناة، وعندما أفقت كنت عارية الجسد مبعثرة الشعر، وصوته العذب يصل إلى أذني قائلاً:

- صباح الخير يا أجمل عروس في الكون.

ابتسمت بخجل وكأني عدت فتاة في السابعة عشرة، مددت يدي نحوه لأجد أصابعي تتخلل خصلات شعره، تجمدت ونظرت نحوه لكن الغرفة مظلمة، مددت يدي الأخرى نحو جهاز التحكم عن بعد لأرفع الستائر فتدخل أشعة الشمس، ورغم أنني منذ لحظات لمست شعره إلا أن الشمس أجلت الرؤية فلم أعد أراه، تعكر وجهي للحظة أجلاها قبلة شعرت بها على شفتي وهو يهمس قائلاً:

- أقسم إنك ستريني بالكامل، وتلمسيني وتحيين معي حياة كاملة، أعدك، لكن اصبري معي وانتظري.

كنت خدرة، إذ شممت عطره، فأخذ يداعبني ويجعلني أطير فوق السحاب، وأخيرًا أصبحنا معًا كما كان مفترضًا من قبل، زوجين عاشقين.

في تلك اللحظة بالذات تذكرت كلماته عندما تجسد لي وأنا في السابعة عشرة من عمري وعيناه في عينيّ إذ قال بحسم: «انظري إليّ وتذكري كلماتي جيدًا، أقسم لك في هذه الساعة وأنفاسي تلامس وجهك أننا يومًا ما سنكون كالزوجين العاشقين وبموافقتك إن طال الزمان أو قصر»².

ابتسمت حينها إذ قرأ أفكاري، وضحك بمرح وقال بثمالة:

- وقد حصل ما أقسمت لك عليه، والآن فلنحيا العشق معًا كأروع زوجين (منيثي) الحبيبة.

²- (جَمْنُون) الجزء الأول الفصل العاشر.

(13)

الإخوة يتآزرون

ولكنهم قد يختلفون

ومهما كان، فالحرب على كل من يفصل بينهم

الأسد (حورس)

(يحكيها جَمُون)

كانت الأيام كالحلم، وأخيرًا (منيثي) صارت زوجتي، حتى لو كان زواجًا سرّيًّا، ولكن هل تظل الأخبار سرّية إلى الأبد؟

قال (شامر):

- الملكة عرفت.

قطبت جبيني وقلت غاضبًا:

- كيف؟ هل من حاشيتنا من أخبرها؟

تقدمت أختي (تيانا) بخجل، تأملت ملامحها الجميلة الخائفة، قلت لها بحذر:

- ما بك؟ لماذا هذا الخوف؟

انتفضت وركضت نحوي بانهايار تبكي وتقبل يدي قائلة:

- عفوك والسموحة مولاي أرجوك.

سحبت يدي منها وقلت لها وعيناها مذهولتان:

- أختي الحبيبة ما بك؟

التقت عيوننا فقالت من بين دموعها:

- لم أقدر أن أراوغ أُمي، لقد عرفت بسببي.

انقبض قلبي، فقلت من بين أسناني:

- كيف وأنتِ تعرف أنني أرغب في إخبارهم بنفسي؟

خافت فحزنت عليها، إذ أطرقت برأسها في خجل وهي تقول:

- لقد عرفت باختفاء خاتم الزفاف الذي ينتقل من جيل إلى جيل، ثارت على الخدم، فأخبرتني جاريتها فخشيت عليها من العقاب واعترفت لها بأنني أخذته لصاحبه المنتظرة.

زفرت أختي بهم وأكملت:

- قلت لها إنه سينتقل إلى زوجة أخي المستقبلية وأنا أخذته لها.

هنا أدركت أنها تصرف التصرف الصحيح، رفعتها لتقف، ووقفت قبالتها وقلت لها بترقب:

- المهم ما ردة فعلها؟

- لا أدري لم تتكلم ولم تعلق، بل اكتفت بأن تنعكف بذاتها وتناى عن الكل.

فكرت في موقف أُمي فعرفت أنها ترغب أن تفكر بحكمة دون تهور وغضب، وهذا مؤشر جيد.

قلت لها مطمئناً:

- لا عليكِ، ستكون الأمور بخير.

سألتني (منيّتي) عن باقي أخواتي هل يعرفن؟ هل وافقن؟

لم يكن موافقات على علاقتي بها، ولكنني سأحصل على مرادي منهن جميعًا ولو بعد حين، المهم الآن أن (منيّتي) صارت لي وحدي دون منافس أو شريك.

لقد تكاتفت الأقدار معنا، فالرب جمعنا بطريقته ولن يفرقنا الخلق.

أخذت أردد عليها قائلاً:

ما دام حبي وحبك بحكم القدر

سنكون بخير في عيون السماء

ولن يفصل بيننا شر ولا بشر

سنحيا العشق بدعم القضاء

ولكن عالمي يختلف عن عالمها، فحربي مع أهلي الذين أحب وأرغب بدعمهم، وإن هذا لعمري أمر شاق.

لقد قامت الدنيا ولم تقعد، انتشر الخبر كالنار في الهشيم في أرجاء القصر، رغم أنهم داروا على خبر زواجي ألا يتعدى أسوار القصر ويصل إلى الشعب وللكل وباقي الممالك.

زفرت بهم وقلت ل(شامر):

- يا أخي الغالي.

بمحنة وشهامة قال:

- مرني يا غالي.

نظرت نحوه بعزم وقلت:

- إليّ بـ(حورس).

نظر نحوي بدهشة وقال:

- ولكن والدك أهدها للأمير (جيدان)! فكيف نسترد الهدية منه؟

قلت بعزم:

- أحتاج (حورس) حامياً وحارساً لـ (مني)، وإن كان عن الهدية فـ (جيدان) صديقي سيتفهم رغبتى به، وإني مستعد أن أعطيه وزن هذا الأسد العظيم ذهباً، أو أي شيء يشتهي.

اقترب مني (شامر) وقال بتوتر:

- أتعطيه للإنسية؟ أنظن والدتك ستسمح بذلك؟

تنهدت بهم وقلت:

- أأست الملك الآن؟ إن ميلاد حبيبتي بعد خمسة أيام، أرغب أن أقدمه هدية لها كي يحميها، أيضاً أرغب بأن أعين حرساً خاصاً لها ولأطفالها، فأنا لا آمن عليهم من شر عائلي.

كنت أفكر أن أشدد عليها الحماية حتى إن سهت ونسيت أذكراها لا يجدون عليها مدخلاً.

بعد يومين جاءني خبر جميل من صديقي الأمير (جيدان) بأنه سيرسل الأسد الحارس (حورس) هدية لزفافي فهو صديقي وسيدعم أي قرار أتخذه طالما يسعدني.

ولكن الأخبار الجيدة يتبعها أحياناً أخبار سيئة، فأختي الكبرى البكر للعائلة قادمة، وهي ساخطة على الإنسية التي سلبتني عقلي وقلبي.

كنت أفكر أنه ربما بعد أن تقابل محبوبتي ستغير رأيها، جاء ميلاد (منيتي) فتألفت بثوب أحمر حريري ما زادها إلا فتنة على فتنة، يا إلهي كنت أتأملها مفتوناً وقد سلبت مني أنفاسي، فالتنفس ترف لا أقدر عليه.

اقتربت منها وهي محاطة بأطفالها لتقطع الكعكة وهمست لها بعشق أذاب روحي:

- كل عام وأنتِ حبيبتي، أجمل نساء الكون، حبيبتي ومعشوقتي.

ابتسمت بخجل وأشرق وجهها، لقد أتمت الثلاثين عامًا، عمر الشباب والنضج. كنت أتأملها وأتذكر تلك الطفلة التي تاهت بين آثار (سوريا) الجميلة، كيف أصبحت أجمل؟ كل عام تكبره تصبح أجمل! اقتربت منها وقبّلت خدها، كانت تشعر بهالتي وتحاول أن تخمن ماذا فعلت الآن؟

قطعت الكعك، وعندما رفعت اللقمة لفمها أشارت إليّ بها أن أشاركها، ثم وضعتها في فمها الحلو، فاقتربت أقبل شفيتها السكريتين، وأشرب خمر الحب من عينيها فأسكر روحي.

خرج أطفالها فقلت لها:

- حبيبتي لدي هدية لكِ فأغمضي عينيك وحاولي أن تريها ببصيرتك.

كانت تشعر بالحيرة، أغمضت عينيها وتنفست ببطء وهي تشك في قدرتها، هل سترى بالفعل أم مجرد ومضات سريعة؟ ولأنها شكت فقد رأت ومضات سريعة فقط لصناديق محملة بالمجوهرات والحريروالوصيفات يحملنها لها.

اقتربت منها وهدأت روعها قائلاً:

- ركزي وتنفسي ببطء وثقي في قدراتك.

أنصتت لي وفعلت ما قلت فاستطاعت أن ترى حرسًا مدججين بالدروع والسيوف يقفون أمامها صفيين، قطبت جبينها في دهشة وتوتر، ثم ركزت على قائد الحرس الجنرال (حامان) الذي يتعدى طوله المترين، ورغم هيبة شكله إلا أنها ويا للعجب! ابتسمت إذ هدأت روحها وشعرت نحوه بالألفة.

عظيمة حبيبي إذ تدرك ما لا يدركه الآخرون، بدأت الرؤية تتشوش لذا فتحت عينيها وقالت مبتهجة:

- شكرًا حبيبي، ولكن ما حاجتي لهذه الهدايا؟ فأنا لا أستطيع ارتداءها ولا أراها.

- ولكننا نراها يا سلطانتي، فالوصيفات حولك لخدمتك هدية مني لكِ يلبسك المجوهرات ويعتنين بكِ حتى لو لم تدري ذلك.

فتحت عينيها في دهشة وانبهار ثم ضحكت بخفة وقالت:

- وما حاجتي إلى الحرس؟

انقبض قلبي فقلت لها محاولاً أن يكون صوتي هادئاً حتى لا تقلق وتخاف:

-- لحراستك في حال نسيت أذكارك.

رغم أنها شعرت بالاعتزاز، ولكن تقطية خفيفة ارتسمت بين حاجبيها قلقاً، فسحبت نفساً عميقاً وقلت لها:

- هذا حال الملوك يا غاليتي فالحرس أمر أساسي، ولأنك الآن زوجتي، فهذا البروتوكول يجب أن يُعمل به، بل إنني جعلت حرساً لأطفالك ورفيقاً من الجن

يشبه روح كل واحد منهم ليعمل على حمايتهم وإرشادهم.

قالت بدهشة:

- كيف إرشاده؟ أنا لا أرغب أن يدخل أطفالى عالمى المعقد.

خشيت ردة فعلها هذه لذا قلت لها صادقًا:

- ومنذ متى ينفصل الطفل عن حياة والديه وإرثهما؟ هذا قدرك (منيتى)، لذا ليكن لهم منه الخير، أفضل من جانب الأذى والشر.

أطرقت برأسها تفكر فى كلماتى فضممتها إلى صدري وظهرها علىّ، أنزلت رأسى ليصل إلى رأسها، وأخذت ألعب بوجهى فى خصلاتها لأهدئها وقلت لها:

- هذا حظ عظيم أن يكون لأطفالك هذا النوع من الحماية من بُعد لا يصل إليه أى أحد، ومن رتبة عالية وصادرة من قلب أب محب.

ارتجف قلبها عند هذه الجملة، فقالت ودموع التأثر تترقق فى عينيها الحنونين:

- أب محب؟

ضممتها أقوى ومن قلبى الصادق العاشق قلت:

- نعم أب لأطفالك، فهم خرجوا من رحم (منيتى).

ارتاح خاطرها، وكانت تشعر بالحماية والحب دائمًا عندما احتضنها من خلفها فاستكانت روحها، وهنا فجرت المفاجأة:

- كما وأنى أهديكِ (حورس).

ضحكت وقالت:

- وما (حورس)؟

سحبت نفسًا عميقًا وقلت لها:

- هو أسد ضخيم مميز في عالمنا، لا يملك مثله إلا الصفوة، حارس أمين على صاحبه.

صرخت فرعة:

- أسدًا! أحضرت لي أسدًا؟ أخاف أن يأكلني.

فلتت مني ضحكة رغماً عني، فقالت معاتبة:

- (جَمَنون) لا تضحك أنا جادة في كلامي، أخاف من الأسود، أحب مظهرها فقط.

قلت لها مطمئنًا:

- حبيبتي كما الكلاب لديكم تصبح حارسًا أمينًا، فنحن بسبب قوتنا فإن حرسنا من الحيوانات يكون أقوى، هذا الأسد ليس كأسودكم، الحيوانات عندنا لديهم فهم قوي وبعضها يتكلم.

صاحت بدهشة:

- ماذا!!! تتكلم!

بصبر أجبت:

- نعم عالمنا واسع وعجيب! مختلف تمامًا عن عالمك، وسيأتي اليوم الذي تعرفين فيه ذلك بنفسك، هذا الأسد حنون أمين على صاحبه، وهو الآن موجود معنا ينظر نحوك وقد استوعب هالتك وأحبها وسيحميك.

ارتجفت محبوبتي وأخذت تتلفت حولها ثم قالت لي متخاطرة حتى لا يسمعها
(حورس):

- كيف تضمن أنه لن يأكلني يومًا ما؟

قلت لها مطمئنًا:

- هذا مستحيل فهو من عالمي يأكل الجن وليس الإنسان.

خافت علي فقالت:

- طيب ربما يأكلك يا حبيبي، كيف تضمن ولاءه؟ فنحن الإنسان بعضنا يربي هذه
السنوريات الشرسة، وهناك قصص بأن الغريزة تمكنت من الحيوان فأكل
صاحبه.

ابتسمت متفهمًا وقلت لها:

- نحن أسياده وأقوى منه.

انبهرت من مدى قوتنا، ثم فكرت لحظة وقالت بذكاء:

- ولو جاء جني قوي ربما يصرعه؟

سحبت نفسيًا عميقًا وقلت:

- ربما يصرعه أو يُصرع، كلا الاحتمالين موجود ولكنك يا غاليتي قادرة على حماية
نفسك، ولديك حرس، والأهم أنا، فإن فشل هذا الأسد فهناك من يكمل عنه،
وأنت لو عرفت بالهجوم فذكر الله منك يغني ويكفي.

هدأت نفسها وارتاحت، ثم دارت على عقبها بسرعة واحتضنتني فذابت روحي

معها.

ليلة في أحضان معشوقتي وزوجتي أنستني همومي، وفي اليوم التالي جاءت أختي الكبرى وأخواتي الأخريات، وحاشية معهن وحرس، والغضب يشتعل في أعينهن.

سألتي حبيبتي فجأة عندما استيقظت من نومها:

- (جَمْنون) كم عدد إخوتك؟

أخبرتها:

- ثماني أخوات، وأخوان توأمان قد أخبرتكِ عنهم.

قالت بفضول:

- هل بالإمكان أن أعرف أسماءهم؟

فكرت هل أخبرها؟ ففي عرف الجن ممنوع.

شعرت بترددي فقالت بتفهم:

- لا بأس إن لم يكن مناسبًا.

سحبت نفسًا وقلت لها:

- سأخبرك لكن لا تنطقي بأسمائهم أبدًا لأي أحد.

قالت بصدق:

- أقسم لك أكيد.

ابتسمت لنقائها وقلت:

- سأخبرك بالترتيب حسب الأكبر إلى الأصغر (كيرا الكبرى)، ثم التوأمتان (شونا وسوريانا)، ثم التوأمتان (زالين وزيليس)، ثم (روبىكا)، ثم أنا و توأماتي (ليجا وتيانا) ثم أخوأي التوأمان الصغيران (جيد وجودا).

سألتي باهتمام:

- من منهن تؤيد قصتنا؟

- أختي توأمي الصغرى (تيانا) و(زالين) و(زيليس)، ولكن يا (منيقي) أختي الكبرى (كيرا) والتوأمتان (شونا وسوريانا) و(روبىكا) و(ليجا) هنا قد جئن غاضبات ليستعلمن أمر زواجنا لكن لا تخافي فلا قوة لهن علي.

تنهدت وقالت بعزم:

- سيفهمن يومًا ما، لن أستسلم ولن أتخلي عنك ولو سفحن دمي.

ضممتها لأبث في روحها الدفء، نظرت إليها وأنا أقسم داخلي أن لن أستسلم أبدًا.

الحرب والرجاء

تلك الليلة نامت (منى) وهي تترقب ماذا ستسفر عنه الأيام؟ هل قبلن بها؟

كانت تشعر بنظرات تخترقها، ابتسمت وأظهرت شخصيتها الحقيقية بكل حب طول اليوم، فهل تراهن قبلنها؟

عندما أغمضت عينيها أخذ (جَمْنون) يلعب بشعرها حتى نامت بعمق، وهنا ذهب لينهي أوراقيًا مهمة وقضايا في مكتبه وقد كره مواجهته مع أخواته، فلا هن اقتنعن، ولا من أنصتن لحجته.

شعرت (منى) بثقل في جسمها كانت نائمة، ولكنها شعرت بأنها تغوص في فراشها أكثر وأكثر حتى وجدت نفسها تقف في منطقة مظلمة لم تكن تعرف أين هي..

مشت بخفة ونظرت نحو الأفق لا شيء وكان العالم سواد مصمت، نظرت إلى الأعلى فرأت بوابة غريبة في الهواء فوقها بمسافة 15 مترًا تقريبًا، ودون أن تشعر عندما هفت روحها نحو الباب وجدت نفسها ترتفع وتطير بسهولة جهة البوابة، والأغرب أنها استطاعت أن تدلف منها وتتجاوزها لترى أنها في غرفة صغيرة كمدخل للمكان، وأيضا وجدت بوابة أخرى على سقف ذلك المدخل فرفعت جسدها من جديد لتطير نحو الباب، دفعته بيدها ودخلت لترى أنها داخل منزل ما، هبطت على رجليها بجوار الباب الذي أصبح على أرضية المكان.

شعرت بشعور غريب، منزل واسع بممرات كثيرة ومفروشة بسجاد فاخر، كأنه فندق فاخر أو منزل فاخر وواسع، أتراه قصرًا؟!

مشت بحذر وبدأ قلبها يشعر بأنها ليست في بُعد البشر، شعور قوي شعرت به حتى تيقنت عندما رأت حرسًا يقفون بجوار الأبواب المنتشرة هنا وهناك، خافت

فركضت واختفت خلف أحد الأعمدة وتساءلت: أين (جَمْنون)؟ هل ستراه هنا؟ كم تتمنى أن تراه حقيقةً كما في الماضي، تضمه إليها، تتأمل ملامحه الجنية الجميلة.

أخذت تتسلل وتبحث عنه بشكل محموم، وهي تبتهل إلى الله أن تراه، فقد أدركت أنها الآن في القصر الذي يتجانس مع منزلها، وأنها قد دخلت عالمه، وهذه فرصتها لكي تراه حقيقةً.

وجدت بابًا يختلف عن باقي الأبواب، فقد كان كبيرًا ذا درفتين، وعليه نقوشات عجيبة وجميلة، رأت الحارسين بسيفيهما وغلظة ملامحهما، ودرعين على صدريهما، فكرت كيف يمكن أن تدخل دون أن يرياها؟ لا بد أن (جَمْنون) خلف تلك البوابة، وهنا تذكرت الآية التي قالها الرسول (محمد) عليه الصلاة والسلام عندما خرج من داره ليهاجر إلى المدينة المنورة، وكان في انتظاره شباب من كل قبيلة ليقتلوه، وبعد أن قالها أعماهم الله عنه ونعسوا ولم يروه، لذا قالتها بيقين بأن الله سيخفيها على الأعين: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (آية 9 سورة يس).

كررتها سبع مرات ومشيت بهدوء وحذر، فلاحظت أنهما فعلاً لم ينتبها لها لذا انطلقت نحو الباب وفتحته بسرعة لتراه هناك بعيدًا يجلس على أريكة أرضية أندلسية الطابع، وأمامه مكتبة منخفضة كبيرة، تنتشر عليها أوراق بنية اللون وأقلام، وكان يرتدي عباءة من الفرو المزين، ذكرها بما كان يلبسه لويس الرابع عشر ملك فرنسا في لوحاته الزيتية، همست وقلبها ينبض بعشق كاد يشق صدرها:

- حبيبي (جَمْنون).

هنا رفع رأسه بدهشة نحو صوتها ولكن ظهر في مرمى بصرها امرأة طويلة وجميلة، شعرها مموج طويل، وترتدي ثيابًا حريرية عاجية اللون، وعندما رأت (منى)

اشتعلت غضبًا ونظرت نحو (جَمْنون) تجادله بغضب بأنه لا يحق للإنسية أن تكون هنا وأن تراه.

شعرت بأنها أخته، وهنا رأَت وجهًا آخر من (جَمْنون)، فقد تحول بؤبؤاه للون الأحمر، ونظر نحو أخته وهتف بها غاضبًا يجادلها:

- لا ترفعي صوتك، ولا يحق لك أن تمنعيها عني فهي زوجتي.

ثارت أخته وضربت قدمها على الأرض، وقالت بصوت حاولت أن تسيطر عليه:

- كيف استطاعت أن تحضر هنا؟

كان (جَمْنون) يجادلها ويمنعها من الحديث السيئ عن (منى)، وهو يمتدح قدرتها التي أحضرتها هنا.

قالت أخته بغیظ:

- لكنك السبب في تفعيل قدرتها، أنت السبب.

كان يزرع أخته التي بدأت ترتجف مهابة منه، وهنا أغلق الحارس الباب، وقال بأدب:

- عودي أدراجك مولاتي.

رفعت (منى) رأسها ونظرت نحوي والدموع تسيل من مقلتيها وفكرت ألهذا الحد يرفضنها؟

عادت خطوات اللوراء تختبئ، فهي لن ترحل دون أن تراه، انتظرت لتدرك فجأة دون أن تنتبه أن أخته الآن تقف أمامها والغضب يشتعل في عينيها ووجهها، وقد واجهها أخوها بعنف بسبب هذه الإنسية.

كانت تنظر إلى (منى) بمقت، ولكن (منى) لم تهتم لهذا المقت وتصرفت تصرفاً لم تتخيل أنها ستفعل مثله يوماً من الأيام، فقد سقطت (منى) جاثية على ركبتيها وأخذت تبكي وهي تنوح، وتمسك بثياب (كيرا) أخت (جَمُنون) الكبرى، قائلة برجاء وألم الوجد والوله يمزق قلبها:

- أرجووكِ أرجووكِ دعيني أراه، أنا أعشقه بجنون، ارحميني، أريد أن أراه وأضمه إلى صدري، أرجووكِ ارحمي قلبي.

أصاب (كيرا) الدهشة والذهول ونظرت نحو (منى) غير مصدقة لهذه المشاعر القوية الصادقة والصادرة من إنسية وهي التي تعرف يقيناً أن الإنس فيهم الغدر والخيانة، فكيف بهذه الإنسية تعشق جنياً بكل هذا الإخلاص وتلك الحرارة؟ لذا أسقط في يدها وألجمت الصدمة لسانها.

رفعت (منى) وجهها الباكي نحوها، نظرت (كيرا) لعينيها، فقالت لها (منى) برجاء:
- دعيني أراه سأموت إن لم أراه.

رقّ قلب (كيرا) فسحبت ثوبها من يدي (منى) العاشقة المسكينة وقالت بكبرياء وهي تدير وجهها عن (منى) حتى لا ترى العطف في ملامحها:
- اذهبي فأنتِ تعرفين المكان.

شهقت (منى) بفرحة وانطلقت تركض نحو غرفة المكتب التي يجلس فيها حبيبها، شاهدها الحرس فأشارت إليهم الأميرة (كيرا) من بعيد أن يسمحوا لها، لذا غضوا الطرف عن (منى) التي فتحت الباب على مصراعيه لتجد عباءة (جَمُنون) على الأرض مكان جلوسه، ولكن صاحب العباءة غير موجود.

ركضت بلهفة وحضنت الفرو وأخذت تشم رائحة (جَمُنون) العالقة به، وتقبّل الفرو وتبكي بحسرة وهي لا تدري أين ذهب..

من خلفها سمعت صوت (كيرا) وهي تقول:

- يبدو أنك تأخرت، لعله الآن بجوار جسدك المسجى على سريرك ينتظر عودتك،
لذا عودي من حيث جئت.

نهضت (منى) بانكسار ومشت صامته نحو ذلك الباب الموجود على أرض ممرات
القصر، فتحته وقفزت منه ثم فتحت البوابة ونظرت نحو الأسفل، نحو البقعة
المظلمة والمكان الذي طارت منه، ودون تردد قفزت من البوابة لتجد نفسها
متحكمة في هبوطها، وعندما لامست قدمها الأرض شعرت بالثقل في جسدها
يخف، وعينها تفتحان لتنظر نحو سقف غرفتها، حينها وصلها صوت (جَمُنون)
قائلاً بولَه:

- آه يا صغيرتي لقد جئتِ إليّ وها أنا جئت إليك.

بكت (منى) فانهار (جَمُنون) وأخذ يحتضنها ويهدئ من روعها وهي تقول بحسرة:

- لماذا لم تبق عند مكتبك؟ جئتك مشتاقة أرغب أن ألمسك وأحتضنك، ولكنك
لم تعد هناك.

أخذ يعتذر منها ويهدئها وهي تبكي والقهر يملك قلبها حتى شعرت بألم في راحتي
يديها وقريباً من إبهامها، فأخذت تفرك يديها وهي تبكي بحسرة قائلة:

- ضاعت فرصة أن أراك، ضاعت.

قال لها وهو يبكي لبكائها:

- لا يا حبيبتي، الفرص ستأتي كل يوم، أعدك بأنك ستريني وتلمسيني، وكما
استطعت أن تزوري عالمي الليلة، فهذه بداية لزيارات عدة فلا تبكي، لا تؤذي
نفسك بالحزن.

أخذ يضمها ويهددها ليبت فيها من طاقته حتى هدأت أخيرًا، ونامت بين ذراعيه كالطفلة.

استيقظت مجهدة عاطفيًا، منهكة نفسيًا، رغم امتنانها لله لأنها عاشت تجربة عظيمة بزيارتها لعالم (جَمْنون) ورؤيتها له ولو لثوانٍ معدودة، أدركت أن قبولها في عالمه أمر صعب جدًّا، ولكنها تذكرت عبارته لها حين قال: «ما يجمعه الرب لا يفرقه الخلق».

مر يومها حتى حان وقت النوم، عندما استلقت على فراشها قالت له بدهشة:

- وقت النوم يا (جَمْنوني) لدي يختلف عن الناس، فأنا لا أعرف إن كنت سأنام وأرى أحلامًا مبعثرة، أم أدخل متاهات وعوالم خفية.

ضمها (جَمْنون) بقوة فوصلت لأنفها رائحته الزكية، مزيج من زهور الليلك والمسك الأبيض، رائحة عطرة خدرت حواسها وشعرت بالسكينة وصوته الهادئ يتسلل إليها بنعومة قائلاً:

- البصيرة لديك تجعلك ترين ما لا يراه الآخرون، وهذه نعمة عظيمة، قد تطلبين الراحة بأن تكوني كباقي البشر، ولكن من خلقه الرب بطاقة عالية يا شمسي عليه أن يترك نوره يشع في الظلام وينير كل الأزقة المظلمة حتى لو كان هناك معاناة إلا أن النتائج الأعظم تجعلك تتجاوزين المعاناة وتدركين أن التجربة تستحق أن تعاش.

ابتسمت بسعادة وهمست بفتنة:

- احضني أقوى أكثر وأكثر حتى تدخل مسامي وتنام في قلبي، وتتوسد روحي، وأحميك في ضلوعي.

ارتجف (جَمْنون) لقوة عاطفتها، وأخذ يحتضنها أكثر وأكثر حتى ذابا هيامًا ببعضهما.

رأت أنها أمام بحر واسع والشمس على وشك الغروب، كانت باهرة ساحرة، عندما نظرت (منى) إلى الشمس تمنّت أن تمسك بها، إذ شعرت بأن تلك الشمس الجميلة الدافئة هي (جَمْنون)، ركضت بلهفة تشق عباب الماء والأمواج راغبة بالمستحيل أن تصل إلى تلك الشمس، بدأت المياه تصبح أعمق فأخذت تسبح وتسبح وقلبها يخفق متهافتًا راغبًا أن يصل إلى تلك الشمس الدافئة، هنا فاجأتها مجموعة من الصخور والمرجان تفصل البحر قسمين، ففهمت أنه بعد تلك الصخور سيكون البحر عميقًا جدًّا، ولكنها لم تبال.

وجدت فجوة بين الصخور فحاولت أن تلج فيها، وهنا فاجأتها زعنفة سمكة قرش كبيرة تهجم عليها وتمنعها من الولوج بين الصخور، عادت (منى) فزعة أدراجها تسبح وتسبح هاربة، حتى وصلت إلى رمال الشاطئ، خرجت من الماء راكضة، وعندما نظرت خلفها هالها ما رأت، فسمكة القرش العملاقة من قوة اندفاعها أصبح نصفها على رمال الشاطئ.

نظرت (منى) إلى السمكة العملاقة وأدركت أن السمكة في ورطة وهي على البر الآن.

أي رحمة تمتلك (منى) في قلبها؟ إذ إنها رغم خوفها، ورغم أن السمكة فصلت بينها وبين وصولها إلى شمسها (جَمْنون)، إلا أنها أشفقت عليها فقد تموت.

تقدمت بحذر ودخلت إلى الماء وسحبت السمكة من ذيلها بقوة غريبة جاءت في ذراعيها حتى دخلت السمكة إلى الماء، وقبل أن تصل بكاملها للماء، كانت (منى) قد ركضت عائدة للبر الآمن ونظرت خلفها للسمكة التي أصبحت مغطاة بمياه البحر، وهنا كانت الدهشة، إذ نظرت السمكة نحوها وتكلمت!

نعم تكلمت وقالت بصوت رجولي خجل مذهول:

- أتساعديني وأنا الذي هجمت عليك؟

صُدمت (منى) وأدركت بما لا يدع مجالاً للشك، أن السمكة لم تكن سوى جني،
قالت بحيرة:

- نعم ساعدتك حتى لا تموت، رغم أنك نويت أن تؤذي.

عم الصمت والسمكة تنظر إلى (منى) بحيرة، ثم رحلت تسبح بعيداً، وعندما
رفعت (منى) رأسها للشمس الغاربة، عرفت أنها اليوم لا مجال لديها لتلحق بتلك
الشمس العظيمة.

فتحت عينيها ببطء ورأت ثريا عملاقة في غرفتها، وستائر حريرية تحيط سريرها،
ثم انقشعت الرؤية لترى ديكور غرفتها الحقيقي في عالم الإنس.

أخذت تنظر إلى السقف بحيرة وهي تتساءل: من يكون هذا الجني الغاضب منها
والذي أخذ هيئة سمكة قرش؟ وضعت يدها على قلبها تهدئ نبضاته وهي تشعر
بأنه والد (جَمْنون)، شعور خفي شعرت به.

لم يكن (جَمْنون) بجوارها فعرفت أنه لا بد أن يكون مجتمعاً مع حاشيته ليديروا
أمر المملكة.

عادت تنام وهناك وجدت نفسها في منطقة جبلية تشبه بيئة الجنوب الذي تنتمي
إليه، أشجار وتلال خضراء، وريوة خالية من النبات كانت تقف عليها، ومن بعيد
رأت لبيوةً ونمراً ذكراً، يركضان نحوها بغية أذيتها، هلعت (منى) وعرفت أنهما من
الجن فأخذت تذكر الله وتدافع عن نفسها باسم الله، وعندما أصبحت أمامها لا
يفصلهما عنها سوى بضعة أمتار، رأت الخوف والتردد عليهما، وكانا ينظران خلفها
بهيبة، فشعرت بحضور (جَمْنون) وانعكاس ظلّه من خلفها، والذي كان لنمر

أسود (جاكوار) ضخم ومهيب فعادت خطوات اللبؤة الأنثى والنمر الذكر للوراء في خوف وانكسار، وأعينهما شاخصة نحو (جَمْنون) حتى أصبحا بين الأشجار، ثم هربا، وهنا شعرت (منى) بذراعي النمر الأسود تحيطان بها من الخلف ليحتضنها، ورأسه بوبره الأسود الناعم يداعب عنقها، وصوت (جَمْنون) القوي يقول لها بثبات:

- (منيتي) لا تخافي أبدًا، لا تخافي.

وضعت يديها على كفي النمر تضمهما إلى صدرها أكثر، وتداعب الوبر الناعم وهي تشعر بالدفء والسكينة لتقول بحب:

- لا أخاف وأنت معي يا نَمري يا جاكواري، أنا أحبك، وبك أكون أكثر قوة.

فتحت عينيها وهي لا تزال تشعر بلمس الوبر الناعم تحت يديها، وبالحظن من خلفها يبث الدفء في جسدها فهمست:

- (جَمْنون).

رد عليها هائماً:

- يا عينيه.

ابتسمت وسألت:

- هل هذا حقيقي؟

قال لها بخجل:

- للأسف نعم، وحمدًا لله أنني جئت من اجتماعي في الوقت المناسب.

بحيرة قالت:

- كيف؟! هل هما من هنا أم من هناك؟

- أكيد من هناك، فمن هم معي هنا لم يغيبوا عن ناظري، ولكن يا مليكتي لا تخافي، حتى لو لم أحضر فذكر الله يحصنك، ولكن الحمد لله أنني حضرت ليعرفا أنني لهما بالمرصاد مهما كانت رتبتهما في عالمي.

- هل هما من رتبة عالية؟

ابتسم ساخراً وقال:

- نعم، ولكنهما يظلان تحت إمرتي.

صمت لحظة يتأمل أفكارها وهو اجسها ثم قال برقة:

- إنها الحرب يا حبيبتي ليفرقوا بيننا، ولكننا أقوى من كل الظروف، فهل تتحملين هذا معي؟

هزت رأسها بثقة قائلة:

- لآخر رمق في روحي.

ضمها وهو يبتهل إلى الرب العظيم أن يحميها له، ويوفق ما بينهما ضد كل الشرور.

(14)

حياة الملوك لا تشبه حياة العامة
من قال إن الملك لا يملك مشاعر العامة؟
من حقه أن يُحب ويُحب
دون مطّاحة أو طمع.

الجيش المغوار

جاءت حرب كبيرة وفتوحات جعلت (جَمْنون) يركز جهده على افتتاح تلك الأراضي المهمة وضمها إلى مملكته، كانت (منى) تشعر بأعداد الجيوش والمستشارين القادمين إلى منزلها للتخطيط والتجهيز.

وبعد أسبوع كانت المعركة، في يوم الجمعة. و(منى) على سريرها ترغب في الاستيقاظ وهي تدرك أن زوجها (جَمْنون) ليس بجوارها، لكنه عندما شعر بأنها استيقظت انطلق نحوها وضمها بحماس وهو يهتف لها قائلاً:

- حبيبتي كثفي الدعاء نكاد ننتصر في المعركة.

قالها وعاد أدراجه إلى رجاله.

أخذت (منى) تبتهل إلى الله بالنصر وإحقاق العدل، من الملك (جَمْنون) على رعاياه الجدد.

في خضم ذلك أسبلت عينيها باسترخاء على فراشها، وفجأة دون سابق إنذار وجدت نفسها أمام مشهد مهيب وكأن عينيها عدسة كاميرا تصور وتسجل الموقف.

رأت رجالاً شاباً وسيماً يسير على درجات كثيرة عالية، ويعقد كفيه خلف ظهره بقلق شديد وخلفه يمشي جنديان ضخمان مدججان بالسلاح بتوتر وقلق وهم يتحدثان معه بذعر، ولكنها لا تعرف فحوى الحديث، فاللغة كانت غريبة ليست من لغات الإنس، فعرفت أنهم من الجن، كانوا داخل قلعة أشبه بالحصون العملاقة التي نقرأ عنها ونشاهد آثارها التاريخية، وعندما وصل الرجل والجنديان إلى سطح القلعة التي كانت ممتلئة بالحرس والجنود المنتشرين على حواف

أسوارها العالية، والأسلحة والمدافع معهم، اقترب الرجل الذي كان أميرهم ومن خلف السور هاله ما رأى، كما أذهل عقل (منى)!

خلف أسوار تلك القلعة امتد في الصحراء المحيطة بها جيش على مد البصر مدجج بالسلح، يرتدي جنوده الدروع على أجسادهم الضخمة، ومن كثرة عتادهم وعددهم كان كل جندي كتفه بكتف الجندي الآخر، إذ يبدو أن أعدادهم بالملايين، وقد كان ذلك الجيش الضخم المخيف هو جيش حبيبتها (جَمُنون) فأدركت أنها ترى خوف العدو وقوة جيشها.

في تلك اللحظة انتفض الأمير هلعًا أمام جيش لا طاقة له به فاتخذ القرار الحكيم الذي حاول رجاله إقناعه به، ألا وهو الاستسلام حقنًا للدماء، فرجع الأمير علمًا منكوسًا دلالة الاستسلام.

فتحت (منى) عينها بدهشة لما رآته عينها الثالثة من عالم الجن والأرض البعيدة عن بلادها وما حدث فيها.

كانت تشعر بالحماس وتنتظر الأخبار من (جَمُنون) إذ تتمنى أن تتفق قصته مع قصتها.

أخذت تدور في غرفتها منتظرة وما هي إلا دقائق حتى جاءها (جَمُنون) مبهجًا يحتضنها ويزف إليها البشرى بالنصر.

أخذت تهنئه ثم حكّت له ما رآته، نظر نحوها بدهشة سعيدة وقال بفرح:

- أرايت يا زهوري ما لديك من قدرات؟ هذا بالضبط ما حصل، هذا أميرهم وولي عهد تلك الدولة العنيدة، لقد خضعت واستسلمت حقنًا للدماء، وفي المقابل يستمر حكم تلك الأسرة على رعاياهم، ولكن بوجود أمير من عندنا ووزراء حتى يكون ملك تلك الدولة تحت إمرتي، وشعبه يصبح من شعبي، وإني لهم لعادل،

ولحكم ذلك الحاكم لآمر، فقد عانى شعب تلك المنطقة من سوء الإدارة، والآن ستغير أقدارهم فقد أصبحوا تحت جناحي وحكي الحكيم.

كانت (منى) تشعر بالذهول مما تسمع: هل هذا صديق طفولتها؟ أقوي إلى هذه الدرجة؟ وهي التي حاربتة ومع ذلك أعتقها من غضبه لأنه يحبها!

ابتسمت بتأثر وتأملت قدراتها العجيبة وحياتها الغريبة، ضحكت عندما سمعت (جمنون) يقول لها:

- أسمع كل أفكارك، نعم حياتنا مختلفة عن حياتكم، وأنتِ أصبحتِ جزءاً مهماً منها، وإني أحبك، ولن أرضى لك الأذى، ولتدركي يا حبيبتي أنكِ زوجتي، وسيأتي اليوم الذي أنصّبك فيه عليهم ملكة.

قالت (منى) بدهشة:

- ملكة؟ أياكون هذا ممكناً؟

احتضنها وهمس لها:

- ممكناً؟ بل ملزماً.

ابتسمت بدهشة وقالت بصدق:

- أنا ملكة لأنني ملكتك، هذا هو كنزي الحقيقي.

كان يعرف يقيناً نقاءها ونبلها، فليست ممن يطمعون أو يبيعون الحب والقيم لأجل المال، شعر بالاعتزاز أكثر والفخر بتربيته على عرش قلبها، ولأنه أحبها من بين كل نساء الأرض، وقلبه أحسن الاختيار، وروحه وجدت نفسها.

كانت الاحتفالات على قدم وساق، أحياناً (منى) ترى مبخرة عملاقة تخرج منها

أدخنة برائحة عود لم تشم مثله من قبل، كانت لحظة سريعة يتبعها صوت موسيقى وأغاني غريبة لكنها مبهجة، هي لحظات سريعة، لكنها كانت تطرب قلبها وروحها، وكم تمنّت لو ترى هذا العالم بوسعه وكل شيء.

كم تمنّت أن يصطفئها الله وتكون حاضرة مع (جَمَنون) كل اللحظات، كل تفاصيله، ما يأكل، ما يستمع إليه من موسيقى، ما يرتدي طول اليوم، تفاصيل تعاير وجهه في الحلم والسلم والغضب والضحك وكل شيء، فقد شغفها حباً.

في نهاية تلك الليلة وبعد أن نسجت معه قصة عشق لن تنتهي بين ذراعيه الساخنتين، نامت بهناءة.

جوار ومحظيات

في منامها رأت فتاة تشبه إحدى صديقاتها فاندفعت نحوها تكلمها وترحب بها، فجأة تغيرت ملامح صديقتها إلى فتاة أخرى في السابعة عشرة من العمر تقريبًا، جميلة لكن لئيمة، لم ترتح (منى) لنظراتها فخرجت من تلك الغرفة لمكان آخر، ولكن تلك الفتاة اندفعت نحوها وعيناها تتقدان شرًا ترغب أن تهجم على (منى)، هنا ظهرت والدة (منى) من العدم واحتضنت (منى) حتى شعرت بدفء صدر والدتها المتوفاة، ورائحتها العطرة، شعرت (منى) بالأمان والحنان وتلك الفتاة تكشر عن أنيابها وتصرخ بغضب: إنه لي، لي، لي.

هنا قالت السيدة (جميلة) والدة (منى) بحزم:

- أعوذ بالله من شرك وأذاك ابتعدي عن ابنتي، أعوذ بالله منك، أعوذ بالله منك.

ارتعدت الفتاة وتراجعت خطوات للخلف، و(منى) تسترق النظر من تحت ذراع والدتها التي أحاطت رأسها بها فأدركت أنها جنية وليست إنسانة، وهي تقصد (جَمُنون) بحديثها.

رحلت الفتاة فنظرت (جميلة) نحو ابنتها بحنان وحزم معًا وهي تقول:

- ما كل من يدعي الصداقة بصديق، احذريها فهي ك (جنياه).

فتحت (منى) عينيها بدهشة ونهضت من سريرها، وهي تتفكر في كلام والدتها وتحذيرها لها من فتاة جنية ك (جنياه) اللعينة، هل معنى ذلك أن هناك من تهيم ب (جَمُنون) حبًا؟ ولكنه زوجها الآن، نظرت نحو سريرها فعرفت أنه غير موجود، نهضت ومشت خارجة من غرفتها راغبة أن تلقي نظرة على صغارها لتطمئن عليهم، ولكن وهي تمشي في الصالة العلوية، لمحت بطرف عيناها بابًا غريبًا في

أعلى الدرج الذي يقود إلى الدور الثالث، باب لم يوجد من قبل ولا تعرف إلى أين يقود، باب ينتصف المسافة بين التقاء السلمين.

أخذها الفضول لترى المكان، فتحت الباب بحذر فرأت صالة كبيرة بها أبواب عدة، كيف؟ أكانت امتدادًا في الهواء فوق حديقة المنزل؟ بل إنها تتعدى ذلك.

مشيت بحذر يتخلله نوع من الرهبة، ورغم الإضاءة الخافتة التي زادت من رهبة المكان، إلا أنها تشجعت لتكمل استكشافها.

فتحت باب إحدى الغرف، كانت غرفة صالون كبير تنتشر فيه الأرائك، ويا للدهشة! رأت على إحداها ثعبانًا برأسين لا يخرجان من الرقبة نفسها، بل رأس في كلا طرفي الجسم، بمعنى رأس في موقع الذيل، ورأس في موقع الرقبة، والأعجب هو ذلك الوبر المموج بين اللونين الأسود والبيج المائل للون الذهبي، نعم لم تكن لديه حراشف، كان منظره جميلًا ومذهلاً، ولكنه عندما رفع رأسه معًا ولمعت عيناه الحمراوان وهو ينظر إليها، هربت وأغلقت الباب خلفها، وركضت نحو ذلك المخرج الذي كان مدخلًا لهذا المكان، الذي هو عالمهم وليس عالمنا.

خرجت أخيرًا لتنزل الدرجات التي تألفها، وعندما وصلت إلى الطابق الثاني استردت أنفاسها وقررت أن تعرج على غرفة ابنها (سيف)، ولكنها لم تجد الباب مكانه، بل إنها عندما أمعنت النظر لاحظت وللمرة الأولى أن الصالة تختلف عن منزلها، أين المكتبة والأرائك؟ لا شيء.

تجرات وفتحت الباب الذي كان يستقر بجوار الدرج بدلًا من أن يكون على بعد متر منها ويؤدي إلى غرفة ابنها.

كان الباب بدرفتين ومقبضه ذهبي، فتحته ببطء فصدر منه نكة مرعبة، وعندما مدّت بصرها للداخل تفاجأت مما تراه!

أي مجلس واسع هذا؟ بطول يتعدى العشرين مترًا يمتد على يسارها، أما عرض الغرفة فكان معقولًا 6 أمتار.

المجلس ممتلئ بالرجال ويعمه صمت مهيب والخشية والرهبة على محياهم، ورغم ذهولها لرؤية هؤلاء الرجال الذين قد يكون عددهم 45 رجلًا إلا أن قلبها ينبئها بأن لا خطر منهم، فهم من الجن المواليين، بل شعرت بأنهم من الصفوة؛ لذا غريزتها أنبأتها بأن تبحث عيناها عن قائدهم، فمسحت المجلس بعينيها حتى رآته هناك في صدر المجلس يجلس بهيبة وأمامه طاولة كبيرة تنتثر عليها الأوراق والخرائط والأدوات المكتبية، وكان مندمجًا في الحديث مع الرجل الذي عن يساره.

كان (جَمْنون) بثياب سوداء من الحرير المطرز بالذهب، وعلى رأسه تاج ذهبي ملفوف حوله شال أسود كالعمامة، يعود طرف منه ليلتف على رقبته العاجية.

شعرت بالدفء والامتنان لرؤيتها له وهو في عالمه، كان جادًا يتكلم بجدية مع ذلك المستشار، أذهلها هذا الجانب الآخر من شخصيته العظيمة.

وهي في خضم تأملاتها سمعت صوت من يبلع ريقه، نظرت أمامها مباشرة وهي لا تزال تقف عند عتبة الباب، فرأت رجلًا يبدو أنه على مشارف الستين من عمر البشر، وكان يعتمر قبعة صغيرة على رأسه الأصلع، نظر نحو (منى) برجاء وهو يبلع ريقه من جديد، ويهمس من شدة الرهبة من ملكهم (جَمْنون) قائلاً بصوت كحشرة الأفعى:

- ماء، أرجوك ماء، لقد جف ريقى.

لم تمنع أن تطلب لهم جميعًا الماء ليستكملوا اجتماعهم ونقاشاتهم، فيبدو أن (جَمْنون) صارم عليهم والكل خائفون من الزلة.

خرجت من مكانها وهي تنظر إلى المنزل الذي لم يعد منزلها، ولا تعرف من أين

تجلب الماء.. خطت خطوات للأمام إلى المكان الذي يفترض أن يكون صالحتها، وهناك رأت مكان الخدمة (مطبخًا صغيرًا للمشروبات)، تقدمت لترى امرأة جذابة طويلة القامة كانت ترتدي ثيابًا رسمية أقرب إلى البدلة عند البشر، وشعرت بأنها المشرفة المسؤولة عن هذا الاجتماع، وحواليها خادمت، فاقتربت منها (منى) وقالت بهدوء حذر:

- إنهم يحتاجون إلى الماء من فضلك.

نظرت نحوها المشرفة بدهشة وذهول، ثم أشرق وجهها وقدمت التحية بأدب وهي تحني رأسها ثم رفعته وقالت مبتسمة:

- هل رأيته؟

فهمت (منى) أنها تقصد (جَمْنون)، فأشرق وجه (منى) وقبل أن تنطق بكلمة، أكملت المشرفة كلامها وهي تضع يدها على قلبها في إعجاب قائلة:

- أحقَّ رأيته؟ ملك الملوك، أو اسم الجميع.

دُهلّت (منى) من وصف المشرفة وجرأتها في الحديث بأريحية معها، واستطردت تلك المشرفة قائلة:

- أعرفُك جيدًا من ملف قضية (أبها).

تسمّرت (منى) مكانها وفهمت المغزى من تلك العبارة، أصبحت قصتها مع (جَمْنون) عندما كانا في المنطقة الجنوبية، وبالتحديد في مدينة (أبها) قضية؟ ولها ملف؟!

قاطعت أفكارها المشرفة وهي تتقدم بترحاب جهتها، حاملة صينية عليها إبريق للشاي، وأكواب فاخرة مع كاسات للماء.

مدت الصينية نحو (منى) ولكنها بإيماءة منها للخادمة قالت:

- خذي لهم المشروبات، ولكن دعي الخادمة تحمل عنك الصينية يا سيدتي.

كان كل ما يحدث جديدًا وغريبًا على (منى) التي تكلمها الآن جنية، بل لعلها ماردة أو عفريتة بكل بساطة وهي لا تشعر داخلها بأي خوف وكأنها تنتمي لعالمهم حقًا.

استدارت (منى) لتذهب مع الخادمة إلى (جَمْنون) وهي كلها شوق للقائه مجددًا، ولكنها في هذه اللحظة سمعت تهامس نساء خلفها يغتبنها: «هذه الإنسية الصافية، إنها ترانا الآن».

- «عجيب عجيب» (صفاء)، ألا يبدو أن اسمها (صفاء) وليس (منى)؟

لم تتمالك (منى) نفسها فالتفتت خلفها بسرعة لترى بابًا جانبيًا لغرفة جلوس كبيرة تمتلئ بالنساء الجنيات، وعند الباب تقف امرأتان تبتسمان بسخرية وهما تنظران لها بعلو، اقتربت منهما بقوة غير خائفة فعدتا أدراجهما إلى الورا وهما تترقبان ردة فعلها.

نظرت إلى داخل المجلس، فصمتت النساء بذهول في تلك اللحظة! أخذت (منى) تجيل النظر فيهن وهي مندهشة من وجود هذا العدد من النساء في دارها، كنّ متفاوتات الجمال، ولكنها لاحظت صفاً منهن كن متأنقات جدًّا، ويبدو عليهن أنهن ضيفات غريات، يلتزم البروتوكولات الاجتماعية، فجأة سمعت هتاف محب يقول لها:

- (منى)! (منى)!

التفتت بدهشة نحو مصدر الصوت فرأت في صدر المجلس فتيات جميلات يلبسن المجوهرات الفاخرة، فهمست لها المشرفة قائلة:

- هؤلاء الأميرات.

فهمت (منى) أنهن أخوات (جَمْنون)، سمعت الهتاف الفرح من جديد فنظرت لمصدره لتجده لإحدى الأميرات وهي تجلس في زاوية صدر المجلس.

اتجهت (منى) نحوها وقلبا يشعربدفاء كبير تجاهها، وعندما وصلت رأّت فتاة جميلة جدًا، رشيقة القوام وأثوية المنحنيات، ناصعة البياض، شعرها الحريري الكثيف يصل إلى ركبتها، كانت ترتدي ثوبًا من الحرير الأخضر كشف عن بعض مفاتها، وتضع تبرجًا جميلًا كنساء البشر، ولكنها لاحظت أن رسم عينيها ينتهي بزخرفة لافتة جميلة باللون الأخضر، قالت لها الأميرة بابتهاج:

- أنتِ هنا، تعالي واجلسي بجواري أنا الأميرة (تيانا).

انشرح قلب (منى)، إذ عرفت أنها توأم (جَمْنون) التي تؤيد قصتهما منذ البداية.

جلست (منى) بجوارها وقالت بدهشة فرحة:

- إذا أنتِ الأميرة (تيانا)! كم أنا سعيدة للقياء، وممتنة لدعمك وحبك.

أمسكت الأميرة كف (منى) التي ارتعشت لبرودة يدها ولزوجتها، وقالت لها الأميرة:

- أنا أثق في أخي، فإن أحبكِ، فأنت تستحقين الحب.

اهتاج قلب (منى) بالمشاعر، ولكنها سمعت فجأة المشرفة تنادي عليها قائلة:

- سيدة (منى) الملك يناديك.

فز قلبها، فوقفت ومشّت بين الجميع وهي لا تزال ترتدي ثوب النوم الساتان الطويل المثير بلونه الأزرق، وفتحة ظهره الواسعة، ولكنها كانت تشع جمالًا

بينهن رغم أنهن يرتدين ثياب احتفال فاخرة.

عندما اقتربت من الباب رأيت الكره والحقد في عيون الفتيات اللاتي شعرت بأنهن ضيفات، همست لها المشرفة قائلة:

- لا تعيري نظراتهن اهتمامًا فهن جئن كهدايا حرب، جاريات ومحظيات طامعات في رضا وقبول الملك.

سقط قلب (منى) بين قدميها، ما هذا الكلام؟ جاريات؟ وكأنها في العصور القديمة!

ثم طامعات في الملك! أيطمعن في حبيبها وزوجها (جَمْنون)؟!

اعتراها الغضب فحدجتهن بنظرة حارقة، وابتسمت لهن بقسوة ووعيد، فارتعدن من قوة زوهريتها التي تستطيع الإطاحة بهن.

وبكبرياء الأنثى الواثقة من نفسها ومن حب حبيبها، اتجهت بخطوات رشيقة لتخرج من ذلك المجلس، وفي أثناء اتجاهها لمجلس (جَمْنون) اندفعت نحوها فتاة جميلة في مقتبل العمر ترتدي ثيابًا زرقاء هي الأخرى، وشعرها أسود اللون يزين وجهها الناصع البياض وملامحها الدقيقة الجميلة.

أمسكت بكتف (منى) ونظرت نحوها بكرة وحقد وتعالٍ وصرخت بها:

- أنا التي يجب أن تذهب إليه، فأنا موعودة به.

صُغقت (منى)، إذ إنها نفسها الفتاة التي رأتها في رؤياها وحذرتها والدتها منها.

قالت المشرفة بأدب للفتاة:

- ليدي (تاسيا) أرجوكِ تراجعي.

نظرت نحوها (تاسيا) بتعالٍ وقالت بحدّة:

- كيف تجرئين على منعي وأنا ابنة رئيس الوزراء وخطيبته المستقبلية؟

غاص قلب (منى) أكثر وألجمتها الصدمة: خطيبة أيضًا؟ ماذا يخفي عليّ (جَمْنون) أكثر من هذا؟

قطع حبل أفكارها صوت المشرفة الصارم وهي تقول لتلك الفتاة:

- لقد طلبها بالاسم، فأطيعي الأوامر.

لا تدري (منى) لماذا حينها شعرت بالاعتزاز، نظرت بثقة نحو تلك الدخيلة التي كانت تنتفض غضبًا حتى بدأت حدقتا عينيها تتحولان إلى اللون الأحمر، صرخت في (منى) بغيظ وهي تصرّ على أسنانها:

- عليكِ اللعنة أيتها اللعينة!

احتقرتها (منى) بنظراتها وهي تتذكر الحقيرة (جنياه)، قالت المشرفة بأدب ل (منى):

- أرجوك سيدتي تقدمي أمامي إنه ينتظرك.

عند هذه الكلمة (ينتظرك) (ينتظرك).. انتفض قلبها شوقًا لرؤيته، تقدمت تمشي مع المشرفة نحو ذلك المجلس الذي أصبح فارغًا، وهناك عند صدر المجلس رآته واقفًا أمام تلك الطاولة التي تنتشر عليها الأوراق، أشرق وجهه لرؤيتها وهي هرولت بسرعة نحوه، كان التفكير واضحًا على محياه الوسيم وطوله وهيبته جعلها تقف تتأمله بافتتان، اقتربت منه ولم تشعر بنفسها إلا وهي تجلس على وسادة وثيرة عند قدميه، جلست لترتاح من المشاعر العنيفة والغيرة التي شعرت بها منذ لحظات، أسندت رأسها على ساقه فوضع يده على رأسها يربّت عليها، ثم

عادت يده أمامه لتلاحظ أن كل أصبع من أصابعه به خاتم غريب، وكأنه مصنوع من العاج، وبأظافره الطويلة أخذ بكل ظفر يقص من الظفر الآخر لتتساقط أطراف أظافره على ورقة بردي أمامه بها نقوش غريبة وكلمات لغة لا تفهمها، حروفها أشبه باللغة الهندية، فأدركت أنها لغة الجن، سمعته يقول بقسوة وهو مقطب جبينه:

- كل واحد يسعى إلى مصلحته، ومن جهتي فإني أوزع المهام وحتى الزيجات، ليعم الاستقرار مملكتي، فليرسلوا من الجواري ما يرسلون فأنا أوزعهن على عليّة القوم حفاظًا على كرامتهن وإسعادًا للوزراء الذين يستحقون، وهكذا آمن مكر الجميع، أن يجد الملك من يحبه بنقاء دون مصلحة، وهو يحب تلك المرأة الصافية الأنيقة فهذه النعمة والفضل اللذان يستحقان أن أحارب من أجلهما.

رفعت (منى) رأسها نحوه بتأثر، وهي تدرك بوضوح المغزى من حديثه، فهو يحمل مسؤولية كل شيء على عاتقيه حتى علاقاتهم الاجتماعية والعاطفية، وأيضًا يختارها هي لأنه يعلم يقينًا ما في قلبها وروحها، نظر نحوها بدفء وعدوبة وحنان العالم كله، ومد يده نحوها ليسحبها نحوه فتجاوبت معه حتى رفعها لحضنه واحتضنها، كانت تهيم سعادة به، حملها بين ذراعيه وخرج من المجلس أمام أنظار الجميع، وهم ينظرون عند موطئ أقدامهم باحترام، والفتيات الطامعات بحبه يغلين قهراً وغيره، وهن يرين بما لا يدع مجالاً للشك مدى عشقه المجنون لتلك الإنسية التي استكانت بين ذراعيه بعشق وأمان.

أدخلها غرفتها ووضعها على سريرها فأذهلها أن معالم غرفتها الحقيقية بدأت تظهر لها!

قال هامسًا بحنان:

- يكفيك يا (منيتي) ما رأيته اليوم، دعي جسدك وروحك يرتاحا.

بدأت الرؤية تصبح ضبابية، وهو بدأ يتلاشى حضوره المرئي فقالت هامسة
بضعف متذمرة:

- ابق لا تختفِ.

رأت طرف ابتسامته وهو يقول لها:

- أنا دائماً موجود.

شعرت به ينحني يقبلها ثم اختفى، وغابت هي في نعاس شديد، ونوم عميق استمر
عشر ساعات متواصلة.

عندما استيقظت (منى) في اليوم التالي (السبت) كانت في حال من الدهشة
والصدمة، مشاعر مختلطة شعرت بها، و(جَمْنون) يداعب شعرها ويقول برضا:

- ماذا فعلتِ يا (منيتي)؟ أذهلت محيطي بحضورك المفاجئ!

قالت بحيرة:

- أكنُت في عالمك حقًا ولم أكن أحلم وكان حلمي داخل حلمك؟!

قال معتزًا بها:

- بل كنتِ هناك حقيقة.

قالت له بقهر:

- ومن هذه (تاسيا)؟ لم تخبرني عنها، لقد حذرتني منها والدتي وقالت إنها
(كجنياه)، لقد تهجمت عليّ قبل أن أدخل عالمك وشتمتني عندما دخلت.

سمعت زفيره الغاضب وقال لها:

- أنتِ مولاتها رغبًا عنها، لا تعيرها اهتمامًا، هي اختيار والدي ولا تهمني، هي صديقة أختي لذا حضرت مع الوفود المباركة لي والحاملين للهدايا، وبالنسبة للمحظيات فقد أخبرتك البارحة فأنا لم أتخذ لنفسي أي واحدة منهن.

قالت (منى) بغضب والغيرة تأكلها:

- اسمعني جيدًا أنا عمري كله لم أكن غيورة، ولا حتى على (وليد) الذي يعمل طبيبًا وفي مجال جراحة التجميل، ولكن الآن أنا أرفض ولا أقبل هذا الوضع، فلماذا تطمع بك وأنت متزوج أم أنها ترغب بأن تكون محظية لك؟

تنهد بهم وقال:

- بل ترغب على الأقل أن تكون زوجة ثانية.

صاحت (منى) بسخط:

- ماذا!!!؟! ولكنك مسيحي لا يحق لك إلا زوجة واحدة.

قال بغم:

- عند الإنس فقط، فنحن مسيحيون كما كان الدين بالأصل في عهد سيدنا المسيح (عيسى) عليه السلام، ونحن نراه نبياً، ولكنه مصطفى ك (آدم) عليه السلام، نحن موحدون.

صمتت تفكر ثم قالت بحذر:

- وهل سيجبرك والدك على الزواج بها؟

ضحك ساخراً وقال:

- ومنذ متى أُجبر على شيء لا أريده؟ لقد خضت حربًا كبيرة لأجلك ولن أستسلم،
فلا تكوني أنتِ والزمان ضدي.

غاص قلبها وهتفت بحب:

- لا يا حبيبي، لا، الموت أرحم على قلبي من أن ترى مني الأذى، كم تعبت من
أجلي، وكم كنت مغفلة، فسامحني.

قبَّلها وقال بعشق:

- (منيّتي) لا تنسي أنتِ عندي مغفور لكِ ليوم الدين.

كلامه غسل غيرتها وخوفها، وأكملت يومها معترّة بحبه، وفخورة بذاتها وقدراتها.

(15)

صفحات المستقبل لا يعرفها إلا الله

تخيل أن يفتح الله لك نافذة لترى منها بالصوت
والصورة أمرا قد يجعلك تسير بقوة مع عجلة الحياة.

نار الغيرة

(تحكيها مني)

مرت الأيام وأنا لم أعد أنا!

أسير في الطرقات وأنا متأملة لحياتي الجديدة، ومدركة لذاتي التي لم أكن قد اكتشفتها بهذا العمق سابقًا.

كنت أدرك أن حولي حرسًا يحيطون بي، بالإضافة إلى حرس (جَمَنون) الذي أخبرني بأنني محاطة بهم، وهناك جنرال عظيم معي.

شعرت بالاعتزاز واستغربت كيف أن العالم ينقسم لهذه الأبعاد والمسافات والمتاهات.

كنت أنظر إلى الناس بدهشة صامتة، فهم لا يعرفون من حولي، ولا يرون إلا هذا البعد الأرضي، بينما العالم أوسع من ذلك.

الأشخاص الممسوسون فقط كنت ألمح نظرات الدهشة من الجني داخلهم نحوي، والبعض كانوا يرتجفون بمجرد النظر لقوة الجن المحيطين بي فيصرفون نظرهم بسرعة وحذر.

خرجت مع صديقاتي الحبيبات إلى مطعم ولاونج أغافي، استمتعنا بالطرب والطعام اللذيذ، وعند خروجنا منه اقتربت مني صديقتي (أماني) وحاولت أن تسحبني بعيدًا عن المجموعة لتقول هامسة:

- (مني) صوت الطرب منعني من الحديث معك رغم حرصني على الجلوس

جوارك، هناك موضوع مهم لا ينفع على الهاتف.

- خيرًا؟ اللهم اجعله خيرًا.

قالت بحب:

- جمالك وشبابك لا يضاهيان، ألا تفكرين بالزواج؟ فالحي أبقى من الميت ولا تزعلي مني.

ابتسمت بسخرية وقلت مراوغة:

- وأترك راحة البال، هههههههه لا أفكر بالزواج.

قالت برجاء:

- (منى) اسمعي ثم قرري، من في مثل عمرك الآن يتزوجن، أتذكرين زميلتنا (نور)؟ زواجها بعد شهرين، وبعض الفتيات يتزوجن على مشارف الثلاثين، أنا مثلًا تزوجت قبل سنتين في الثامنة والعشرين من العمر، وأنت يا حبيبتي أصبحت أرملة في هذا العمر المبكر، من حقلك أن تعيشي شبابك وعنفوانك، اسمعيني أولًا ولا تقاطعيني، أتذكرين أخي (ماجد) كان يحبك منذ أيامنا في الجامعة، عندما عرف أنك أصبحت متاحة أعرب عن رغبته بك.

شعرت بالضيق في صدري، ولكني ميزت أنه ضيق مصدره (جَمُنون) الذي شعر به، قلت لها محاولة تضييع الموضوع:

- ألم يتزوج بعد؟ أم أنه يرغب بي زوجة ثانية؟

قالت بحماس:

- لا لا لم يتزوج بعد، والآن عمره 34 وأن الأوان أن يتنازل عن عزوبيته، هو كابتن

طيار وشخصيته محبوبة، وأكيد وسيم إذ إنه يشبهني.

قالت ضاحكة فضحكت معها، وقلت لها متصنعة الجدية:

- يا عزيزتي هو عَرَبٌ وأنا أم لثلاثة أطفال صغار، الموضوع صعب.

قالت بحماس:

- عقليته منفتحة، وأمي خضعت لقراره في سبيل أن وافق على الزواج أخيراً، وهي تحبك كثيراً، وصدقيني سيكون نعم العون لك في حياتك وتربية أطفالك.

عرضها مغرٍ لأي فتاة فكرت بأن كل أعذاري لن تفلح، لذا قلت لها بضيق:

- أنا لم أتخطى وفاة (وليد) بعد، ولا قدرة لي على الارتباط برجل آخر، أرجوك لا تلج علي.

صمتت (أماني) لبرهة ثم قالت بأدب:

- حسناً لك ذلك في الوقت الراهن، ولكن إن كنتِ جاهزة لتجربة جديدة، وأخي لا يزال أعزباً فأرجوكِ بلغيني، فأنتِ أختي، وكم أتمنى لو تصبحين جزءاً من عائلتي.

احتضنتها بحب وأكملنا الطريق واستقللت سيارتي المرسيديس الحمراء، وقبل أن أتحرّك بها قلت بهدوء لحبيبي الذي كان يغلي غيظاً:

- اهدأ اهدأ أنت زوجي وحبيبي لا قبلك ولا بعدك أحد.

تنهد وقال بغیظ:

- (منيتي) انتبهي أن تخضعي لضغط المجتمع، فأنتِ ما زلتِ شابة وجميلة وناجحة، وقد مر وقت معقول على وفاة (وليد) لبدأ الخطاب بأذيتي، احذري أن

تخضعي، ثم تظني أن الموضوع ممكن أن يكون، كما جمعت من قبل بين (وليد) وبيبي.

ضاق صدري فهتفت بغضب:

- هل أنت مجنون؟ وهل كنت أشعر بالراحة وقتها؟ أتدرك مدى راحتي الآن بعد أن أصبحت حياتي واضحة بوجودي مع رجل واحد؟ كان من المفترض أن أكون معه منذ البداية لأبدأ دوامة تعب نفسي جديدة! هل أنا حمقاء؟

أخذ بصوته العميق يقول لي:

- اهديني اهديني.

هتفت بحنق:

- أنا هادئة.

فلتت منه ضحكة خافتة وهو يقول برقة:

- هادئة إدا؟

هنا انتبهت لعصبيتي، فضحكت رغماً عني للطافة أسلوبه، ثم قلت برقة:

- (جَمُنوني) حبيبي لا تخف من ناحيتي وإن كان لي سوابق، حبيبي أرجوك كن واثقاً بي.

وضعت أغنية (عبد المجيد عبد الله) على بلوتوث السيارة، وانطلقت بها عائدة لمنزلنا، والكلمات التي تعبر عني تنطلق ليسمعها (جَمُنون):

كيف أسيبك، كيف أسيبك

وأنت نظر عيني وأنا حبيبك

وإن حصل واختلفنا

أو في يوم افترقنا

شوقي يعني لك، يعني لك

وأنت يجيبك، يجيبك أصلك وطيبك

اللي بيني وبينك أكبر من السوالف

دام قلبي في إيدينك ليه يا عمري خايف

الله لا يغير الحال

نبقى مهما الزمن طال أحبة

راق مزاجه ووصلت إلى منزلنا الجميل، وعندما قبّلت أبنائي وتبادلنا أطراف الحديث جاءني اتصال من أختي (سمية) التي طلبت أن تأتي لتسهر معي، كان يوم الخميس ولا بأس ببعض السهر الجميل مع أختي، بعد سهرتي الجميلة مع صديقاتي.

حضرت أختي الغالية وحدها بدون أطفالها لأن أبنائي سينامون.

تبادلنا أطراف الحديث ثم تعكر وجهها وقالت لي بهم:

- (منى) وضع (مها) لا يعجبني، لقد صارت تنفر من (حسين)، والآلام تغزو جسدها كلما اقترب منها، ما الحل؟ أسألي أخي (جَمْنون).

قال لي (جَمْنون) بجديّة:

- آن الأوان أن أحذر (غدفان) من تمارديه.

تخاطرت معه مترجية:

- (جَمْنوني) أرجوك، في الماضي كنت مغلوبًا على أمرك، أما الآن فأنت الملك، احيم عائلتي من عدوان شعبك.

قال لي بصوت صارم:

- عليه أن يخرج من جسدها، وإن كان يحبها حقًا فليكن مرافق خير لا شر، ولكن حبه أناي خبيث، سأحذره فلا تحزني.

أخبرت (سمية) برده وهي بدورها تحمّست ولمعت عيناها وهي تقول:

- الملك (جَمْنون)! يااااه كيف تغيرت الأيام والقصص؟!!

صمتت ثواني ثم قالت بحماس:

- (منى) (منى) (منى) نسيت أن أخبرك!

- خيرًا؟ اللهم اجعله خيرًا.

فكرت للحظة بأن هذه ثاني مرة أقول فيها هذه العبارة لليوم، وكأنني استشعرت بأن الحديث لن يعجبني! أصغيت السمع لها وإذ بها تقول:

- أخو صديقتي (منال) أتذكريه؟ المهندس (طلال) عمره 36 عامًا، لقد طلق زوجته منذ سنة مضت وعنده منها طفل واحد بقي مع أمه وهو يحق له زيارته كل أسبوع، وكان سبب الطلاق والدتها التي أفسدت حياتهما، المهم عندما عرف

رد عليّ بالغيظ والحسم أنفسهما:

- أخبريها، ولتحفظ السر طوال عمرها.

هنا تنهدت وقلت بحسم:

- لا أستطيع الزواج وأنا بالفعل متزوجة.

فغرت فاهاً، وعيناها كادتا تخرجان من محجريهما! وهتفت بذهول:

- مسيااااار؟! لا تقولي إنك تزوجت زواج مسيار دون علمنا.

بغموض قلت:

- بل تزوجت من (جَمْنون).

دهشتها الآن أكبر! عمّ الصمت ثم قالت بصوت مختنق:

- أَيْكون ممكناً؟

ابتسمت بثقة وقلت:

- بل وباهراً.

تهللت أساريرها وقالت بتأثر:

- أتقولين الصدق؟ يا إلهي منذ متى؟!!

هنا قررت أن أشارك أخيراً شخصاً إنسيّاً معي في قصتي الغريبة، ومَن أحب وأقرب إليّ مِن أختي وصديقتي وتوأم روعي (سمية)؟ مع إغفال بعض التفاصيل التي تخص عالم (جَمْنون) ولم يؤذن لي بعد بالإفصاح عنها.

وضعت يديها على رأسها وقالت بذهول:

- ولا في الأفلام والروايات! هل هذا حقيقي؟ يا للعجب! وهل أنتِ الآن ملكة؟

شعرت بالحرج فقلت لها صادقة:

- لا أفكر هكذا.

هتف (جَمُنون) حينها بحسم:

- أنتِ ملكة، وسأجعل الكل يعترفون بذلك.

احمَرَّت وجنتاي، وأخذت أحكي لأختي عن شخصيته الحنون، أخذنا الحديث حتى قارب الفجر على الظهور، كانت مبهورة وسعيدة، وكنت أنا ممتنة ومنتشية لأجمل سهرة قضيتها في حياتي مع (سمية)، رحلت فاتجهت إلى غرفتي وصلبت الفجر، ثم استلقيت لأنام ونشوة الحديث وراحة الاعتراف لا تزالان تعتريانني.

نمت لدقائق عندما شعرت بحركة على فراشي فعرفت أنه (جَمُنون) كان ثقله محسوساً ووعبي قد استيقظ على حركته، فتحت عينيّ ببطء لأدهش! وأي دهشة؟!

وقعت عيناى على صدره العاجي الأبيض المفتول العضلات والعارى، أخذتني الدهشة وأنا أراه حقيقة لا في المنام، كنت مشدوهة، أنظر إلى حضوره الفاتن وصدره يلمع كانعكاس لؤلؤ براق عليه، مددت يدي خائفة من أن لو لمستته لاختفى.

وضعت يدي برقة على ذراعه العضلية، كنت ألمسها بشوق وهي ترتفع تدريجيّاً لتتجه إلى كتفه، وأثناء ذلك كنت أخاف أن لو أبعدت يدي عنه لحظة لاختفى من مجال الرؤية، ولكنني تفاجأت عندما انحنى عليّ! والتقت شفاته الناعمتان

بشفتيّ، وأخذ يقبّلني قبلاّت محمومة بادلتهَا بالمثل، وأنا أشعر بأن قلبي وروحي هما اللذان يقبلانه، وليس شفّتي فقط، أبعد شفّتيه عني ليطالعي وجهه الفاتن الجميل، كانت عيناه الواسعتان الرصاصيتان تكادان تكونان سوداوين من عمق مشاعره، كنت أتأمل مسامه، وشعره، وكل جزء فيه، ألا كم شغفني حبًا!

قال لي بصوت متألم هائم، والدموع تلمع في مقلتيه:

- (منيتي) أحبكِ، أقسم بالربّ إنني أحبكِ، فأحبيني كما أحبكِ وكوني لي أبد العمر يا عمري.

نظرت نحوه بدهشة وابتسامة عذبة ترتسم على شفّتي: أيستجدي حبي؟ أيسألني حبًا دائمًا؟ أحقًا يخشى فقداني؟ وهو الذي لو طلب روعي لأعطيها له وأنا أطيّر من السعادة.

كانت يداي تتلمسان وجنتيه بانبهار، وكأني طالعت الجنة بنفسها، همست له بعدوبة وأنا قلبي ينتفض عشقًا حتى أقسم إن نبضاته الجدلي أسمعها في أذني:

- أنا أحبكِ، أحبكِ حبًا لا قبله ولا بعده، (جَمُنون) لا تستجد حبي، بل أنا التي أستجدي أيديتك حبيبي.

تأوّه بعدوبة ثم انحنى ليقبّلني وأقبله، حتى أقسم إنني شعرت بأن روحينا امتزجتا بعضهما ببعض، ثم اختفى من مجال النظر، لكن رائحته وطعم شفّتيه لا يزالان حاضرين.

تأوهت منتشية سعيدة بحضوره، بل امتننت لغيرته التي أحضرته لي، قلت له هائمة أحرك رأسي يمينًا ويسارًا كالمحمومة، بصوت بالكاد أسمعها:

- ممتنة لك، ممنونة لحضورك.

همس بصوت متحشرج قائلاً:

- لا تشكريني أبداً، فأنا لكِ السمع والطاعة، إن كنت ملجأً على قومي، فأنا عبدك
(منيّتي).

قلت بحب:

- لا لا لست عبدي، بل سيدي وتاج رأسي ومولاي.

غرقتنا في العشق معاً، وكم كانت ليلة جميلة، وحياة هنيئة، إذ أنعم بحضن هذا
الرجل العظيم بالذات.

ولكن هل الحساد يتركون العشاق بحالهم أم أن الهجمات والتحديات كانت لحبنا
بالمرصاد؟

بيت الشاطي، ونافذة على العالم الآخر

(تحكيها منى)

سهرة خلابة مع أخواتي وزوجات إخوتي ووالدي الحبيب، خرجت للحديقة مع (مها) و(عبير) و(فاتن) و(سمية) بعد ذهاب (أسماء) زوجة أخي (عبد الله)، أما (ابتسام) فقد صعدت إلى منزلها في الطابق العلوي مع أخي (فيصل).

في حديقة المنزل جلسنا بهدوء نشرب القهوة التركية والجو ربيعي لطيف، كان واضحًا جدًا على محياي نظرة النعيم النفسي والصحي والجسدي.

تأملتني (عبير) ثم قالت بإعجاب:

- تبارك الله ما كأنك مررتِ بفترة حداد، حماك الله، (منى) لم أركِ بهذه الإشراقَة من قبل.

ابتسمت وقلت مداعبة:

- قهوتك التركية السبب، أفضل من يصنعها أنتِ.

ضحكنا و(سمية) تنظر نحوي وتغمز بعينها، هنا قالت (فاتن) فجأة بدون مقدمات:

- أتذكرن بيت (أبها)؟

عمّ الصمت والوجوم للحظات، أعقبها صوت (عبير) القائل بخوف:

- ومن لا يذكر؟ كانت أيامًا سوداء، كلما تذكرتها تعجبت! كيف أنها صارت من

الماضي؟ رحمة الله على أمي التي عانت الصداع والتعب فيه.

زفرت بغم عند هذه النقطة وقلت بهدوء:

- هكذا هي القصص، كل شخص يعيش قصته بحلوها ومرها، منها الدروس والعبر والتجارب والخبرات، أصدقك القول إنها قصة عجيبة ولا في الخيال.

قالت (سمية):

- الحمد لله نحن الآن نعم بالصحة والخير بعيدًا عن تلك الأرض المشؤومة.

غاصت (مها) في مقعدها وسحابة غمٍ تعترتها، وضعت يدي على ركبتيها فانتفضت ونظرت نحوي.

قلت لها بغموض:

- كيف حالك الآن؟ ألا تشعرين بأنك أفضل؟

صمتت لحظة تتدبر، والعيون شاخصة نحوها، قالت بحيرة:

- أصدقن القول، فالمارد أنك حياتي، سواء في (أبها) أم (جدة)، ولكن من أسبوع مضى لم أعد أراه أو أشعر به في جسدي.

سألت (سمية) بفضول:

- كيف الشعور به وهو في جسدي؟

نظرنا نحوها بغلٍ فهي الوحيدة التي سلمت من المس، وأيضًا (فاتن) وإن كانت الأخيرة قد تعرضت لاعتداءات ومس خارجي.

قالت (مها) بتعب:

- كالكهرباء تسري في الجسد، أو دبيب نمل حار عندما يكون غاضبًا، وعندما يكون رائقًا يخف الشعور به.

قالت (فاتن) مازحة:

- لعل مزاجه رائق الآن.

ضحكن جميعهنّ ما عداي و(مها)، إذ كنت أنظر إلى زاوية الحديقة لأرى خياله يقف هناك بأدب، فأدرکت أن (جَمَنون) نفذ وعده، فأنا منذ بداية السهرة رأيت الاختلاف على (مها)، لذا سألتها، والآن أراه يقف بعيدًا، فسألت (جَمَنون):

- إنه يقف بعيدًا، ألن يرحل؟

أجابني بحكمة:

- لأنه عاشق شعرت بصعوبة أن يرحل، ولكن أمرته بأن لا يؤذيها ويفسد عليها حياتها.

طأطأت رأسي متفهمة، فجأة هتفت (مها) متذكرة:

- آه (منى) رأيتُ حلمًا غريبًا منذ أربعة أيام، وأنتِ كنتِ موجودة فيه.

أنصتنا لها وهي تحكي قائلة:

- كنت أرتدي ثوبًا مغبرًا، وأشعر بوهن شديد، دخلت قصرًا فسيحًا ورأيتكِ تجلسين على كرسي مثل العرش، تصميمه كالأفلام التاريخية، ولكن نقوشه غريبة وجميلة، وترتدين ثوبًا من الحرير الأبيض طويلًا، وأكمامه طويلة ومقصوفة، وعلى خصركِ حزام من الذهب، وتوشحين بالذهب والمجوهرات، والعجيب تزينين رأسكِ بتاج أشبه بالفراغنة، كنتِ آية في الحسن والبهاء. اقتربت منك مذهولة فابتسمت وقلتِ لي: «اقتربي يا (مها) ولتغتسلي هناك». نظرت حيث

أشرتِ فوجدتِ المغاسل المخصصة للوضوء، ومكانًا به دش للاغتسال. ذهبت هناك واغتسلت بالكامل، وتفاجأت بفتاة تحمل لي منشفة وثوبًا أبيض ناصعًا، جففت نفسي وارتديت الفستان، وعدت عندك فقلت لي: «الآن عُسلت أوجاعك، عليكِ بالوضوء والصلاة فهي لكِ نجاة». فجأة رأيتك تلتفتين على يسارك، وتحديثن أحدًا بلغة لم أفهمها! ولم أسمع أو أر من معك، ثم استيقظت ذاهلة! ومن يومها وأنا أشعر بالراحة، ما معنى هذا؟

نظرت نحوي (سمية) نظرة ذات مغزى،بادلتها النظرات ثم قلت لها:

- مثلما رأيتِ، عليكِ بالوضوء والصلاة ليشفيك اللهُ من المتمرّد (غدفان).

صمتت لحظة ثم قالت بحيرة:

- ولماذا كنتِ على عرش وترتدين كالمملكات؟ ثم مع من كنتِ تتكلمين؟ ما معنى هذا؟

قلت مراوغة:

- ربما كنت أتحدث مع ملاك ينصحني بتوجيهك للصلاة، وربما كان منظري كالمملكات لأن الصحة تاج، ثم أنتِ تسألينني وكأنني كنت معك حقيقة.

هنا ضحكت واستطردت مداعبة:

- ما أدراني بذوقي وأنا في منامك؟ ولماذا أرتدي هذا وذاك؟ لعلكِ رأيتِ آمالي الخفية؟ ربما سأتزوج أميرًا أو شيخًا.

ضحك الجميع و(سمية) كادت تشرق بقهوتها، وهي تدرك أن المزاح غالبًا ما يحمل بين طياته الحقيقة.

انتهت السهرة وعدت إلى منزلي سعيدة بنعم الله عليّ، حامدة له أن رزقني العظيم

والمحب (جَمْنون).

في إحدى الليالي، كنت أتابع فيلمًا أمريكيًا ممتعًا مع (جَمْنوني)، ولكن يبدو أن السهر أجهديني، فجأة وجدت نفسي في ساحة قصر كبير وهناك رأيته، والد (جَمْنون) بهيبته ووسامته يرتدي ثوبًا أبيض بكتف واحد، ذكرني بالإغريق، وكان في يديه أساور من ذهب، وعلى رأسه تاج، اقترب مني والحقه في عينيه وقال لي معاتبًا:

- لم أعد أرى ابني، أعيديه إليّ.

تقدمت نحوه بحب وقبّلت كتفه ورأسه، ونظرت في عمق عينيه وقلت:

- إنه مشغول بالفتوحات ليرضيك، ولكنه سيزورك حتمًا، فأنت والده وهو يحبك جدًا.

زَمَّ عينيه في صدمة من جرأتي على الاقتراب منه وحديثي معه، فجأة رحل وتركني لأجد نفسي نائمة على الأريكة والفيلم الذي كنت أتابعه قد انتهى، عدلت من جلستي وناديت (جَمْنون) الذي لم أشعر به عندما أفقت، وما هي سوى ثوانٍ حتى عاد وهو يقول ضاحكًا:

- صح النوم لقد فاتتك نهاية الفيلم، ولكن لم أشأ أن أوقظك.

ابتسمت وقلت له وأنا لا أزال تحت تأثير لقائي بوالده:

- لقد رأيت والدك.

قطب جبينه واقترب مني، وشعرت برأسه على رأسي، صمت، إذ أدركت أنه سيرى ويسمع كل ما مررت به.

قال لي بهدوء:

- لا تقلقي فأنا أستطيع التواصل معه بسهولة، ولكنه يطمع بأن أنتقل للعيش معه، يبدو أنه صار شديد الفضول تجاهكِ.

قلت خائفة:

- بشكل سلبي؟

ابتسم قائلاً:

- لا أظن يا (منيتي) ولكن دعي الأيام تكشف عن ذلك.

كنت أشعر بالأمان والحماية لي ولأطفالي، ولكنني اشتقت إليه، مر وقت طويل لم ألتق به، صحيح أنه جواربي ومعني في كل لحظة إلا أنني اشتقت أن أرى وجهه الجميل والمسّه، قلت له باكية ومعاتبه:

- لماذا لم تحضر لزيارتي؟ اشتقت إليك.

زفر بهم وقال:

- حضرت إليك متمرّدًا، ولكن أنتِ إذا زرتني فهذا الأمر من شأنك لا عتاب فيه من عائلتي، وأيضًا أخشى أن أثقل عليكِ الحضور فيتعب جسمك.

صمت لحظة أتفكر، نعم إذا حضر حقيقة فأنا أشعر بطاقته هائلة تكاد تفصلني عن العالم، ولكن الحب وشعوري بالانتماء له يجعلاني أتأقلم على حضوره، أخبرته بذلك فقال شارحًا:

- أحيانًا جسمك وروحك يتقبلان الحضور بخفة وسهولة، وأحيانًا أحاول التواصل معك ولكن جسدي يتألم فأنسحب، يا حبيبتي لا تستعجلي على شيء مهما كان حلًا، فكل شيء في وقته الصحيح.

سكتت وتقبلت حجته على مضض، فماذا أفعل بقلبي المشتاق؟ ماذا أفعل به؟

نمت في أحضانه وقلبي ملتحاق يشتاق إلى رؤيته بأي وسيلة، كنت أقف في صلاة منزل والدي وهو جالس هناك وإخوتي حوله، نظرت نحوهم بحب ولكن قلبي كان منفطرًا، وجل تفكيري هو (جَمْنون)، لا أحد يستطيع أن يملأ مكانه، حتى وأبنائي يحيطون بي إلا أن قلبي لا يزال منفطرًا.

خرجت إلى حديقة والدي أتأمل السماء بنجومها، وقلت أخاطب السماء:

- يا الله، مهما كنت محاطة بأحبائي الذين أسألك أن تحميهم لي من كل سوء، إلا أن قلبي محتاج إلى رؤيته فارزقني نعمة رؤيته والحياة معه حياة حقيقية كاملة، دون اختفاء أو انقطاع.

نزلت دموعي رغمًا عني، فجأة رأيت فتى في 13 من العمر، تقدم نحوي بخطوات خجلى وقال لي بأدب وطيبة:

- أترغبين برؤيته؟

نظرت نحوه وشعرت بأنه جني، ولكن راحة كبيرة غمرتني، فسألته من باب الحيلة:

- من أنت؟

قال بهدوء:

- الأسماء لا نذكرها، ولكنني ابن أخته فهو خالي.

شعرت بالطمأنينة أكثر، فاقتربت منه وقلت برجاء:

- أرجوك خذني إليه.

ابتسم برقّة ذلك الفتى الوسيم ووقف ورائي، وهنا شعرت بذراعيه تحيطان
خصري بسرعة لأجده يحملني طيراناً، ارتجف قلبي لحظتها لثوانٍ ثم طار فرحاً،
كان يطير بي ويرتفع وأنا لست خائفة، بل مبهورة بتجربتي لأرى بيت والدي
يختفي، ومعالم المدينة تختفي، لأتفاجأ ببيوت غير بيوتنا، وبحيرة زرقاء لا وجود
لها في عالم الإنس، ثم تخطينا البحيرة لتطالعي جزيرة خضراء، وضعني هناك
فارتجفت قدماي وأنا أنظر إلى الجن من حولي، وهم ينظرون إليّ بدهشة، نفضت
عن نفسي الذهول والريبة، وانطلقت باحثة عنه، دخلت شرفة في حديقة ذلك
القصر الكبير الذي كنت أقف في وسطه منذ لحظات، والفتى لم يعد معي، وجدت
نساءً يجلسن ويتبادلن أطراف الحديث، وعندما رأييني صمتن في ذهول! فقلت
بدون تفكير:

- أين (جَمُنون)؟ أرجوكن أريد أن أراه.

هنا دخل إلى المكان شخصان جعلاً أعناق النساء تشرّب نحوهما، التفتُ ورائي
لأرى ذاهلة والد (جَمُنون)! وبجواره رجل شيخ بهي الطلعة وله هيبة عجيبة! لا
أعرف كيف عرفت أنه جد (جَمُنون).. انطلقت نحوهما وجثوت عند قدم والد
(جَمُنون) وقلت مترجية:

- أرجوك دعني أراه، لقد اشتقت إلى رؤيته.

ثم جثوت لأمسة أقدام جده، وبكيت راجية:

- أرجوك دعني ألتق به، فلا حياة لي بدونه.

انحنى الشيخ وأمسك كتفي ورفعني نحوه، وابتسامة عذبة على وجهه، هنا قال
والد (جَمُنون) بحيرة:

- ألم يكفك وجود عائلتك وأطفالك حولك لتأتي باحثة عنه هنا؟

نظرت نحوه وقلت بصدق:

- هو وطني وعالمي كله.

نظر نحوي بحيرة فالتفت نحو جد (جَمْنون) الذي قال لي باسمًا:

- إنه هناك سيأتي الآن فأسرعي قبل أن تعودني إلى جسدك.

التفت نحو البقعة التي أشار إليها لأرى ذاهلة الرجال يركضون ويصطفون صفين بجوار بوابة كبيرة، والنساء تجمعن يهتفن:

- إنه قادم للتحية، إنه قادم.

وهناك انفتحت البوابة الكبيرة ليدلف منها (جَمْنون) وعلى رأسه التاج، وخلفه حرسه.

انحنى الجميع له طاعة واحترامًا ومشاعر الحب نحوه تغمر المكان.

عندما رأيت محياه البهي قفز قلبي عشقًا وجئت لأركض نحوه، ولكنني تسمّرت على بعد خطوات منه لأتأمله خوفًا من أن إذا اقتربت منه أكثر سيختفي كل شيء.

نظر نحوي باسمًا إذ قرأ أفكاري وفهم نظراتي وشعوري، فمد يده نحوي وأمسك بيدي، وسحبني بسرعة أمام الجميع لأستقر في حضنه، وهنا شعرت بأمان عجيب وسكنت روجي واطمأنت جوارحي، وشعرت بانتماء كشعور الانتماء إلى الوطن والعائلة، شعور دافئ غريب غمرني فغسل حزني وانفطار قلبي، لف ذراعه حولي وأنا في حالة سكر لا أرغب أن أستفيق منها، وقلبي ينتشي ويثمل بحضنه ورائحته وأنفاسه، الجن جميعهم تأملوا ملكهم الشاب وهو يصطفيني ويقربني منه، فلم يكن الاقتراب من سموه مسموحًا لأي أحد، فجأة وجدت نفسي أطيّر مبتعدة وهناك من يحملني قائلًا برقة:

- عودي إلى جسدي آمنة.

كان صوت ذلك الفتى الرائع الذي ساعدني، وجدت نفسي أفتح عيني لأرى سقف غرفتي ذاهلة! فهل كنت في إسقاط نجمي في عالمه؟ ولكن (جمنون) ذهب هناك.

نظرت حولي باحثة عنه، لم يكن موجودًا.

رغم التوتر الذي ألمَّ بي إلا أنني ضببت أعصابي وأنا أدرك أن هناك شيئًا أكبر من وعيي، وأنه سيعود.

بعد دقائق قليلة مرت كدهر، همس قائلًا وهالته العظيمة تحتويني:

- أنا هنا يا حبيبتي.

هتفت بلوعة:

- أنت معي لم ترحل.

قال ضاحكًا:

- لم أرحل، بل زرت والدي بجسمي الأثيري كإسقاطك النجمي، ولكننا نفعل ذلك بشكل أكثر وضوحًا وقوة، وأمور لا يسعني إخبارك بها الآن.

احتضني بدفء مستطردًا:

- ولقد زرعت في قلب جدي محبة لك، فقد رأى مخلوقة فوق العادة، مخلوقة مميزة مختلفة تستحق أن تكون معي.

ارتجفت سعادة وحبورًا، أخذت أبكي فرحة وأنا أردد له:

- أنا أنتمي إليك، أنا أنتمي إليك.

طاب خاطري أيامًا عدة لأني التقيت به، وفي إحدى الليالي، جلست جلسة تأمل، وبعد أن استرخى جسدي وانتظم تنفسي، شعرت بأني منفصلة عن الأرض، وفجأة شعرت بجيبي وكأن عظامه تتكسر وصوت تكسر يملأ عقلي لثوانٍ معدودة مؤلمة، بعدها سكن الألم ورأيت منزلًا فخمًا غريبًا يطل على شاطئ بحر، يتلألأ ماؤه تحت أشعة الشمس، وداخل المنزل الذي كنت مثل الكاميرا تراه من فوق، كانت شجرة عملاقة جميلة تتوسط ذلك القصر الغريب، وترتفع لتتجانس مع السقف، فجأة سمعت ضحكات لطفلين، خرجا من إحدى الغرف وركضا للنافذة ليشاهدا البحر معًا.

وبكل دهشة العالم رأيت نفسي واقفة هناك، أرتدي ثوبًا أبيض يحيطه حزام من الذهب يزين عنقي سلاسل ذهبية في طبقات مختلفة الطول، وشعري يلمع بصحة ووجهي مشرق جميل، اقتربت من الطفلين اللذين يبدو واضحًا أنهما توأمان صبي وبنت في الرابعة من العمر، عندما التفتا نحوي كانا كالبدر، ولاحظت أن الفتى يشبه (جَمْنون)، فجأة أمسكا بيدي وقالا: «ماما ماما، يا لجمال البحر!».

كنت منفصلة عن الواقع وأنا أشاهد هذا المنظر العجيب! والأعجب هو أنني التي أشاهدها، رأيت أنني ابتسمت لهما، واتجهت إلى منضدة عليها إبريق مزخرف للشاي، وكوبان غريبان مزينان بالزهور، وأخذت شبيهتي تسكب الشاي ثم تحمله لذلك الرجل الذي يلبس على ذقنه قطعة ذهبية كالتى يلبسها الفراغنة، وجلست شبيهتي بجواره فالتفت نحوها وإذ به (جَمْنون) يلتقط الصحن والكوب منها ويشرب منه، وهي تلتقط كوبها بالمثل، والطفلان يلعبان حولهما.

شعرت بثقل غريب والمشهد يبتعد ويبتعد، وألم في جبيني موقع العين الثالثة التي أظلمت.

فجأة فتحت عيني لأحدق في الفراغ أمامي وأهتف ذاهلة:

- (جَمْنون) ما هذا الذي رأيت؟

شعرت بجسده يرتجف بقوة، وعرفت أن قلبه ينبض بسرعة وعنفة وهو يقول
لاهتًا:

- لقد رأيت مشهدًا من المستقبل يا حبيبي.

انتفضت ذاهلة وقلت بذهول شديد:

- معقول هذا؟! أتقصد مثل رؤى الأحلام يرى الشخص مشهدًا مستقبليًا؟ أيعقل
هذا؟! لحظة لحظة، هل ذلك المنزل، وتلك أنا وأنت، وذاتك الطفلان، هما
طفلانا؟ أمعقوووول؟!

انتفض وقال متأثرًا:

- آآآه ما أجمل ما رأيت!

هزرت رأسي غير مصدقة قائلة:

- أتدرك ما رأيت؟ أنا أشرب الشاي معك وأراك بالكامل وبشكل طبيعي وكأنك
إنسان، وقد أنجبت منك، أيعقل هذا؟

قال باكيًا بفرحة:

- نعم يعقل يومًا ما.

هتفت بأمل والدموع تملأ عيني:

- (جَمَنون) أنت جني، فإن رأيتك فليس معنى هذا أن أراك 24 ساعة، وكل يوم،
أ يحدث هذا يومًا ما؟ يا رب السماوات والأرض، أ يكون هناك أطفال مني ومنك
يحملون دماءنا معًا؟ يا إلهي الكريم، أنا أرغب بذلك، أرغب بشدة، أحبك وأريد
أن أحيا معك عمري كله، وأن أنجب لك أجمل رابطة يجمع خصالنا، وأتمنى أن

يكون لأطفالي إخوة من الجن، ما هذه الأحلام العظيمة والصعبة والغريبة في الوقت نفسه؟

كنت ألهث فاحتضني بقوة من خلفي وهمس بغموض:

- اهديني اهديني، كل شيء في أوانه الصحيح، وما خفي كان أعظم.

استكنت بين ذراعيه وعيناي تلمعان شوقًا ولهفة للمستقبل الغامض الذي ينتظرنني.

(16)

المعجزة!

«إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»

قد تحدث المعجزات وتتغير الأقدار

كله إن أراد الله، فلا أحد يقدر على منع عطايه.

يهب لمن يشاء الذكر والأنثى

(تحكيها منى)

بعد ثلاثة أيام من مشاهدتي بيت الشاطئ وأنا نائمة قوة كبيرة ترغب في إيقاظي، تملمت مكاني ثم فتحت عيني الناعستين، (جَمُنون) لم يكن بجانبني، نهضت أمشي كالمخدرة بخطوات رتيبة حتى خرجت من جناحي، مشيت في صالة الدور العلوي حتى اقتربت من باب غرفة ابنتي (إيلين) وفجأة انفتح في الجدار المجاور لباب غرفتها باب جانبي شع منه ضوء أبيض.

أخذت أرمش بعيني لعلي أحلم، ولكن فجأة شعرت به خلفي، التفت بسرعة نحو الخلف لأجده هناك يقف جوار الدرج الذي يقود إلى الأسفل.

لم أصدق عيني وأنا أرى (جَمُنون) يقف هناك مبتسمًا ابتسامه رقيقة محبة تشفي العليل.

كان يرتدي ثيابًا خلابة أشبه ببدلات الرجال الفرنسيين من القرن الثامن عشر بألوان سوداء وبنية وبيضاء وتطريز من الذهب.

كان هو من دعاني وأنا نائمة لآتي إليه، وذلك الباب الذي فُتح كان بوابة أبعاد تنقل إلى عالمه.

أخذ قلبي ينبض بسرعة عشقًا وفرحًا وشوقًا.

التمعت أعيننا فاندفع نحوي يمسك يدي ويسحبني عائداً بي إلى غرفة النوم.

لم أصدق سعادتي! فهناك بين ذراعيه العاشقتين ذبت عشقًا.

وقبلاتنا ألهبت روحنا، وعلى عش الزوجية نسجنا العشق ومارسناه، وكأنني لست في هذه الأرض، بل كنت في سماء الحب أطيّر.

أكان حقًا؟

أكان حلمًا؟

عندما ترى الجنة هل سيستوعب العقل ذلك؟

لا يهم أكان حقًا أم حلمًا، المهم أنني عشت الشعور بحذافيره الساحرة.

نمت منتشية بين ذراعيه القويتين، ولكنهما حنونان، وفي عالم الرؤى أو ذلك البُعد الخامس الذي يسهل عليّ فيه أن أتواصل مع أرواح الموتى والجن، لذا وجدت نفسي أفق عند ضفة نهر وامرأة جميلة أعرفها فقد رأيتها من قبل، إنها (كيرا) الأخت الكبرى لـ (جَمَنون).

نظرت نحوها مترقبة لأراها تتقدم نحوي مبتسمة وتمسك في يدها علبة مجوهرات سوداء مخملية، فتحتها ليظهر داخلها خاتمان من الذهب مرصعان بالألماس، واحد بحجر ياقوت أزرق، والثاني بحجر ياقوت أحمر، يلتمعان بجمال باهر، ثم قالت لي برقة مهنته:

- مبارك أنتِ حامل.

بدهشة وفرحة هتفت:

- ماذا؟!!!! حامل؟!

قالت برضا:

- مبارك التوأمان.

انتفضت مستيقظة وقلبي ينبض بسرعة لأسمع (جَمُنون) يهتف بحماس وسعادة
لا منتهية قائلًا:

- مبالاااارك يا حبيبتي مبالاااااارك، أنتِ حامل بولي العهد وأخته الأميرة.

قلت وأنا أرتجف فرحة ورهبة:

- متى؟ منذ متى؟

قال وهو يقبلني:

- منذ دقائق.

قلت بدهشة:

- كيف؟ كيف عرفتم؟ أختك بشرتني.

قال برقة:

- نحن الجن نعرف منذ لحظة التلقيح، كانت ليلة مباركة.

لم تسعني الفرحة، وضعت يدي على بطني والدموع تسيل فرحة و(جَمُنون)
يهمس لي:

- إنه طفل المعجزة، الآن سيخضعون أكيد.

- أتعني لأن ولي العهد قادم؟ أتعرفون جنس الجنين منذ الآن؟!

لم أكن أراه كما حصل قبل ساعات، ولكني أشعر به وهو يضع يده على بطني، شعرت بدفئها حقيقة دون أن تكون مرئية.

قال برقة وأنا أشعر به يقبل بطني:

- حبيبتي ومنذ متى عالم الجن كالإنس؟ أو كانت قدراتنا متشابهة؟ نحن كأشعة إكس ري لديكم، أنتِ حامل بذكر وأنثى، وأخيرًا ثمرة عشق تحمل جيناتنا وصفاتنا معًا، أكبر شاهد على قصتنا يتناسل أجيال وأجيال، وتستمر سماتنا معًا تحيا في الأرض.

ابتسمت سعيدة جدًا وأسئلة كثيرة تزدهم في رأسي، قلت له متسائلة:

- كيف يكون الهجين؟ هل سآراه؟ أيكون مرئيًا؟ إنسانًا أم جننيًا؟ أخشى ألا يتم قبوله كولي عهد لأنه هجين وأمه إنسية، أخشى أن يجدوها حجة لتزواج جنية حتى يكون ولي العهد جننيًا مثلكم.

قال برقة:

- بالعكس هذا الهجين نسيمه العشير، وهو نتيجة المعاشرة بين الإنس والجن، والمحصلة مخلوق يملك سمات العالمين، إن العشير، أي ابننا، يملك صفات يتفوق بها حتى على والده القوي، سأشرح لك مثالًا لتستوعبي قصدي، أنا كجني أملك القدرة على التخفي طوال حياتي، وأقدر أن أتشكّل ويمكن أن أظهر أحيانًا، وأنتِ كإنسانة لديك القدرة على الظهور طوال حياتك، والآن تخيلي العشير هو سيكون جننيًا ردًا على سؤالك، ولكنه يملك القدرة على الظهور أمام الإنس والعيش بينهم لفترات طويلة دون أن يعرف أحد أنه جني، وليس كالجني الذي يظهر فترة معينة ثم يختفي، يملك عقل العالمين وشكله أجمل إذ إنه يكون جننيًا ولكنه قريب لملامح البشر، والآن الجن كما أخبرتك سابقًا أنواع، هناك القزم والعملاق، هناك الثعابين مقام عالٍ، وهناك السحالي، وأشكال من الجن قبيحة، وأنواع قريبة

الشبه للحيوان، وأنواع جميلة كالحوريات في القصص، وأما أنا فأنتِ رأيتني ورأيتِ قومي، نحن أقرب شَبْهًا للبشر مع اختلاف بعض التفاصيل، تمامًا كما أرى في أفلامكم مصاص الدماء الذي يكون كالبشر، ولكنه مختلف في أمور معينة حتى في منظره الخارجي، وهنا ركزي فالأمر هام جدًّا.

أصغيت السمع وركزت فكري وكل جوارحي لهذا الكم الهائل من المعلومات، وسمعته يستطرد في فخر قائلاً:

- العشير قادر بكل سهولة أن يحيا في العالمين، ويتواصل مع العالمين بكل سهولة، وعندما يكون والده عفرينًا، وأمه زهرية، تخيلي القوة الجبارة العظيمة التي سيتحلّى بها! أقسم إن أعدائي سترتعد فرائضهم إن عرفوا بحملك مني، لذا سأكثف عليكِ الحراسة وأنتِ (منيتي) لا تتركي صلاتك والتحصين، وأرجوك اهتمي بصحتك وأكلك.

قلت له ذاهلة:

- يا الله يا للعجب! (جَمُنون) ماذا أفعل؟ هل هي نفسها العناية مع البشر، فيتامينات وأكل صحي وهذه المدة تسعة أشهر؟ هل سيكبر بطني أمام الناس؟! شهقت هلعة للفكرة، ولكنه قاطعني قائلاً:

- لن يكون كبيرًا، بل انتفاخ بسيط لا يكاد يُذكر، والحمل ستشعرين به كالإنس تمامًا، لمدة أربعة أشهر وليس تسعة.

هتفت ذاهلة:

- كيف؟

أجاب بهدوء:

- الحمل قصير لكن النمو سريع كتسعة أشهر، معنى ذلك أن كل شهر يعتبر شهرين ونصف الشهر.

كان ما أسمعه أعجب ما سمعت! لذا قبل شفّي بلطف فشعرت بالراحة تغمري، ثم قال بحنان:

- أعرف أن الموضوع صعب الاستيعاب، ولكن مع الوقت ستأقلمين وتفهمين، مع الوقت والتجربة، المهم طاقم طبي سيأتي غدًا ليشرف عليكِ طوال فترة الحمل.

عقلي، عقلي يحاول أن يستوعب، وضعت يدي على بطني ومشاعر الأمومة تغزوني أضعافًا مضاعفة عن حملي بتوأمي البنات من قبل، رغم أنهما أول فرحتي وعن حب، لكن أن يكون في أحشائي طفلان الرفيق عمري (جَمْنون)! من قال إنها ثمرة حب؟ بل هما ثمرة عشق وهيام وجنون، حب لا حدود له.

سألته بقلق:

- وهل سأراهما؟ هل أستطيع تربيتهما؟

قال برقة:

- بالتدريج ستريتهما، أما التربية فلا تحملي همًا، لكل طفل معلموه ومربوه وخدم خاصون له، لا تنسي أنهما أميران.

ضحكت ذاهلة! فقد نسيت أن طفلي هما أميران! نسيت أن حبيبي (جَمْنون) ملك، شعور عجيب حقًا!

كنت سعيدة، بل طائفة من الفرح ومطمئنة لأن الناس لن يلاحظوا فرقًا على بطني، فالانتفاخ - كما فهمت من حبيبي - سيكون بسيطًا، وهذا أمر وارد عند

النساء أثناء الدورة الشهرية، أو انتفاخ القولون، أو زيادة بضعة كيلوغرامات، كنت أشعر، بل أجزم بأن الله سبحانه غمرني بنعمة ورزق، معجزة ثبتت قواعد قصة غرامي مع (جَمْنون) الذي أصبح زوجي شرعًا، والآن أَبًا لأطفالي، كم تمنيت لو أن أبنائي الإنس يرون إخوتهم من الجن يومًا ما.

همس لي (جَمْنون) بحب:

- نعم، يومًا ما في الوقت المناسب.

أخبار الحمل انتشرت، وأخبرني (جَمْنون) بأن سعادة غامرة عمّت القصر، والخبر المفاجئ أن والدته قادمة للعناية بي وبحملي.

ما أغرب اليوم عن الأمس، أمه التي حاربتني من قبل، ثم قبلتني على مضض، والآن قادمة لدعمي، فسبحان مغير الأحوال، والحمد لله أنه تغير للأفضل.

كنت أشعر بطاقم الممرضات حولي، ثم ذلك الحضور العظيم لأمه التي وضعت يدها على بطني فشعرت بشعور غريب! وهنا سمعت فجأة صوتها يتخاطر معي برقة وعاطفة لم أسمعها منها من قبل وهي تقول لي:

- ألف مبارك، إنهما كنز عظيم، عليك الاهتمام بصحتك، وابتعدي تمامًا عن الحزن وكل المشاعر السلبية.

قلت لها متلعثمة، متأثرة، مضطربة:

- آ... آ... بارك الله فيك، أنا، أنا سأحميهما بحياتي.

ثم صمتت لحظة وقلت ممتنة، والدموع تتمرد عليّ، وهرمونات الحمل أشعر بها تسيطر علي وأنا أقول لها بامتنان:

- أشكرك.. أنا الآن أشعر بأن أمي المتوفاة صارت معي.

نوبة بكاء عجيبة ألمّت بي و(جَمْنون) يحتضنني ويهدئني، هنا وبدون مقدمات وأنا أمسح دموعي قلت:

- يا ليت أمامي شمع العسل، بل سطلًا من العسل، كم أشتهي العسل.

نوبة من الضحك والبهجة حولي وهم يستمتعون بزوجة مولاهم الحامل وتقلباتها ووحامها، فجأة وجدت أمنيّتي محققة أمامي! كيف؟ لا أدري!

سطل من الخشب بداخله عسل وشرائح شمع الخلية، وصوت (جَمْنون) يقول بعشق كبير:

- كلي حبيبي، طلباتك كلها مجابة.

كانت عيناى تلمعان بنهم ونشوة، أخذت ألحس العسل من أصابعي و(جَمْنون) يتأوه بلطافة:

- يا حبيبي بالهناء والعافية.

وهكذا كان حالي بعد شهر فقط، ويا للدهشة! شعرت بحركتهما، بكيت فرحة وأنا أتلمسهما في بطني الذي برز بشكل خفيف لا يظهر من تحت الثياب، ولكن عندما أخلع ثيابي يبدو واضحًا للعيان، تكويرة بطن الحامل، هل هناك تعب؟ نعم يوجد، ولكنه خفيف جدًا لا يقارن بحملي بطفل إنسي.

لقد كنت أعمل ونشيطة، أكل أكلاً صحيًا وبشريّتي تزداد جمالًا، ومشاعر الأمومة تنمو داخلي أكثر فأكثر، أخوات (جَمْنون) كن في قمة اللطف معي، بعضهن يأتين للزيارة ثم يرحلن، والبعض مقيمات في قصر حبيبي (جَمْنون).

مرت الأيام بأجمل ما يكون من الاستقرار والهدوء، أنهيت ثلاثة أشهر أي ما يقارب بحسبة الإنس سبعة أشهر، وأنا نائمة في أمان رأيت خيال رجل يهتف بي شامئًا:

- أتُحسِن حَقًّا أُنْكَ انتصرت؟ انتظري فقط بعد أن تلدي، سنأخذ الطفلين ونرحل، ونتركك وحيدة، حتى هو أن أوان أن ينتقم منكِ لأنكِ تركته من قبل.

انتفضت غارقة في عرقي على سريري، وقلبي يخفق بقوة وذعر، وعينا ي شاخصتان إلى السماء.

- ما هذا التهديد؟

أخذت أصبح وأبكي حتى سمعني (جَمُنون) فانطلق نحوي جزعًا:

- ما بكِ؟ (منيبي) ما بكِ؟

كان يهتف بي بلوعة وأنا أصبح باكية:

- أتتركني يا (جَمُنون) وترحل بطفلي؟ مستحيل! أنتَ قد سامحتني ولا تضمّر الانتقام في قلبك.

صرخ هلعًا:

- ما هذه الخزعبلات؟! هرمونات الحمل جعلتكِ تهلوسين.

صرخت بحرقه قائلة:

- بل جني خبيث أخبرني بذلك شامئًا بي.

هتف (جَمُنون) بصدمة:

- ماذا؟! من يجرؤ على ذلك؟!

اقترب مني ورأى وسمع كل ما مررت به.

كان يرتجف غضبًا، يغلي، حتى شعرت بحرارة وسخونة تغمران سماء غرفتي، صمتت برهبة وأنا أدرك أن غضبه لا يرحم، فهو إن غضب كان لسبب يستحق الغضب ليخرجه من حلمه، أما من أغضبه، فعليه قد وقعت الطامة الكبرى.

اقترب مني فسمعت زفيره وهو يقول بصوت كفحيح الأفعى:

- لا تجعلي الحاقدين يزرعون الفتنة بيننا بعد كل ما مررنا به من تحديات وتجارب.

أخذت أشرق بدموعي وأنا أقول له:

- أعرف، أعرف أنا لا أشكك بك، ولكنه كلام مؤلم مؤلم، أشعر بأنه طعن قلبي بخنجر صدئ، وولداي (جمنووووون) ولداي، لن أعيش بدونهما، هل يرغب أهلك بأخذهم بعيدًا عني؟ ليربوهما في المملكة ب (سوريا)؟

زمجر من بين أسنانه غاضبًا:

- أنا الملك، أنا الأمر والنهي، لن يتربّي طفلاي بعيدًا عن أمهما وأبيهما ولو قامت الحرب، أفهمتِ؟ لكِ مني كلمتي ووعدتي.

على قدر ما ارتجفت خائفة من زفيره، على قدر ما ارتجفت حبًا لحمايته وقوته.

احتضني بقوة وقال غاضبًا:

- أما هذا الكاذب الخبيث فلأجعلنّه ينزف دمًا على الدموع التي نزلت من عيني حبيبتني.

ابتسمت بغرور الأنثى، وأنا أشعر بذراعيه تحيطان خصري ورأسي، ورائحة صدره العطرة تغمرنني.

أخذت أردد داخلي: لن تأخذني رحمة بذلك الخبيث الذي لم يرحم قلب أم ولا حملي وضعفي، ليشككني بـ (جَمْنون) ويزرع في روجي الجزع على طفلي، أيمزقه؟ أيسجنه؟ أينفيه؟ أيقطع رأسه؟ لا أهتم فليفعل به (جَمْنون) ما يشاء، ولكن الأهم الآن أن يعرف من هو؟ فقد كان واضحًا أنه تواصل مع جسمي الأثيري من بُعد بعيد.

خلف الحاجز

كانت (منى) تتمتع بكل لحظة في حملها وهي تشعر بهما يتحركان في بطنها، وقد عمدت أن تجعل ابنتيها وابنها يلمسان بطنها بحجج مختلفة، كأن تقول: ضعي يدك على بطني لتشعري بالدفء. أو: المس بطني وتذكر لقد كنت هنا، وهكذا.

كانت تدرك أن حبهما بعضهما لبعض أقوى من كل شيء لذا نسيت تمامًا أمر التهديد الذي حصل معها، ولم تسأل (جَمْنون) إن كان قد اكتشف الفاعل، وماذا فعل به؟

كانت تركز جهودها على الاستمتاع برحلتها الجديدة بحمل أطفال من (جَمْنون) وقد أصبحت تشعر بالثقل إذ اقترب موعد ولادتها.

عندما اتجهت إلى فراشها كانت ككل يوم تشتاق أن تنام بين ذراعي (جَمْنون) وأن تستكشف العوالم أثناء نومها.

وهكذا كان، إذ رأت نفسها أمام بحيرة كبيرة ومنطقة خضراء جميلة، ويقف أمامها مبنى أبيض كبير، غمرها الفضول أن تعرف ما بداخله، كانت ترى أناسًا يتجولون هنا وهناك، أما المبنى فلم تعرف الغرض منه، فأخذت تصعد طوابقه العديدة التي قد تكون فوق العشرين طابقًا، والغريب أنها لم تشعر بالتعب، حتى وصلت إلى سطح ذلك المبنى، فرأت سلمًا معدنيًا ينطلق من سطح ذلك المبنى ويتجه نحو السماء.

كان المنظر غريبًا! كيف هذا السلم ثابت وحده دون أن يرتكز على حائط ما؟ بل الأغرب هو رغبتها الملحة في أن تتسلقه وتصعد إلى الأعلى لترى المنظر من فوق، وبالفعل فعلت وكانت تصعد حتى استطاعت أن ترى البحيرة والناس حولها

كحشرات النمل، ثم لفت انتباهها سور كبير عملاق يمتد كحائط، يفصل تلك البحيرة والمبنى عما وراءهما، ولشدة ارتفاع ذلك الحائط الحجري لم تستطع (منى) أن ترى ما خلفه لذا أكملت الصعود أكثر وأكثر دون خوف، وهي ترى السحب تتمشى حولها حتى استطاعت أن تتعدى ارتفاع السور الحجري لترى أخيرًا ما خلفه.

لقد كانت مدينة مختلفة، أم نقول عالمًا مختلفًا؟ نباتاته ملونة بألوان عدة، ولاحظت شجرة بها أوراق ضخمة شديدة الخضرة قريبة من ورق الموز لدينا، ورأت تماثيل تشبه نوعًا ما تماثيل أبي الهول في مصر، ورأت أهرامات مبنية من الذهب فأدركت أنها قد رأت بوابة الأبعاد، وما خلف الحجاب، ما خلف ذلك الحائط، وكشفت المستور بين عالمي الجن والإنس، انكشف أمامها عالم الجن الذي لا يحق للبشر أن يروه.

خفق قلبها نشوة وسعادة ثم اتجهت نزولًا حتى عادت لترى عالم البشر وتلك البحيرة.

استيقظت من منامها وهي تدرك أنها رؤيا مبشرة لها بأنها ستتمكن يومًا ما من رؤية ذلك العالم دون ستار.

شعرت بأنفاس (جَمُنون) النائم جوارها، نظرت نحوه وهي لا تراه، لكنها رغم ذلك ابتسمت لأنها تدرك أن هذا الستار سيزاح يومًا ما وسترى حبيبها دائمًا وأبدًا.

مثلما كانت أسرة (جَمُنون) الحاكمة سعيدة بخبر حمل (منى) وقرب ولادتها، فهناك من كان يموت غلاً وقهراً وغيره.

في إحدى الليالي كانت (منى) نائمة بعمق، وفجأة رأت نفسها تقف في ساحة كبيرة وأمامها يقف النمران الذكر والأنثى أنفسهما اللذان أرادا أن يهجما عليها سابقًا ثم خافا من (جَمُنون)، ارتجفت وحاولت أن تتشجع ولا تخاف منهما، ولكن فجأة

تحول النمران إلى شخصين رجل وامرأة والشر يقده ويتطاير من عيونهما.

كشّرت المرأة عن أنيابها وزمجرت مثل مصاصي الدماء، وركضت نحو (منى) قاصدة أن تقطعها إربًا وبالمثل فعل الرجل.

صرخت (منى) بهلع وركضت لا تعرف أين تختبئ وهي تصرخ من بين لهثاتها:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

من بين الأعمدة المنتشرة في تلك الساحة الكبيرة، رأت مبنى فخماً يقف عنده رجل بهي الطلعة، طويل القامة جدًّا، قد يكون بطول 190 سم، ومن رداءه وعباءته الفرو الكبيرة، يبدو أنه رئيس الأساقفة لديهم، والجن أمامه يقفون في احترام. ودون أن تعرف لماذا وجدت نفسها تندفع نحوه وهي تصرخ به:

- أنجدي أنجدي!

نظر نحوها رئيس الأساقفة (البابا) بدهشة! ولم يشعر بنفسه إلا وهو يفتح عباءته لها، ركضت (منى) ودخلت تحت عباءته فغطاها، وهو يهتف محذراً للشباب والفتاة اللذين أصبحا على مقربة منه:

- ابتعدا حالاً فهي في حمايتي.

توقفت المرأة تزمجر قهراً و(منى) تنظر إليها شزراً من فتحة عباءة البابا.

كان واضحاً أنهما من علية القوم، ورغم ذلك - احتراماً لمقام رئيس الأساقفة، إذ إن له المكانة التي تخوله ذلك - تراجعاً بقهر، وهنا انتبهت (منى) إلى أن تلك الفتاة ما هي إلا (تاسيا) ابنة رئيس الوزراء، ويبدو هذا الفتى أنه أخوها.

بعد أن رحلأ أخرجها البابا ونظر نحوها بحنو وقال:

- عجيب أن أراك هنا! إذًا أنتِ الإنسانية والدة ولي العهد القادم؟ عودي الآن في رعاية الرب وسأراك قريبًا.

طارت (منى) حتى عادت إلى جسدها المادي فاستيقظت ثم ابتسمت وهي تتذكر ملامح ذلك الأسقف جيدًا من رحلة إسقاطها النجمي، وأدركت أن (تاسيا) عدوة لها يجب أن تجعلها تقف عند حدها وطموحها الزائف، ف (جَمُنون) لها ولن يكون لغيرها أبدًا.

(17)

العقد

قد يكون بين الأرواح

قد يكون بالدم

المهم هو ربط مصيرين معا والالتزام به

القمران والعقد

كانت (منى) تعرف يقينًا أنها على وشك الولادة قريبًا، كان (جَمْنون) يحيطها بحبه وعنايته، سألته وهي تشعر بالتوتر:

- حبيبي هل الولادة ستكون مؤلمة؟ أنا سألد في المنزل، من سيساعدني؟

رَبَّت على بطنها وقَبَّل وجنتها وقال بحنو:

- لا تخافي، طاقم طبي كامل معك، والتي ستقوم بعملية الولادة هي نفسها التي أشرفت على ولادتي.

هتفت (منى) بذهول:

- ما ااااا؟ كم عمرها؟

ضحك (جَمْنون) وقال:

- أنسيَت؟ أعمارنا طويلة، إنها طبيبة الملوك، وهي متحمسة أن تكون مسؤولة عن ولادة ثاني ولي عهد من بعدي، ابني، ثم لكي تطمئني فالآلام ليست كالأمك مع طفل إنسي، تمامًا كالفرق بين حملك بأبنائي عن الطفل الإنسي.

ارتاحت (منى) لحديثه، وذات ليلة رأت رؤيا واضحة كفلق الصباح، رأت في السماء قمرين بدرين منيرين، وصوت يقول لها: «ولادة القمرين».

نهضت وهي تشعر بالآلام تطلق خفيفة فهمست لـ (جَمْنون):

- (جَمْنوني) لقد رأيت قمرين في السماء، وسمعت هاتفاً يخبرني أنها ولادة

القمرين، أشعر ببعض الألم.

توتر (جَمْنون) وجاءت الطيبة تكشف عليها، كانت (منى) تشعر بلمساتها وحضورها وإن لم ترها، والغرفة صارت خانقة لكثرة من حولها، قالت الطيبة (الداية) ل (جَمْنون):

- مبارك مولاي، ستلد غدًا بإذن الله.

دمعت عينا (جَمْنون) وأخذ يتأمل (منى) بعشق مجنون، وهو لا يصدق أنها أصبحت زوجته وأمًّا لأطفاله أخيرًا، اقترب منها يقبّلها أمام الجميع الذين أشاحوا بنظراتهم، وهو أخذ يقبّل وجنتيها ويشم عبير بشرتها، وهي تقطب جبينها تستشعر قبلاته، همس لها مطمئنًا:

- يا حبيبي ومليكي، في الغد بمشيئة الرب ستلدين طفلينا.

ارتجفت (منى) رهبة وفرحة، وسمعت (جَمْنون) يقول بحماس:

- لا وقت لدينا، يجب أن تصل الأخبار إلى القصر بسرعة ليحضروا.

تساءلت (منى) بحيرة:

- من يحضر؟

ابتسم (جَمْنون) وقال:

- هناك بروتوكول متبع عند ولادة الملكة، يجب أن تحضر العائلة المالكة جميعهم وكبار المملكة الولادة.

هتفت بحرج:

- ماذا؟ أيحضرون كلهم عملية الولادة؟

قال لها بهدوء:

- لا تخجلي فلن يروا منك شيئاً، فهناك ستائر تفصلهم عنك، إنه لشرف عظيم أن يحضر المرء ولادة الأمير أو الأميرة، فما بالك بولي العهد؟

أخذت (منى) تتأمل كلماته، ثم قالت ساخرة:

- تذكرت (فرنسا) في الماضي كان هذا بالضبط ما يحصل عندهم.

قال لها (جَمْنون) بقلق:

- وهل يضايقك هذا الشيء ولا ترغبين به؟

تنهدت وقالت بحسم:

- أمرك هو أمري، وإن كانت هذه عاداتكم فلن أخرج عنها، ولن أعرضك لأي مشكلات، المهم أن ألد بالسلامة طفلين معافين.

أخذ يتأملها وهو يدرك أنها خلقت مَلَكة بالفطرة.

وصلت الأخبار إلى القصر، وفي ساعات الفجر كان والد (جَمْنون) وحاشيته، ورئيس الوزراء وعائلته، والوزراء والمستشارون وعوائلهم، ورئيس الأساقفة حاضرين.

احتضن (جَمْنون) والده الذي شعر بالتوتر فهو سيقابل الإنسية التي خطفت ابنه منه وجهاً لوجه على أرض الواقع، وليس بين الأبعاد الإسقاطية، والتي ستنجب الآن حفيده.

قال له (جَمْنون) بثقة:

- ستأتي (منى) بنفسها لترحب بكم.

ذهب (جَمْنون) إلى (منى) في غرفة نومهما وقال لها برقة:

- أمتعدة لرؤية والدي؟

سحبت نفسًا عميقًا وقالت برقة:

- هيا بنا.

خرجت (منى) من غرفتها وشريط تجاربها ومقابلاتها مع والد (جَمْنون) يمر أمامها، حتى أصبحت في الصلاة أخيرًا، وهنا شعرت ببرودة المكان وكهرباء تسري بها، التفتت وأخذت تنظر إلى بقعة بذاتها، وقالت متخاطرة مع (جَمْنون):

- والدك يقف هناك؟

ابتسم (جَمْنون) فخورًا بها وبقوة حدسها وقال:

- صحيح.

ابتسمت (منى) وقالت بصوت عالٍ:

- أهلاً وسهلاً بك أبا (جَمْنون) زارتنا البركة.

ثم استطردت قائلة للجميع:

- أهلاً بكم جميعًا، يوم ميمون بإذن الله.

ألجمت الصدمة الجن الزوار ليس لجرأة هذه الإنسية فحسب، بل أيضًا لشدة

جمالها ووهج نورها، كانت هالتها نورًا بالفعل، نورًا جميلًا أذهلهم فوق الكل في غرامها ما عدا الفتيات الحاقديات من الأسر الثرية اللاتي يطمعن في (جَمْنون).

دخلت (منى) غرفتها فقد كانت مجهدة، أخذت تضع يدها على بطنها تستشعر ركلات طفليها وهي تتخيل أنها لن تشعر بركلاتهما الأثيرة عندما يخرجان منها، كانت تفكر هل سأراهما والمسهما حقًا إذا وُلدا؟

عند منتصف الليل و(منى) مستلقية على فراشها، جاءها ألم الطلق وعرفت بحدس الأم أنها ستلد، وهذا ما أكدته الطبيبة.

شعرت (منى) بيد (جَمْنون) الحانية تمسك بيدها، فتشجعت واستعدت لتلد، كان الطلق والألم موجودين، ولكنهما مقبولان، وليس كولداتها السابقة مع أطفالها الإنس، لا داعي للمسكن ولا للبنج.

كانت تشعر بالدفء وصوت (جَمْنون) ينقل لها التعليمات والأخبار، سمعته يهتف بها:

- ادفعي (منى) إني أرى الرأس ادفعي.

هنا شعرت بخروج الطفل بلطف وسمعت صوت بكائه، ارتجفت ذاهلة بسعادة، و(جَمْنون) يهتف باكياً:

- مبابارك حبيبتي إنه صبي مثل القمر.

حملته الطبيبة وسلمته إلى (جَمْنون) والتبريكات من حوله تهتف بحماس، حملة (جَمْنون) قبّله ثم وضعه على صدر أمه (منى) وقال لها من بين دموع الفرح:

- هذا هو ابننا (ألسكندر) على صدرك، فأخرجي ثديك وأرضعيه.

فعلت (منى) ذلك وهي تبكي فرحة غير مصدقة، كانت تشعر بابنها وبرضاة

لحليبيها، أما ملمسه فكانت تشعر به لكنها لا تراه، ورائحة الدماء تزكم أنفها، وما هي إلا عشر دقائق حتى عاودتها الآلام وأخذت تهتف:

- سألد، سألد من جديد.

هنا حملت والدة (جَمْنون) حفيدها، وأخذ (جَمْنون) يهتف بسعادة:

- أرى رأسها ادفعي.

دفعت (منى) فشعرت بخروج الجسد الصغير بلطف، وسمعت صوت بكاء الطفلة و(جَمْنون) يهتف بسعادة:

- أميرتنا الصغيرة، ها قد وصلت.

حملها (جَمْنون) من الطيبة وقبّلها وفعل بالمثل كما فعل مع أخيها، وضعها على صدر (منى) وهمس لها باكياً:

- أرضعيها يا حبيبتى، فهي على صدرك، مبارك ولادة (ساندرا).

همست (منى) مجهدة:

- (السكندر) و(ساندرا)، ما أجمل اسميهما! مبارك يا حبيبي أصبحت أبا.

كان يحتضنها والطفلة معًا وهو يبكي بدموع بللت شعرها، وقال هامسًا:

- بل مبارك لنا.

تفاجأت (منى) بصوت والدة (جَمْنون) وهي تهنئها:

- مبارك يا ابنتي أنجبتِ طفلين مثل القمر.

لم تمالكك (منى) نفسها فبكت فرحة لمشاعر الدفء والقبول من أم (جَمْنون)،
نادتها بابنتها حقًا؟

هنا سمعت صوت والد (جَمْنون) بدهشة يقول لها بصوته الرخيم:

- مبارك لقد قطعتِ شوَّطًا عظيمًا.

ثم (تيانا): «مبارك يا حبيبي لقد أصبحت عمّة لأجمل طفلين».

انهالت التبريكات و(منى) في حال من الدهشة وعبارة: «لقد قطعت شوَّطًا
طويلاً» تداعب مشاعرها وتسعدّها.

نامت (منى) مجهدة، وبقي (جَمْنون) بجوارها لا يتركها لحظة، أما الخدم فقد
نظفوا كل شيء وبدلوا ثيابها، والمربيات كلُّ انطلقت لمهمتها في العناية بالأمير
ولي العهد والأميرة.

الفرحة لا تسع الجن وهم الذين يُقدرون قرابة الدم بقوة وإخلاص، وأطفال (منى)
الإنس الآن لهم مرتبة تختلف، فهم إخوة لولي العهد من والدته.

كانت الاحتفالات على قدم وساق، و(منى) تشعر بالوفرة ومشاعر الحب تحيطها،
كانت ترضعهما معًا، لم تكن تحملهما، بل كانت المربيات يفعلن و(جَمْنون) معها،
تشعر بهما وقلبها يطرب لوجودهما، وعندما كانت نائمة وحان وقت الرضاعة،
سمعت (جَمْنون) يهمس لها:

- حان وقت الرضاعة يا حبيبي.

فتحت عينها بكسل فرأت طفلها الجميل وكأنه يسبح في الهواء، كان أميرها
ملفوفًا ببطانية بيضاء ووجهه كالبدريشبه (جَمْنون).

لم تكن ترى من يحمله، ولكنها رأته هو، فز قلبها فرحة وأخذت ترضعه وهي

تشعر بوجود أخته التي لم ترها، ولكنها متيقنة أنها ستراها حتمًا يومًا ما.

كان اليوم السابع هو وقت الاحتفال الأعظم بالطفلين، وله برنامج وطقوس معينة، منذ الصباح الباكر كانت (منى) متجاوبة تمامًا مع كل تقاليدهم وعاداتهم.

كان لكل طفل عرابه وعرابته، فكانت الأخت الكبرى (كيرا) هي عرابة ولي العهد، أما عرابه فكان ابن عمه (جَمْنون) المخلص (شامر)، أما عراب الأميرة (ساندرا) فكان زوج الأخت الكبرى، وأما العرابة فكانت أخت (جَمْنون) الغالية (تيانا)، وهذا اختيار حكيم من (جَمْنون)، حتى تكون مشاعر المحبة والحماية ليست لطفل بعينه وكأن الأخت الكبرى وزوجها يهتمان بالطفلين وهكذا.

في اليوم الأخير سمعت (منى) والد (جَمْنون) يقول لها:

- لقد حققت حلم مملكتي، وأنجبت ولي عهد عظيمًا، فسماته باهرة، كوني بخير.

ارتجفت (منى) غير مصدقة لتحول الأحداث، يا لها من معجزة! فهذان الطفلان مقدم سعد لوالديهما.

هنا قال لها رئيس الأساقفة:

- أخبرتك بأنني سأراك قريبًا مولاتي، فكوني بخير.

تذكرت لقاءها معه في إسقاطها النجمي.

شكرتهم (منى) على مشاعرهم الدافئة.

قالت لها والدة (جَمْنون):

- لا تجعلي أحدًا يحبطك، ولا تجعلي ابني يبكي حزنًا، اهتمي بصحتك وبطفليك، وأنا سأبقى معك شهرين إضافيين لأنتبه لهما.

امتنت (منى) لهذه الرعاية والحب وشعرت بالأمان.

بعد أن رحل الزوار مع والد (جَمْنون) بقيت أمه، وأربع من أخواته بأزواجهن وأبنائهن، والحاشية والوزراء ومستشارو وجنود (جَمْنون) الملازمون، شعرت (منى) بأن الأمور عادت لروتينها، ولكنها صُعبت في اليوم التالي عندما قال لها (جَمْنون) بصوت فرح:

- (منيتي) لقد حظيتِ بحبة وقبول والدي، فهو قد أرسل عقدًا لكي توقعي عليه علامة على قبولك في عائلتنا، يا إلهي! لقد نلنا جزاء صبرنا أخيرًا.

قالت (منى) متوجسة خيفة:

- عقد؟ ما هو هذا العقد؟

قرأ (جَمْنون) أفكارها فانفجر ضاحكًا، وقال من بين ضحكاته:

- لن يكون عقدًا مع الشيطان كأفلام الرعب التي تشاهدونها.

احمرَّ خدًا (منى) حرجًا وقالت بحرج:

- لا، كيف؟ أكيد لا.. أنا لا أشك فيك.

ابتسم ساخرًا وقال مداعبًا:

- لا تنكري مرَّ هذا الخاطر لثوانٍ في مخيلتك.

ابتسمت (منى) خجلًا وقالت ضاحكة:

- إنه العقل البشري وتصوراته، أكيد سيمر على بالي أفكار شتى، وإن كنت لا أعنيها بقلبي.

ضمها إلى صدره وقال بحنان:

- حبيبتي الإنسانية التي تحارب لتفهم عالمي المعقّد، إنه عقد يحمل الولاء والالتزام، وانضمامك الرسمي إلى عائلتي فقط لا غير.

طأطأت رأسها ممتنة لنعم الله عليها، قال لها (جَمْنون) بحماس:

- والآن هل أنتِ مستعدة؟ الكل بانتظارك والعقد على مكتبك.

توترت (منى) من هذه التطورات السريعة في حياتها، اتجهت معه ووصلت إلى مكتبها ولم تر شيئاً!

بحيرة قالت:

- (جَمْنوني) أنا لا أراه، كيف أوقع على شيء لا أراه؟

قال لها برقة:

- ركزي بصيرتك وانظري أمامك.

فعلت ما طلب منها، وفجأة رأت كالخيال شخصاً يحمل صينية من المخمل القرمزي وعليها صحيفة أشبه بلون ورق البردي، كانت مفتوحة وبجوارها قلم، لكنه لم يكن قلمًا به حبر، بل رأسه دبوس حادّ، كل هذا رآته وبالألوان لكنه شفاف كالخيال.

رأت الصحيفة تطير وتصبح أمامها، والقلم يطير حتى وصل إلى يدها، هنا رأت يد حبيبها (جَمْنون) تحمل القلم وتضعه في يدها اليسرى وهو يقول برقة:

- اغرسي رأس القلم في إبهامك الأيمن ووقعي حيث أشير لك.

نظرت نحوه، لم تكن تراه ولكنها ترى فقط يده الحبيبة، وكانت هي الأخرى شفافة.

ابتسمت بدفء لمرأى يده الغالية، نظرت نحو العقد لتقرأه فأت حروفه وكلماته بلغة لا تعرفها، ولكنها شعرت بأنها تفهم معانيها نوعًا ما، لذا سألت (جَمْنون):

- أشعر بأنني أعرف محتوى العقد، ولكن، ما فحواه بالضبط؟

قال لها بجدية:

- أن لا تتزوجي بشريًا وأي رجل غيري، فأنتِ الآن زوجتي.

ابتسمت (منى) بثقة وقالت:

- هذا سهل ومؤكد مليون بالمنة، هل تتوقعون أنني سأتزوج إنسيًا بعد أن أصبحت زوجة ل (جَمْنون)؟!

قال لها بجدية:

- لأن البشر بطبعهم الغدر، وكم عقدًا وقعه إنسي مع جنية عاشقة وأخلفه، فلا تلومهم على شكهم.

قطبت (منى) جبينها وأدركت أنهم لا يثقون بها 100% كما يفعل (جَمْنون)، ولا تستطيع لومهم لذا ابتلعت الإهانة وقالت:

- وماذا بعد؟

- أن تتولي مهامك كأم لولي العهد ولأطفالي، أن تقومي بواجبات الملكة من رعاية شعبها ومهام القصر وأن...

أخذ يملئ عليها الشروط وهي في حالة خدر ودهشة: «ملكة؟» «شعب؟» «مهام

تربية؟» وغيرها من الأمور التي تتمنى حقًا أن تحكم وتربي وتقيم العدل وتفعلها، ولكن كيف؟

سمع (جَمْنون) كل تساؤلاتها وخواطرها، أمسك يدها الممسكة بالقلم وقال مطمئنًا:

- مليكتي سيحدث في وقته، والآن أتقبلين بشروط الانتماء لعائلي؟

ابتسمت بثقة وقالت بعزم:

- أقبل وأقبل، بل وأكثر أن أسكنك وأبنائي داخل ضلوعي وأحميكم بحياتي.

قالتها فارتجف (جَمْنون) تأثرًا وهي تقول له:

- ساعدني لوخز إصبعي.

وجَّهت رأس القلم الذهبي و(جَمْنون) يمسكه معها نحو إصبع إبهامها الأيمن، وخزاه معًا وهنا ولددهشتها شعرت بالوخزة ورأت نقاط الدم تخرج منها، ثم و(جَمْنون) ممسكًا بيدها وجهها لمكان البصمة، ففعلت، وأمام عينيها المتعجبتين رأت الصحيفة تُطوى وتختفي، وسمعت هتاف الجن المرحين بها والفرحين، شعرت برعشة فرح تغمرها، و(جَمْنون) يقبلها ويقول لها بصوت متأثر:

- أنتِ الآن رسميًا زوجة ملك، وأم ملوك، وملكة يا مليكتي.

ارتجفت ركبناها ولم يستوعب عقلها هذا التتويج العجيب! لكنها تركت الأمور تسري بما يشاؤه الله، والأيام كفيلة بأن تريها العجائب! وأن تؤدي رسالتها الحقيقية في هذه الحياة أكثر فأكثر.

العشير الأول

(يحكيها جَمُون)

الطفل العشير الأول في مملكتي كان طفلنا (السكندر) وطفلتنا (ساندرا)، وكما رأى علماء الفلك لدينا، فهذا الابن سيكون صفقة قوية في وجه أعدائنا، إن والذي قد طرب لولادته، وقد أعجب بـ (منى) وأذهلته قوتها، فقد قال لي بالحرف الواحد: «إنها حقًا ستكون ملكة عظيمة، إنها حقًا امرأة مميزة».

أتأملها وأتأمل طفلي، وأنا أرغب بأن أبتلعهم داخلي لشدة شغفي بهم، زوجتي (منيتي) حبيبتي وابني القمرين.

كانت أُمي متحمسة ولم تمنع وجود ملكة من بعدها من عالم الإنس، فـ (منى) جعلت ابنها الأثير يتحمس لملكه ويفتح أراضي كثيرة، وأنجبت لها قرّة العين.

الآن ملكنا في أوجه، وكلما قوي الشيء زاد حساده.

كنت أخشى عليها، إنها لا تدري ما الخطر المحدق بها! رغم أنها قد واجهت أمورًا عدة، ولكن ما خفي كان أعظم إلا أنني واثق في قوتها ونورها الغامر.

قالت لي في إحدى الليالي:

- أنت خلقت من ضوء القمر.

فقلت لها هائمًا:

- بل أنا خلقت منك منذ القدم، منذ بدء الخلق، وأنا مخلوق منك، أنتِ أُمي وأبي،

أنتِ عشيرتي، أنتِ المركز، أنتِ لي محور هذا الكون، أنتِ الطموح والهدف، حبي
لكِ عبادة، وما العبادة في العشق إلا حلال. فأنتِ المأكل والمشرب أنتِ النفس
والروح، أنتِ الأساس والفروع، وكل التفاصيل هي أنتِ، والبداية والمنتهى، وكل
شيء.

أنا وأنتِ روح واحدة

تحيا معًا

تفنى معًا

دعيني ألتحم في ثناياك

دعيني ألتف على عروقك

وأجري منك مجرى الدم

أتعبد في محراب عينيك

أتنفس الهواء من رثتيك

أمتص العشق منك مصًا

عندما تنامين أستمع إليك

لأعظم موسيقى تعزفها روحك

يهتز لها قلبي هزًّا

أنفاسك الصاعدة والهابطة

نبضات قلبك الثائرة

تنتزع العشق مني نزعًا

همهمات شفتيكِ النافرة

وأنتِ في ضلوعي نائمة

تنسيني الدنيا والخلق

فأعيش الحياة لك وفيك

أقبل السعادة بين رجلتيكِ

وأنزف الأشواق لكِ نزفًا

أحيا الحياة معكِ

وأفني روحي بكِ

من يوم الميلاد وحتى اللحد

كانت تهيم بكلماتي وبني، أعظم أنثى عاشقة قالت لي متغنجة:

- أرغب أن أدخل جسديك وأسكنك.

ضحكت منها وتعجبت لأمرها! صغيرتي المجنونة المختلفة، سألتها:

- لماذا؟

قالت وعيناها تلمعان عشقًا:

- لأني الآن فقط فهمت وأدركت لماذا سكنت جسدي، لأن العشق المجنون كعشقنا يجعلنا نرغب أن نغوص في عمق العمق، أن أنفَس هواءك وألتصق بك، وأحيا في عروقك وأعيش بك، الآن فقط فهمت لماذا الجن العاشق يفعلون، ويا حبيبي أنا لك متاحة بالكامل، افعل بي ما تشاء، واسكني وقتما تشاء، وإن كان هناك خطر عليك من أحد، فجسدي لك هو الحصن المنيع.

قبَلتَها بجنون وتأمَلتَ عينها العاشقتين، ونور الصدق يشع منهما، قلت لها صادقًا:

- ربما في لحظات ما، أوقات ما، حالة حرجة ما، ربما، ولكنني الآن لن أفعلها كما وعدتك سابقًا، وأنا عند عهدي.

هي حبيبتي وأقسم أن أدافع عنها بروحي، فهي روحي، لذا عاقبت كل من اعتدى عليها وآلمها حتى لو كان ذا منصب كبير فقد نال عقابه، فأنا لم أسمح ولن أسمح لأحد بأذيتها وأذية طفلينا، وحتى أطفالها الإنس فأنا لهم أب حامٍ، وأقسم أن أحمي ذريتها جيلًا بعد جيل، فأنا جني عاشق حر، والجن هكذا يفعلون ويلتزمون.

(18)

القوة والقدرة تحميانك من الشر

الثروة والذهب قد يسلبان العقل

بريق المال يزيغ الأبصار

ولكن قوة الحب لها اليد العليا

إغراء الذهب

(تحكيها مني)

كنت أتذكر بيت الشاطئ وطفلي التوأمين وأنا أرضعهما، تمنيت أن يعرف أبنائي الإنس بهما، بل تمنيت أن أخبر (سمية) عن ذلك إن سمح (جَمْنون) والحمد لله سمح لي.

عزمتها عندي الليلة فأحضرت أطفالها ليسهروا مع أبنائي، وكنت محظوظة أن ولادتي صادفت إجازة العام، أخبرتها فأصابها الدهول، وفي الوقت نفسه العتب لأنني لم أخبرها من قبل أثناء حملي، وأيضًا أخذت تهتف فرحة:

- أنا خالة أبناء (جَمْنون) يا الله ما هذا العجب؟! أينجب الإنس حقًا من الجن؟

ثم أمطرتني بتساؤلات لا عدد لها، كما فعلت أنا من قبل مع (جَمْنون)، وأخذت تبارك ل (جَمْنون) وتصرخ حماسًا عندما أرضعهما، كنت ممتنة جدًا لله أن جعل إحدى أخواتي تدرك وضعي لأشاركها قصتي، فأن أعيش هذه التجربة الغريبة وحدي أمرٌ مجهد.

عندما رحلت ونام الأطفال، اتجهت إلى غرفتي لأنام، و(جَمْنون) قال لي مستأذناً:

- عندما تنامين سأرحل إلى مكثي لساعة فقط، فلا تخافي، لدينا خطط لمشاريع عدة.

أخبرته بحب واهتمام:

- أكيد لا تقلق.

- (حورس) حارسك سيأتي وينادييني إن حدث مكروه، لا قدّر الله، كما أن الحرس معك، فناهي قريرة العين يا حبيبتي.

ابتسمت ونمت قريرة العين فعلاً.

- أين أنا؟ ما هذا المكان؟

كنت في ساحة قلعة لا أعرفها وكأن شيئاً جذب جسمي الأثيري إلى هنا، بل هناك شيء يجذبني أن أدخل إلى تلك القاعة!

دخلتها فوجدت شيئاً يرفعي لأكون على منصة دائرية تطفو وتسمح بوقوف شخص واحد فقط، وترتفع عن الأرض مترًا ونصف المتر.

شعرت بأشخاص حولي كالحرص يقفون عند حائط وأبواب هذا المكان، وهناك نافذة كبيرة تجعلني أرى سماء الليل منها.

فجأة بدون مقدمات وجدت رجلًا وسيماً يقف أمامي، كان يرتدي عباءة سوداء وتحتها بدلة سوداء مطرزة بالذهب، نظرت إلى وجهه لعلي أعرفه، فهو لم يكن حبيبي (جمنون)، ولكنني شعرت بأنه عفريت من الجن، كان وسيماً له عينان سوداوان واسعتان، وشعر ناعم أسود فاحم، ويبدو أنه في الثلاثين من عمره، وله مكانة كأن يكون أميرًا أو وزيرًا، لم أشعر بأنه من مملكة (جمنون)، شعرت بأني في أرض تختلف عن أرض حبيبي التي قد زرتها، كانت هذه الدولة في (مصر) وليست (سوريا).

كنت في حيرة من أمري، أعدو هو أم صديق؟

اقترب مني وأخذ يتأملني في افتتاحان وطمع ثم قال لي بصوت مغناطيسي:

- ماذا تتمنين؟ الشهرة؟ المال؟ الثروة؟ الذهب؟ الصحة والعمر؟ كل هذا

أستطيع أن أمنحك إياه.

قطبت حاجبي مفكرة، إنه إغراء بالتأكيد، ولكن ما المقابل؟

نظرت نحوه مرتابة فلم أشعر بالراحة له وقلت:

- وما المقابل؟

ابتسم في لُزوجة واقترب مني أكثر، وكان لشدة طوله يصل إلى صدري رغم ارتفاعي عن الأرض، وقال مسبلاً عينيه في رغبة كبيرة:

- أن تتركه وتكوني معي.

ضربة قوية شعرت بها في قلبي فصرخت بذعر:

- أن أترك حبيبي وأكون لك؟! لا وألف لا.

قفزت من فوق تلك المنصة وأنا أجدف بيدي وقدمي في السماء راغبة أن أطير وأهرب من هذا العدو، كنت أطير متخبطة نحو النافذة المفتوحة وأنا أصرخ بأعلى صوتي:

- (جمنووووون) كيف أهرب من هذا العدو؟ أنجدني يا الله!

خرجت من تلك النافذة وأنا أسمع من خلفي الهرج والمرج، وذلك الأمير يسب ساخطاً، كنت أحلق في سماء تلك الدولة من عالم الجن والتي يبدو أنها موجودة في أرض (مصر)، كنت أطير وأنا أرغب في العودة إلى جسدي وألا أضيع هنا، كنت أتذكر كيف في كل مرة إسقاط نجمي أحد ما يخبرني بأن أعود إلى جسدي فأرجع بسلاسة، أما الآن فأنا وحدي.

كان الجنرال الحارس بقربي يشعر بأمر ما فأخذ يقترب من جسدي عندما بدأ

(حورس) يزأر في غضب، ركض (جَمْنون) نحوي ولمس كتفَي الباردين وهمس بهلع:

- عودي، عودي (منيتي) عودي!

كنت أظير ومعالم الأرض من تحتي بيوت وأشخاص، وحيوانات وهتافات، ومن بين ذلك تسلل صوته الحبيب إلى وعي «عودي، عودي».

فتحت عيني وأنا في جسدي على فراشي غارقة في عرقى البارد.

ضممتي (جَمْنون) بقوة وأخذ يهدئ من روعي ويسكن أنفاسي.

أخذت أنظر حولي، لا أراهم ولكني أشعر بوجود الحماية حولي والأهم تلك اليد الحانية التي أحبها وأعرفها، وكانت تربت على كتفي، وتمسدت على شعري، نفرت من عيني الدموع وهمست قائلة له:

- أحبك أنت ولا أبدل بك كنوز الأرض.

شعرت به يصمت ويفكر، اقترب مني ووضع جبينه على جبيني فأغمضت عيني واستسلمت له ليرى ما رأيت.

ما هي إلا لحظات حتى شعرت بجسده يغلي وتستعر نيرانه، ويثور كالبركان، وزار زئيرًا أقوى من أسدي (حورس):

- اللعنة عليك يا (ريتان).

همست له منهكة ومرتعدة:

- هل اسمه (ريتان)؟

نهري بصوت غاضب مخيف:

- لا تنطقي اسم هذا الحقير على لسانك الطاهر.

ابتلعت ريقى والفضول يغلبني:

- من هو؟ بدا لي كأمر لبلاد في (مصر).

لا رد يصلني سوى أنفاس نائرة، لذا آثرت الصمت واحترمت ثورته، وأعطيته وقته وتباحثه مع رجاله.

بعد دقائق شعرت به يحتضني بقوة وهو يهمس لي متأثراً:

- أنا فخور بكِ وبما فعلتِ، لم تغرك المباهج واخترت بهجة قلبك وأثبتت للجن أن هناك بشرًا يوفون بالعهد، ويخلصون في الحب، ولا تغيّرهم الأموال والمغريات.

قلت له صادقة:

- ولا يمكن أن أستبدل بك كنوز العالم كله.

صمت لحظات يقبلني بها، فابتسمت وقلت لنفسي: ولا أستبدل بهذه القبلات ذهب الأرض كله.

ارتعش جسمه إذ إنه قد سمع خواطري الذاتية كالعادة، ثم قال:

- الحقير يرغب أن ينافسني، ولكن مملكتي أقوى، ففكر بأن يأخذ في صفه امرأتي مصدر قوتي وشعلة قلبي ليكسر ظهري وشوكتي، ولكنه أخطأ الاختيار، فلست كباقي النساء، إن أمر قوتك وجودة ذريتك قد بدأ ينتشر بين الممالك فزاد الطمع

عليك، ولكنك أصبته في مقتل لقوة حبك وسرعة تصرفك وقدرتك على التحكم بجسدك والطيран.

همست مجهدة:

- احذرهم حبيبي، فأنا لن أسمح لأحد أن يمسه ويمس أطفالنا ومملكنا بسوء.

«رب ضارة نافعة»، هكذا المثل يقول فالجن من بعد تلك الحادثة قدروني أكثر واحترموني، فأنا الإنسانية التي قاومت الإغراء ولم تقم بالخيانة.

أما جنين هم إذ ظنوا لحظة أنني يمكن أن أفعلها؟!

همس لي (جَمُنون) واعدًا:

- كل ما وعدك به سأحققه لكِ وأكثر.

ابتسمت بنعومة وأنا أشعر بأنه كنزي العظيم وقلت صادقة:

- لقد أعطيتني أكثر بالفعل، فحب كحبنا لا يساويه شيء في الكون.

أحتاج تحديًا آخر لأثبت جدارتي بـ(جَمُنون)؟

أصبحت أتوجس خيفة إذا اتجهت إلى سريري، هل سيحدث لي إسقاط نجمي مفاجئ لعالم الجن؟!

لذا سألت (جَمُنون):

- كيف أفرق بين أي في إسقاط نجمي، أو أي انتقلت إلى عالمك أو أنني في منام ورؤيا؟

صمت لحظات ثم قال لي:

- الرؤيا تكون واضحة وتحمل رسائل معينة، كأن تري والدتك المتوفاة، وأمرًا يخصني أو يخص الجن، كبشرى، كتحذير وما إلى ذلك، أما الإسقاط النجمي فأنتِ تطيرين وترين نفسك في أماكن حقيقية بعيدة، سواء من عالم الإنس كقدومك إلى هذا المنزل وجسدك في (الرياض)، بل إنكِ ترين جسدك المسجى على فراشك، وتشعرين برغبة ملحة في العودة إليه، أو رؤيتك لعالم الجن، ولكنكِ تدركين أنكِ كالروح هائمة، أما دخولك إلى عالمي فأنتِ تشعرين بكل شيء حقيقي وملموس وكأنها رؤيا، ولكنها ليست كذلك، وكأنك بين الصحو والمنام، فترين غرفتك وتتنقلين بين أبواب الأبعاد، وفي الوقت نفسه تعودين إلى سربرك وتكملين نومك، أو تفتحين عينيكِ حقيقة ولكنكِ لا ترين غرفتك بل أثنًا مختلفًا، وترينني، وهذا كله قد حصل معك، أعرف أن أمر الرؤيا ودخولك عالمي متشابهان نوعًا ما، ولكن يا (منيتي) هناك دخول حقيقي بجسدك المادي مع روحك كأنك تسيرين نائمة ولكنكِ تسيرين حقيقة، وتدخلين لعالمي وتعودين إلى غرفتك من جديد، كما حدث معك من قبل عندما رأيتِ الجواري، وإنكِ الآن ستتمكنين أكثر وتزورين العالمين في صحوك وتتنقلين هنا وهناك.

قلت له بلهفة:

- خذني معك دعني أعش معك في عالمك، أراك وأرى أولادنا وكل لحظة.

صمت لحظة ثم قال بحكمة:

- سيحصل، ولكنكِ لن تبقي فترات طويلة وتفقدى عالمك هنا، أنا لست أنائيًا، كما أنا معكِ هنا، فأنا أكون أيضًا هناك، من حق أسرتك وأطفالك عليكِ أن تكوني حاضرة معهم، ومن حق طفلينا عليكِ أن تكوني أيضًا حاضرة لأجلهما، لذا يا سلطانة قلبي ستكونين مالكة للعالمين معًا قريبًا، قريبًا.

أخذت أفكر في كلماته بحماس، حتَّى سمعته يستطرد قائلاً:

- أمّا البصيرة والعين الثالثة فذاك أمر مختلف، فأنتِ ترين مشهدًا فجأةً أمامك كالصورة وكأنك كاميرا تسجل ذلك، سواء كنتِ مغمضة العينين أم لا، والآن هل أجبتُ عن تساؤلاتك؟

ابتسمت برضا وقلت:

- بل وأكثر.

استلقيت بين ذراعيه، وأنا أشعر بالنشوة لهذا الشعور، الذي كيف أصفه بغير العذوبة المطلقة؟ فما أجمل حضوره ووجوده! ومنطقه ولفظه وصوته وكل شيء فيه، كم أرغب أن أطرزه على جلدي، وأعقده في ضفائر شعري، فقد شغفني حبًا.

في مواجهة الشيطان

(تحكيها مني)

كنت أطيّر في سماء مُظلمة والبحر أسفل مني، بل إنه محيط، وبرهبة شاهدت حيتانًا ضخمة أسفل مني، مما سبب لي رعشة جعلتني أطيّر عائدة إلى اليابسة، ولكن مهلاً! أنا لا أعرف هذا المكان، ثم إن المنازل تصاميمها تختلف عما نراه في عالمناء، فهمت، ها أنا من جديد يسافر نجمي لعالم الجن، طرت ووقفت على أحد الأسطح، في تلك اللحظة دخل طفل صغير إلى سطح منزله وشاهدني فقال بدهشة:

- من أنت؟

ثم نظر خلفي وقال برهبة:

- هل أنت السلطان؟

ارتجفت وأدركت أن (جَمْنون) معي، هنا حملني من خصري وطار بي، إذًا هذا ليس إسقاطًا نجميًا، بل أنا زائرة لعالم الجن مع (جَمْنون).

شعرت بالراحة لمعرفتي بأن (جَمْنون) معي، كان يطير بي حتى وصلنا إلى غابة غريبة، ولكننا كنا لا نزال نحلق في السماء والغابة أسفل منا، ثم سمعته يهمس بحذر:

- عذرًا منك حبيبي، ولكن كان لا بد من قدومك هنا.

قَطَّبت جبيني، لماذا يعتذر؟ وهنا فهمت، فقد ظهر من العدم كيان غريب، كان

لرجل طويل قد يصل إلى 190 سنتيمتراً يطير في السماء، لم يكن يشبه الجن الذين رأيتهم من قبل، كان وجهه أشبه بوجه التنين، وله ذيل كالتنين، أما لونه فكان أبيض، وليس له شعر، بل توهج على هيئة شعر بلونه الأبيض نفسه وكأنه دخان، وكانت رجلاه أقرب إلى النسر، ويداه بشريتين، ولكن أصابعه طويلة بمخالب.

هتفت ذاهلة:

- ما هذا؟ أهو تنين؟

همس (جَمْنون) محذراً:

- بل من الشياطين العتاة ذات المقام الكبير في عالمنا.

ارتعدت داخلي في خيفة وذهول! ما لي وما لشياطين إبليس؟! ماذا يريدون مني؟ بل لماذا أحضرتني (جَمْنون) إلى هنا؟!

همس لي محذراً:

- لا تشتتي انتباهك وتذكري من أنت يا ملاك النور.

فجأة سمعت صوت الشيطان الجهوري الرخيم يهز السماء التي يطير فيها في مواجهتنا قائلاً:

- أيتها الإنسية أنا أتحداكِ.

قالها وبدون مقدمات جمع يديه وكأنه يمسك بكرة عملاقة، وما هي إلا ثانية حتى خرجت من راحتيه كتلة من النار المشتعل، كنت أظير مثله بمساعدة (جَمْنون) والنيران المشتعلة تلمع في مقلتي، وهنا شاهدته يلقي بالنار علينا، لم يراوغ (جَمْنون) ويهرب بي، بل إنه صرخ بي:

- اهجمي!

لا أعرف كيف عرفت آلية الهجوم؟ وكيف صدرت مني تلك القوة من داخلي في أعماق أعماقي؟ إذ صرخت شامخة وأنا أضرم يدي مثلما فعل الشيطان قائلة:

- الله أكبر منك فخذ.

كتلة من الضوء تجمعت بين راحتي يدي، كرة كبيرة أكبر من كرتة المشتعلة، انطلقت كتلة الضوء الأبيض المشع لتصطدم بكتلة النار، وبقيت الكتلتان في السماء تتصارعان حتى بعثرت كتلة الضوء كتلة النار.

فصرخ غاضبًا ليرميني بنار أخرى، فرميته بنوري.

رمي فرميت.

رمي مرة أخرى فرميت.

وهكذا تراشقنا الكتلتين من النور والنار حتى بعثر النور النار، وهنا نظر نحوي مجهدًا محبطًا، مذهولًا مصدومًا!

ورغم كبريائه هبط بسرعة متجهًا إلى الأسفل، لأذهل ب (جَمْنون) يلحق به، رأيته يجلس على حافة النهر القرفصاء ويضع جبينه على راحة يده، هبط بي (جَمْنون) فوقفت شامخة منتصرة أمامه وليس في قلبي ذرة خوف.

قال محبطًا بخذلان، وكان من شروط هذه الحرب أن يحقق المهزوم أمنية للمنتصر:

- اطلبي ما تتمنين.

لا أعرف كيف صرخت هذه الأمنية في حناياي لأنطق بها وأنا أصرخ غيظًا:

- أريد ألا يتدخل أحد أيًا كان بيني وبين (جَمُنون)، أريد أن أحيا معه وأعيش دون تفرقة من أي كان.

بكل هدوء واستسلام أجاب:

- لكِ ذلك.

أخذت أنظر نحوه بدهشة لاستسلامه التام، هنا شعرت بابتسامة (جَمُنون) الذي حملني فجأة وطار بي حتى رأيت بوابة مشعة لا أذكر متى عبرتها عندما جئت هنا، ولكن عندما اقتربنا لم أشعر باختراقي لها، وكأن وعيي اختفى لدقائق لأجدني بعدها على سريري و(جَمُنون) ينظر نحوي مبتسمًا، ورائحة الأعشاب التي كانت عند ذلك النهر لا تزال تلتصق بي وبه.

همست بحيرة:

- ما الذي حدث؟

كان وجهه العذب يشع نورًا وهو ينظر نحوي قائلاً:

- غلبت رسولاً من شخص عظيم ذي مكانة عالية في عالمي.

همست متعبة:

- إبليس؟

وضع إصبعه على فمي وقال:

- لا تقولي ولا تفكري، لكنك بقوتك أثبتت جدارتك بوجودك في مملكتي واتقيت شرهم.

كنت أهيم في ملامحه مفتتنة به.

من إبليس؟

من شعبه؟

من البشر؟

عن ماذا يحكي؟ وهو لا يدرك أنه ظاهر أمامي الآن!

أنا أمام القمر قد سقط من السماء بين ذراعي.

ارتجفت بقوة ورغبة ونشوة، ونبضات قلبي تؤلم قفصي الصدري، أخذت أتنفس بقوة وسرعة وإثارة، وأنا أمد يدي لألمس وجنتيه، أجفل للحظات إذ أدرك أنه مكشوف الآن أمامي وأني أراه! صمت وهو يتأملني مذهولاً فلم يكن يعرف أنني لا أزال أراه، وأنا قد أصبحت في بُعدي!

هنا ارتجفت وجنته واحمرّت خجلاً، وارتعشت شفتاه وأخذ ينظر في عيني عاشقاً خجلاً، همست ذائبة:

- أتخجل مني حبيبي؟

ابتسم بخجل وقال بصوت مختنق:

- لم أعتد على الظهور أمامك كثيراً.

همست راجية:

- لا تختفِ، لا تختفِ.

هنا فتح عينيه على رجائي وقد هزّته كلماتي فانحنى فوقي يقبّلي بعشق وذوبان

ولهفة جعلتني ألتهم هذا العشق التهامًا، وقلبي يرتجف غرامًا، ومن قوة مشاعرنا
ورعشة أجسادنا وأرواحنا، عقلي صار واعيًا فاختفت الرؤية من أمامي وإن كنت
لا أزال أشم رائحته العطرة، وأشعر بقبلاته وريقه العذب.

ابتسمت في هناءة رغم حسرة قلبي لاختفاء الرؤية، وسقوط الحجاب حاجزًا من
جديد بيني وبينه، لكنني كنت في نشوة اللحظة وامتنان لله لنعمة رؤية عفريتي
ولو لدقائق قليلة، لذا لم أجعل الإحباط يسيطر علي، بل انغمست أكثر في
عواطفنا ومشاعرنا المتقدمة، فكانت ليلة من ألف ليلة وليلة بعد معركة شرسة مع
أعتى أنواع الشياطين.

(19)

«ويخلق ما لا تعلمون»

الحيوانات قد لا تكون كذلك

والأساطير والمخلوقات الغريبة قد لا تكون أساطير

عالم آخر ومخلوقات عجيبة!

وهبة وعقاب

حُراس مفترسون

- حبيبتى.

هكذا همس (جَمْنون) ل (منى) فاستفاقت باسمه، لم تره، ولكنها شعرت به
يحتضنها من خلفها، فنظرت أمامها وقبل أن تأخذ الريموت كنترول لتفتح ستائر
النوافذ، رأت أمرًا عجيبيًا لا يصدق عقل!

كان أمامها رجل أبيض اللون له جناحان كالطائر، ولكنه يقف على قدمين كالبشر
وله أطراف بشرية إلا أن وجهه أشبه بالذئب وجسمه يغطيه الفرو الأبيض!

أخذت ترمش بعينها غير مستوعبة للمخلوق الذي أمامها، وكان بطول الرجل
العادي، ولكنه مزيج بين رجل وذئب وطائر.

رأت شيخ ابتسامة على وجهه، أراد أن يتقدم نحوها فهتفت به (منى):

- لاء، لاء... لا تفعل (جَمْنون) لا تدعه يقترب مني!

توقف الرجل الذئب مكانه، فقال (جَمْنون) برقة يهدئها:

- إنه حارسك الجديد، وإنه لشرف له أن يكون، وعليك أن تعرفي أن هذا النوع لا
يحرص إلا الصفاة.

قالت (منى) بصوت مضطرب:

- أشكرك على ذلك، ولكن له أنياب ذئب لماذا يقترب؟ أيتوقع مني أن أربّت على
رأسه.

جلجلت ضحكات (جَمْنون) في المكان، فأشار إليه بأن يتعد فأطاعه ووقف في زاوية الغرفة.

قال (جَمْنون) مداعبًا:

- لا تربتي على رأس أحد عداي، هذا حارسك الأمين، ماذا ستفعلين لو رأيت هديتي الأخرى لك؟

قَطَبت جبينها وقالت بتوجس:

- أهنأك أكبر وأعجب من أسد؟! ورجل ذئب مجنَّح؟

صمت (جَمْنون) يفكر ثم قال:

- ليس أعجب! ولكنه يزرع الرهبة بالفعل.

هتفت (منى):

- ماذا؟ ماذا أحضرت لي؟ لا أمانع الحماية، ولكن حراسك عجيبيون! اسمع، الجنرال أكثر من كافٍ فوجوده حقًا يسعدني.

في تلك اللحظة سمعت (منى) هرهرة أسد محتج على كلامها، فنظرت بدهشة صوب الصوت فرأت أمامها أسدًا رابضًا جوار السرير، ورغمًا عنها ارتعدت، ضمَّها (جَمْنون) بقوة وجسدها ينتفض وهو يهمس لها مهددًا:

- اهديني حبيبتي إنه مسالم وهو حاميك.

أغمضت عينيها وهي تتمتم:

- أعرف أعرف رغمًا عني سامحني، لقد فاجأتني رؤيته، سامحني يا (حورس).

بحنان أجاب:

- لا، لا تعتذري، في الدنيا كلها لا أحد يفهمك مثلي، افتحي عينيكِ فلن تري أحدًا الآن.

أطاعته، فطالعت غرفتها بظلمتها التي لا تزال أشعة الشمس تختفي خلف ستائرهما المغلقة، قالت لـ (جَمْنون) بحرج:

- أنا أقدر حراسك الذين يحمونني أنسمعي يا (حورس)!؟ أعرف أنك تفهم حديثي، ولست كأسد من عالمي، أنا أقدر حمايتك، وأنت أيها الذئب أشكر حمايتك لي منذ الآن...

زفرت ثم أكملت:

- فرصتك الآن (جَمْنوني) أن تصدمني بحارسي الجديد.

قال لها برقة:

- وكيف عرفتِ أن هديتي الأخرى حارس؟

قالت بثقة:

- شعرت بذلك وشعوري لا يخطئ.

ابتسم وقال:

- وأنا أشهد على ذلك، سأخبرك ما هو ولن أظهره أمامك، أقدم لكِ (أتلس) ثعبان أناكوندا عملاقًا أبيض اللون كاللؤلؤ، ينتقل من ملكة لملكة، وكان لأمي، أما الآن فهو لكِ.

فغرت (منى) فمها فضحك (جَمْنون) رغماً عنه، فقالت معاتبة:

- ألهذا الحد عالمك خطر لدرجة أن الحماية منه مفترسون هكذا؟

شعر للحظة بالأسف عليها فقال متألمًا:

- سامحيني يا (منيتي)، لقد أدخلتك في فوضى عارمة.

هتفت وهي تهز رأسها بقوة:

- لا، لا تعتذر أبدًا، بالعكس ممتنة أن وثقت بي، وأظهرت لي قدراتي وأمنتني على عالمك.

قبّلها وقال بحزن:

- أتحتملين لأجلي؟

جلست على فراشها بسرعة، والتفتت نحوه وقفزت فوقه كاللبوة ففاجأته! وقد أصابت في موضع جسدها عليه رغم كونها لا تراه الآن، وقالت بثقة وعيناها تلمعان ثورة:

- لأجلك أمشي على النار يا مجنون، أتسأل سؤالًا كهذا وكأنك لم تتحمل الضعفين لأجلي؟ أنا أحبك أحبك وكفى.

ابتسم بهناء ثم سحبها نحوه، فأدهشها تحرك جسمها فجأة نحوه! وشعرت بحضنه الدافئ وبدأت يومها بشعور جميل، وقصة غريبة مع حراسها المفترسين.

الأشبال

مرّت الأيام والشهور والأمن مستتب و(منى) و(جَمُنون) يعيشان حالة استقرار وعشق وراحة بال، المملكة كبرت أكثر والطفلان بصحة جيدة، وصارا يتواصلان مع والدتهما أكثر، ورغم صغر سنهما إلا أن الإدراك عندهما والوعي أكبر من الطفل البشري في عمرهما، كانت تسمعهما يناديانها «ماما».

ازدادت جمالاً وصحة وأصبحت مكتملة الأنوثة والسعادة، الناس يتعجبون لحالها ويتأملونها، لا تبدو كأرملة حزينة، أبناؤها متفوقون، وهي ترتقي في عملها، بالإضافة إلى أن إرث أبنائها من (وليد) في ازدهار، فالعيادة الطبية لزوجها الراحل قد توسّعت، وصار لها فرع ثانٍ في (الرياض) و(عادل) مجتهد ويعمل بكل حب.

جاءها حُطّاب كثر فرفضتهم تحت دهشة وذهول الناس! لعلهم يظنونها متزوجة بالسر، لعلهم يظنون أن لها علاقات خارج إطار الزواج.

لعل، ولعل، ولعل...

لكنها لم تهتم، فسمعتها كالذهب وعائلتها محترمة، وسينشأ أبناؤها على الأدب والاحترام وعزة النفس.

في إحدى الليالي رأت (منى) نفسها في قصر حدائقه واسعة مليء بالنباتات والزهور الغربية الجميلة الخلابة، وجدرانه مغطاة بالفسيفساء، عرفت أنها في عالم زوجها (جَمُنون).

أخذت تتمسّى هنا وهناك تتأمل جمال هذا القصر الذي يختلف عن قصر الحكم الرئيس في (سوريا).

سمعت (جَمْنون) يهمس لها:

- هذا قصرنا أنا وأنتِ وأطفالنا، هل أعجبكِ؟

التفتت بسرعة نحوه لترى (جَمْنون) بهيئة النمر الأسود (جاكوار) يقف على قدمين كالإنسان!

نظرت نحوه وقالت بلهفة:

- نمري (جَمْنون)؟

هزَّ رأسه بالموافقة وقال:

- نعم، أنا هو. الملك نمرك الغالي، وانظري إلى حالِكِ يا حلوتي.

لم تفهم فلا يوجد مرآة، فمدت ذراعيها تتأملهما فضُبعقت عندما رأتهما يدي نممرقط! أي (الجاكوار المنقط)!

نظرت نحوه وهتفت ذاهلة:

- (جَمْنون) من أنا؟

لفَّ ذراعه حولها وقال بصوت شجي:

- زوجتي وأنتاي قوية كالنمر.

كانا يمشيان على أقدامهما كالإنسان رغم أنهما الآن من السنوريات، دفعها برفق ليخرجا من القصر ويركبا عربة كالعربات القديمة التي تجرها الخيول، ولكنها عربة كبيرة مطعمة بالذهب والخيول التي تجرها ذات أجنحة، كان الحراس يُحيطون بهما، وهنا لاحظت (منى) أن هناك ستة أشبال صغيرة تركب معهما العربة التي

تسير بهم في حديقة فسيحة، كان الأشبال يحيطون بها وب (جَمْنون)، فجأةً سمعت أحد الأشبال يقول: «بابا، بابا».

انتفضت (منى) ونظرت إلى الشبل فالتقت عيناها بعينه، فرأت روح ابنها (السكندر)، أخذته في حجرها وضمتّه، ثم شعرت برأس شبل يحكّ ظهرها، نظرت إلى الخلف فالتقت عيناها بعينه فرأت روح ابنتها (ساندرا)، حملتها هي الأخرى وأخذت تقبلهما وتحك رأسها برأسيهما وكأنها نمرة، هنا رأت الأشبال الأربعة المتبقية يقفزون على (جَمْنون) يلعبون معه وهم يهتفون: «بابا، بابا».

نظرت نحوهم (منى) بدهشة وسعادة وقالت ل (جَمْنون):

- أهؤلاء أطفالنا؟

ضحك (جَمْنون) بسعادة وقال:

- نعم يبدو لي ذلك.

في تلك اللحظة كاد أحد الجنود يقع ناحية (منى) وسلاحه المدبب كاد يصطدم بها، هنا قفز أحد الأشبال على مقدمة العربة وكشّر عن أنيابه وزمجر في الحارس والكل يسمعون صوته الطفولي وهو يقول: «ابتعد عن أُمي!».

ارتبك الحارس وأخذ يعتذر، هنا جاء الجنرال ووقف بجوار الشبل وقال:

- لا تقلق سموك فمولاتي في حماي.

قفز شبل آخر من حضن (جَمْنون) إلى والدته وأخذ يلحس رقبتها وهي تسمعه يقول:

- أحبكِ ماما.

كانت في حالة نشوة وسعادة وهي محاطة بأطفالها في هذا العالم العجيب!

وصلوا إلى وجهتهم، وهناك رأت طبقًا طائرًا (اليوفو) يهبط من السماء حتى استقر في وسط الحقل، ونزلت منه امرأة ورجل، ولكنهما أيضًا من السنوريات الفهد (النمر العربي) أو (الشيتا)، لكنهما أبيضان مرقطان بالأسود، نزلت (منى) و(جَمْنون) وأبناؤهما من العربية، فانطلقت امرأة الفهد بعينيها الزرقاوين وهي تمشي على قدمين كالبشر لتمسك بيد (منى) وتقول لها بحماس:

- عليك أن تشاهدي مستوانا العلمي الرفيع يومًا ما.

قالتها ثم قبّلت يد (منى) بتقدير، ثم قبّلت يد (جَمْنون) وبالمثل فعل العالم الشاب الفهد مثلها، ثم قدما التحية لهما، وهمسا بكلمات لـ (جَمْنون) بلغة الجن التي وإن كانت لا تعرفها (منى) إلا أنها تستشعر فحوى الكلام، كانوا يتكلمون عن اكتشافات علمية لأجهزة حربية فعالة، ثم في آخر الحديث سمعت (منى) بلغة الجن العالمة تقول: «إنها ستعرف لغتنا حقًا يومًا ما».

ودعاها ورحلا ليحلقا في السماء من جديد.

هنا استيقظت (منى) بدهشة كبيرة وهي تدرك أن ما رآته رؤيا عظيمة واستبصار للمستقبل، ابتسمت وقلبي ينبض سعادة وطرِبًا وهي تدرك أنها ستنجب المزيد من (جَمْنون)، وهنا تذكرت حلمها بعمتها المتوفاة عندما رأت الأطفال الرضع يتكلمون بعضهم فوق بعض، ابتسمت وانقلبت على جانبها الأيمن لتُكمل نومها، ولكنها انتبهت له.

لـ(جَمْنون) الذي كانت تراه حقًا أمامها معلقًا في وسط الفراغ بين سريها والحائط، كان حرفيًا مستلقيًا على الهواء ونور مسلط عليه، لا تدري من أين جاء في ظلمة الغرفة!؟

كان يرتدي بنطالاً بني اللون، وقميصاً أبيض حريريًا مفتوح الصدر لتبرز عضلات صدره الفاتنة، كان يدور على نفسه مستعرضاً كل جوانبه لـ(منى) حتى توقف عن ذلك وصار ظهره جهة الأرض، ووجهه ناحية سقف الغرفة، ولكنه لا يزال معلقاً في الهواء، وشعره الكستنائي قد طال فأخذ يتأرجح معه، و(منى) في حالة ذهول وسكون وتعجب وسعادة، مشاعر عظيمة اختلطت داخلها، ودون وعي منها مدت يدها نحوه وهي لا تزال مستلقية على جانبها الأيمن، وبأصبع السبابة أشارت له آمرة راجية أن تعال إليّ.

ابتسم لها ابتسامة عذبة تمتلئ بهجة داخل الروح، ثم مدّ يده وأمسك بيدها وسحب نفسه مندفعاً نحوها لتلتقي شفاته بشفتيها، فأخذ يقبلها بشوق وهي تقبله بلهفة وشوق شقا صدرها.

كم تمتّ أن تختزل الحياة والعمر والوقت كله في هذه اللحظة.

أن يتوقف الزمان وتفقد الصلة مع العالم لتعيش لحظتها هذه في شفثيه العذبتين ورحيقه المختوم بالمسك، كانت رائحته العطرة تغمر روحها فتشعر بالثمالة، وتسلم نفسها لهذا الحب الكبير، كان جذعه السفلي لا يزال معلقاً في الهواء، لذا طار به فوق (منى) تماماً ثم هبط ليلتحم بها والسعادة تكاد تفجر قفصيهما الصدريين لشدة نبضات قلبيهما الثائرة.

كانت تحيا العشق بحذافيره، ليس فقط كما قرأت أو سمعت أو شاهدت، بل أوسع حتى مما عرفت، أمر يتعدى حدود إدراكها لتقف ذاهلة ومبجلة قدرة الله على خلق مثل هذه المشاعر وإعطاء القلب السعة أن يحب كل يوم الشخص نفسه أكثر فأكثر!

سَطّر الزمان لحظتهما بحروف من ذهب، واختزلت الدقائق نفسها خجلة ألا تتخطاها عقارب الساعة فينتهي لقاؤهما المحسوس.

نسج العشق قصة منحوتة على جسديهما المحمومين، ومرسومة في روحيهما الواحدة، ونبضاتهما عزفت معزوفة عشق ملحمية لا تنتهي.

عندما استفاقت (منى) من نومها وهي ثملة بالعشق بين ذراعيه، قبلها وهمس لها وصوته يرتجف من شدة السعادة قائلاً:

- (منيتي) يا (منيتي) مبارك لنا أنتِ حامل.

- حامل؟!!

- بتوأمين ذكور.

هذه المرة لم تسأله كيف عرفت فالجن يعرفون من لحظتها، وهذه المرة أيضًا ابتسمت في سعادة وتساقطت دموع الفرح من عينيها، وهي تتذكر حلمها بالأشبال الستة.

قالت بحنان الأم القلق:

- ولكن توأمينا لا يزالان صغيرين ستة أشهر فقط، هل أستطيع الاستمرار في رضاعتهم؟

قبلها وقال بحنان:

- لا يا حبيبي لم تعد الرضاعة الطبيعية متاحة الآن، وكانت وجبتهم الأخيرة تلك التي كانت قبل ساعتين وأنتِ نائمة ومنتذرة لكل لحظة وأنتِ مستلقية ترضعينهما بحنان، أما الآن فعليك أن تركزى على صحتك، فبعد أربعة أشهر سيكون لدينا طفلان جديدان لينضموا إلى أسرتنا الجميلة.

انتشرت الأخبار، فطار من السعادة عقل الملك والد (جَمْنون) لجمال هذا الخبر، ولكرم الرب الذي أعطاه ذرية مباركة.

الهدايا والتبريكات هلت عليهما، وفي يوم ما جاءتها ابنتها (تولين) وقالت لها بحيرة:

- ماما عندما كنت جالسة مع أختي (إيلين) نشاهد التلفاز غمضت عيني للحظة إذ شعرت بالتعب فيهما، وفجأة رأيت مشهدًا وكأنه في مخيلتي، غرفة كبيرة جميلة بها أسرة للرضع، كان عليها ستائر بعضها بيضاء، وبعضها وردية اللون، كانت تقريبًا ستة أو خمسة لا أذكر، وكانت هناك خزانة كبيرة بها ألعاب، ثم سمعت طفلًا يضحك وآخر يبكي، صُعقت يا أمي لأنني فتحت عيني ولم يكن هناك شيء، ولا أذكر أنني نمت لأحلم، ما هذا؟

الدهشة ألجمت لسان (منى) و(جَمْنون) يهمس لها متخاطراً:

- إنها ابنتك فعلاً، عينيها الثالثة رأت غرفة أطفالنا ومشهدًا من المستقبل.

- ماذا أقول لها؟

- قولي لها الحقيقة، ولكن راوغي بأنه مشهد من المستقبل، قد يكون لها، أو لأحد ما من الأسرة، وهكذا فعلت (منى).

أعجبت (تولين) من الفكرة وقدرتها وبصيرتها، فقد شرحت لها (منى) باختصار قدرة بعض الناس على رؤية الأمور لبصيرتهم العالية، وطلبت منها أن لا تخبر أحدًا بذلك.

بعد أن رحلت ابنتها قالت (منى) متدبرة:

- (جَمْنون) متى سيعرف أولادي بأمر زواجي منك، ووجود إخوة لهم؟ خسارة أن لا يعرف (سيف) بأن له إخوة ذكورًا، وخسارة للكل أن لا يعرفوا بإخوتهم وأخواتهم.

صمت (جَمْنون) للحظات يفكر ويستشعر، فإن كانت ل(منى) حاسة سادسة وبصيرة، فهو لديه الضعفان كونه جنينًا، وليس هذا فحسب، بل جنينًا مميزًا عن

الجن بشخصيته الفذة، وملكات من الله أعطاه إياها، فكما أن الإنس يختلفون ودرجاتهم تختلف، فالجن كذلك لذا أخذ يستشعر الوضع ثم ابتسم قائلاً:

- سيأتي اليوم المناسب يا صغيرتي ويُعرف السر، وسيحفظونه ويصونون العهد، سيُكشف الستار فأبناؤنا الجن سيظهرون بسهولة لإخوتهم الإنس، وكل هذا في إطار سري لا يخل بمعاهدات الجن.

فرحت (منى) وارتاح قلبها ووكلت أمرها إلى الله، بأن الوقت المناسب هو دائماً الأنسب.

اعتدلت (منى) في جلستها فشعرت ب(جَمْنون) هو الآخر يجلس وينصت معها.

قالت (سمية) بتوتر:

- اتصل عليّ (حسين) خائفاً لا يعرف ماذا يفعل إذ صُرعت عليه (مها)، يبدو أن (غدفان) قد عاد إليها، ولكن بشراسة وحقد.

صمتت (منى) ذاهلة، فسمعت زفير (جَمْنون) الغاضب الذي قال من بين أسنانه:

- عليه اللعنة كيف يعصي أوامري؟!

ارتعدت (منى) وقالت ل(سمية):

- (جَمْنون) غاضب يا إلهي! اسمعي كيف وضعها الآن؟

قالت (سمية) بقهر:

- لقد هدأت ونامت حسبي الله ونعم الوكيل عليه من مارد حقير، المسكينة لأنها ارتبطت بعائلتنا أصابتها اللعنة.

شعرت (منى) بالضيق و(جَمْنون) بالمثل، فقالت لها مذكرة بأوتار تهتز غضباً:

- لا تنسي أن زوجتي (عبد الله) و(فيصل) بخير تمامًا، وأن (عبير) صارت بخير، أما أنا فبأكثر من خير وبعافية.

تلعثمت (سمية) وقالت معتردة:

- آسفة هل (جَمْنون) يسمعني؟ اعذرني يا أخي، والله ما قصدتك بسوء أبداً.

زفرت (منى) وسيطرت على أعصابها وقالت لها:

- لا بأس، لا بأس، إنه يفهم شعورك حتى أكثر مني.

قال (جَمْنون) بغموض:

- الوعد غدًا، الوعد غدًا.

قَطبت (منى) جبينها وسألته بقلق:

- (جَمْنوني) ماذا تقصد؟

سحب نفسًا وقال لي:

- غدًا سنزور (مها) دون ميعاد، وعليك يا زهرיתי أن تقرئي عليها الرقية، والباقي دعيه لرجالي.

قالت (منى) متوترة:

- لكنني لم أقرأ على أحد من قبل.

قال واثقًا:

- والآن ستفعلين، ولن تكون المرة الأولى والأخيرة.

قالت له جادة:

- ولماذا لا تعاقب (غدفان) بدون تدخل مني؟

قال بذكاء:

- وما المبرر أمام (مها) لشفائها؟ يجب أن يكون للبشر يد في علاجها قبل الجن، أفهمتِ؟ وإن كان عن آيات الرقية فمن قال إنك لم تفعلي من قبل؟ أنسيتِ ما

فعلته معي؟

ارتجفت (منى) وغص قلبها ضيقًا وهمست بضيق:

- لا تذكرني بفعلتي.

ضمها من خلفها وقال لها برقة:

- لا أعاتبك، ولكن أذكرك بقوتك، فأنا العفريت الجبار استطعت بقوة إيمانك وزوهريتك أن تؤذي، وهكذا غدًا ستفعلين.

قالت حائرة:

- كيف أفعل في يوم واحد فقط؟ مستحيل!

هنا ضحك بغرور وقال:

- لذا يأتي دورنا وعقابنا على هذا العاصي الخسيس فقد فتح قبره بنفسه.

ارتعشت (منى) على قوة نبرات (جَمُنون) فسمعت فجأة صوت (سمية) التي نسيت أنها على الهاتف تهتف ساخطة:

- (منى) أين أنتِ؟

ردت (منى) معاتبة:

- (سمية) أخبرتك من قبل إن أنا صمت، فمعنى ذلك أن (جَمُنون) يتحدث معي.

- أعرف، ولكنكما أطلتما الحديث بدوني.

ضحكت (منى) على ظرف أختها وقالت مطمئنة:

- الوعد غدًا، فقد وعدني (جَمْنون) بأنه آخر يوم لمعاناة (مها).

- كيف ذلك؟

- دعي الغد للغد.

قالت (سمية) بملل:

- (منى) أصبحتِ غامضة وترمزين الكلام الآن مثل الجن؟

ضحكت (منى) وقالت:

- من عاشر قومًا أربعين يومًا صار منهم.

جاء الغد محملاً بالمفاجآت والتجارب الجديدة في حياة (منى)! وكما أخبرها (جَمْنون) أن تكون قبل أذان المغرب بربع ساعة عند (مها).

فتح (حسين) الباب وتفاجأ عندما طالعتة (منى) بوجهها البشوش، قال مرحبًا في توتر:

- أهلاً يا أختي الحبيبة، ما سر هذه الزيارة المفاجئة؟!

قالت له بهدوء:

- أعتذر إن جئت بدون ميعاد.

قال لها متلعثمًا:

- (مها) ليست بخير لذا صعب أن تريها.

ابتسمت (منى) في غموض وأمسكت يد أخيها، وقالت وهي تنظر بعمق لعينيها

المجهدتين:

- ولذلك جئت، حتى أرقبها.

فغر (حسين) فمه، وقال بدهشة:

- منذ متى وأنتِ ترقين؟

ابتسمت (منى) وربتت على كتفه وهي تمشي جهة غرفة (مها) قائلة بثقة:

- عليك بالنتائج فقط، فهي الإثبات الحقيقي.

دخلت (منى) الغرفة المظلمة ونور الشمس الباهت يتسلل من بين الستائر،
تأوهت (مها) في ألم وعندما أصبحت (منى) فوق رأسها تطالعها، انتفضت (مها)
وقفزت صائحة، فهتفت بها (منى):

- باسم الله عليكِ اهدئي إنه أنا.

ثم اقتربت (منى) من وجهها ونظرت بعمق في عينيها، فرأت عيني (غدفان)
المدعورتين، فهمست له قائلة:

- أيها العاصي، وتتجرأ على عصيان أسياذك؟

سمعت (منى) صرخة فزع منه، لم تسمعها (مها) التي وضعت يدها على رأسها
وهي تشعر بالصداع، و(غدفان) يهتف بجنون:

- أنا أحبها، ولن أتركها أبداً.

قفزت (منى) بخفة على السرير وجلست خلف (مها) ووضعت رأس (مها) على
صدرها وأمسكت بمقدمة رأسها بيدها اليمنى مثبتة كتف (مها) بذراعها الأيسر،

ثم صدح صوتها العذب بالذكر الحكيم وهي تقرأ آيات من سورة البقرة والنور والمعوذات والكرسي وغيرها من الآيات التي جعلت جسد (مها) ينتفض بقوة، ثم أدّنت (منى) بقوة إيمان واستغاثة بالله في أذن (مها) اليسرى، و(غدفان) يصيح، ثم أمرته (منى) أن يخرج من إصبع إبهام القدم اليسرى، أطاعها في البدء، ولكنه عندما وصل إلى إصبع (مها) و(منى) تشاهد ظله الأحمر داخل جسد (مها) صاح متمرّدًا:

- لا! لن أخرج.. أرجوك يا مولاي اجعلها لي.

كان موجّهًا الخطاب ل(جَمْنون).

هنا رأت (منى) منظرًا مهيبًا مما جعلها تصمت ذاهلة مترقبة!

لقد خرج من زاوية الغرفة نمر بنغالي مخطط ضخّم، أنيابه تبرز طويلة من فمه، كان يمشي الهويني، ثم في لمح البصر صار كالدخان الأبيض ودخل إلى جسد (مها) و(منى) ذاهلة مما تراه!

وما هي إلا لحظات حتى رأت الدخان الأبيض يجرد الدخان الأحمر بسرعة البرق ثم يرميه على أرضية الغرفة ويختفي، ولكن دماء (غدفان) كانت تنتشر على الأرض و(منى) تحوّل ذاهلة مما رأت! ف(غدفان) قد مزقه النمر وجعله عبّرة لمن لا يعتبر، ويعصي أوامر جلالته الملك.

ارتخت (مها) وثقل جسدها على صدر (منى) التي شعرت ب(جَمْنون) يسند ظهرها حتى لا تتألم من وزن (مها) عليها، همست (منى) بحب وهي تمسح على رأس (مها):

- لقد انتهت معاناتك وأن أوان أن تعيشي بصحة وحب وسعادة.

ثم همست ل(جَمْنون) منبهرة:

- حبيبي ممتنة لوجودك، ممتنة لمساعدتك، فشكراً لك.

همس لها قائلاً:

- الشكر لله وحده، أرجو أن أكون قد كفرت عن ذنبي في أذية شعبي لعائلتك الحبيبة.

غص قلب (منى) وتذكرت (جُنْيَاه) فقال لها بغموض:

- سيأتي دورها سيأتي.

دخل (حسين) ليرى (مها) مرتاحة على صدر (منى) وهي تقول براحة:

- الحمد لله الحمد لله لقد شعرت بخروجه.

ابتسمت (منى) بغموض وقالت:

- لقد رحل إلى الأبد ولن يعود إليك، فقط حافظي على أذكارك، واغتسلي سبعة أيام بماء مخلوط بالملح الصخري والسدر لتغسلي طاقته السلبية من جسدك.

اقترب (حسين) في ريبة وقال:

- أحقاً عالجتها في نصف ساعة فقط؟ والشيخو يقرؤون عليها منذ زمن طويل!

ابتسمت (منى) بتواضع وقالت:

- يضع سره في أضعف خلقه.

عقب (جَمُنُون) منبهاً:

- بل أعظم خلقه.

قالت (مها) براحة وإجهاد:

- لقد رأيت كالخيال هيئة نمر يمزق (غدفان).

توترت (منى) وتذكرت أن الممسوس قد يرى من مسه، قال (حسين) ذاهلاً:

- نمر؟! لعله من الملائكة، أتقصد أن قتله؟

ترقبت (منى) بصمت إجابة (مها) التي قالت بثقة:

- نعم قتله الملاك.

هلل (حسين) وقال فرحاً:

- لا رحمة الله عليه عله يصلى جهنم هذا الخبيث.

ابتسمت (منى) وأدركت أن جنود الله قد يكونون ملائكة أو جنًا أو مخلوقات لا ندركها، همس لها (جَمُنون):

- ومن قال لك إن الملائكة لم تكن حاضرة أثناء قراءتك للقرآن؟ بالعكس هذا يدعمنا أكثر إن أردنا مساعدة الإنس، ولكن لأنه من رجالي فعقابه يكون بحكم القاضي وهو أنا.

عادت (منى) إلى منزلها سعيدة بهذه التجربة التي عاشتها وساعدت بها حبيبته (مها) التي تخلصت أخيراً من لعنة منزل (أبها).

(٢.)

أطعمها البصيرة، وكشف لها الأفاق
كما وعدنا من قبل...
رموز سحرية، وعقد شيطانية
وقدرة زهرية عجيبة
فالملك لله يؤتیه من یشاء

اعتداء وفتنة

(تحكيها مني)

كنت أستمتع بأمومي وحلمي، أشعر بهما يتحركان في بطني، وتوأماي ولي العهد وأميرتي الصغيرة، أخذت أراهما من فترة لأخرى مما أسعد قلبي، كانت قوتي تزداد يوماً بعد يوم، وكنت أشعر بالوصيفات يدلكن قدمي ويومًا ما وأنا نائمة رأيت رئيسة المربيات تقف أمامي وعن يمينها ويسارها صف من المربيات، قالت لي باحترام جم:

- إنه لمن الشرف خدمة أمراء وأميرات المملكة، ولك أن تثقي بنا مولاتي.

فجأة تقدمت نحوي وصيفتان توأمتان نسختان بعضهما من بعض، اقتربتا مني وقالتا معًا في الوقت نفسه:

- لقد احتملت الكثير، وأن الأوان لرائحة الورد أن تفوح.

قالتا ذلك ثم أخذتا تنفخان في وجهي، فشعرت برائحة عطرة خلابة تفوح من جسمي، وراحة تغمر قلبي.

ابتسمت لهما واستيقظت مبتهجة، ولكن الحساد كثر، وكأني أنا التي طالبت بأن أكون ملكة!

هدفي هو (جَمَنون)، قلبه وحبه وأن أعيش تحت جناحيه الدافئين.

كنت مجهدة من تعب الحمل والعمل، أتقلب على فراشي بأرق و(جَمَنون) يحضر اجتماعاته وأعماله، وعندما أخيرًا أمسكت بطرف النوم لأنعم به، رأيت شخصًا

يقف بجوار سريري، لم أعرف أو أدرك من هو.

فجأة، أمسك بقدمي وسحبني من على سريري لأسقط أرضاً، ودون وعي مني وضعت يدي على بطني لأحمي صغيري، أخذ يسحبني برفق ففهمت أنه لا ينوي أذية حملي، بل قصده تهديدي.

قرب وجهه مني فرأيت ملامحه الحاقدة، وهنا أنطقني الله، إذ رفعت جذعي نحوه وهتفت بقوة وثقة وإيمان راسخ قائلة: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ». (26 آل عمران).

صرخ غيظًا وقهراً ثم اختفي، وضعت يدي على حافة السرير وتسلقته عائدة ثم هتفت:

- (جَمْنُون)، (جَمْنُون).

وما هي إلا لحظات حتى كان بجواري يهتف قائلاً بحرص:

- يا عينيه، ما بك؟

دون أن أنطق حرفاً فهم وشاهد كل شيء فصرخ ثائراً إذ عرف من هو الفاعل، ضمني يهدئي، ولكن صوته كان يغلي وهو يقول:

- اهدي، اهدي ونامي قريرة العين واتركيه لي.

قلت بذهول وغضب:

- كيف يجرؤ؟ كيف؟! وأين حراسي؟

عضّ على شفتيه وقال بغیظ:

- لقد ألقى الخبيث تعويذة النوم فأخفى نفسه عليهم.

هتفت بقهر:

- كيف؟ ومن هو؟ من؟

زفر غاضبًا وقال:

- إنه من الصفوة، حاقد على المُلْك الذي صار مقاسمًا مع إنسية، لا تشغلي نفسك به، فأمره عندي.

أخذ يمسخ على صدري ورأسي، حتى استطاع بقدرة الجن أن يجعلني أنام بسرعة نومًا عميقًا هائنًا وكأن شيئًا لم يكن، وأثناء نومي كان الفريق الطبي يطمئن على صحتي، وصحة أطفالي في بطني، وكان كل شيء على ما يرام.

في اليوم التالي لم أسأل (جَمُنون) ولن أفعل.

فأنا أثق به وفي حكمه وقضائه، بالطريقة التي يراها هو صحيحة.

مرت الأيام مسالمة جميلة حتى جاء ذلك اليوم الغريب.

نائمة في حضن حبيبي بأمان، ثم شعرت بشيء غريب، أشعر بوجود شخص ما محلقًا فوقي، تململت وأخذت أفكر هل هذا (جَمُنون)؟ ولكنه نائم بجواري! هل أنا واعية أم أحلم؟

كان هذا الشخص يحاول أن يسحب اللحاف من فوقي، فشعرت وأدركت أنها حالة هجوم علي، أخذت أهز (جَمُنون) ليستيقظ، كنت أردد: «لا إله إلا الله».

- من أنت؟ ماذا تريد؟

لكنه نزع اللحاف من فوقي فرأيت معالم الغرفة، إنها غرفتي ولكن في بُعد الجن، نظرت جهة يمناي لأرى مهد توأمي، ثم نظرت أمامي لأرى رجلاً متشحاً بالسواد يقف على بعد أمتار من السرير، أخذت أهز بيدي كتف (جَمْنون) وأقول له متوترة:

- انهض (جَمْنون) انهض هناك من يتهجم علينا.

تململ (جَمْنون) وفتح عينيه بثقل ونظر نحوي بحيرة.

هتفت له بقوة وأنا أهزه أكثر:

- انهض هناك من يهجم علينا.

فتح عينيه وأخذ يشير إلى أذنيه بأنه لا يسمعي.

هنا ذهلت وفهمت أنه مُعَيَّب، لا يرى ما أراه، أو يسمع ما أسمع، وهنا لا وقت للخوف أو التردد، عليّ أن أحمي زوجي وأطفالي ونفسي بنفسي.

نهضت واقفة على السرير وأنا أنظر إلى ذلك المعتدي، فهتفت بقوة إيمان قائلة:

- اللهم إني أستودعك نفسي وأبنائي و(جَمْنون) وجنودنا وأمرنا، اللهم إني أجعلك في نحره وأعوذ بك من شره، باسم الله باسم الله.

هنا انفكت الغشاوة والتعويذة التي أعمت (جَمْنون) عنه، وهنا في لحظة سريعة استوعب فقفز من على السرير وبرزت قوة عضلات ذراعيه العاريتين، ثم استلّ سيقاً لم أكن أعرف بوجوده معه، شهره في وجه المعتدي وهتف بي آمراً:

- (منى) نادي على الحراااس حالاً.

قفزت بدوري من على السرير وركضت جهة الباب، وعندما فتحته رأيت كل

الحراس واقفين، ولكن نائمين! صرخت بأعلى صوتي:

- انهضوا تعالوا بسرعة (جَمَنون) يطلبكم! انهضوووووا باسم الله عليكم.

انتفضوا فجأة! واتبعوا مصدر صوتي، فكان أول من دخل الحارس الجنرال في اللحظة التي كان يهرب فيها العدو من الغرفة من ذلك الباب.

أراد (جَمَنون) أن ينحر الهارب، ولكنه كاد يصيب حارسي الذي برك على ركبتيه في استسلام، فصرخت محذرة:

- لاااااااا! إنه الجنرال.

تنبه (جَمَنون) إلى أنه كاد يخطئ الشخص! فترك الجنرال وخرج في لمح البصر من الغرفة يلحق بالعدو، والجنرال قطرات دمه تتساقط من عنقه الذي أصابه خدش لن يؤدي إلى وفاته.

حينها فكرت ماذا أفعل؟ هل أبقى هنا أم أتبع (جَمَنون)؟

نظرت بقلق نحو طفليَّ النائمين فوجدت المربيات حولهما، وكانت أخت (جَمَنون) (كيرا) واقفة تلهث وحولها حراسها فأشارت إليَّ قائلة:

- لا تخافي، اذهبي وراءه.

استجبت لها فخرجت راكضة لأحمي حبيبي، ولكن عندما فعلت رأيت الحرس في مجموعات يتحدثون دون قلق أو خوف، اقتربت منهم بدهشة وسألت:

- أين سموه؟ وأين ذلك المعتدي؟

نظروا نحوي بأدب وقال أحدهم:

- لقد انتهى أمره فلا تقلقي مولاتي، لقد ألقى بتعويدة ليخفي نفسه على سمعنا وأبصارنا، ولكنك استطعت فكها بذكرك وكلماتك، لقد تنكر الخبيث لنظن أنه من بني (زديد) جن الطيور، ليوقع بيننا وبينهم الفتنة.

عقب الحارس الآخر قائلاً:

- لكثرة ما عاشرهم أصبح يشبههم ورائحته مثلهم، ولكنه كان جنياً أرضياً من بني (قاعقار).

أخذ عقلي يحاول حفظ الكلمات واستيعابها فسألته بفضول:

- وأنتم من بني ماذا؟

أطرق وجهه ونظره إلى الأرض ولم تنطل عليه مصيدي إذ قال بأدب وابتسامة:

- عليك أن تسأليه هو، وليس نحن.

خجلت ثم قلت:

- وأين هو الآن؟

أي (جَمْنون).

أشارا إلى بوابة كبيرة وقال:

- من هنا مولاتي.

تقدم معي حارسان آخران ودلاني على مكان (جَمْنون) فرأيت بدهشة أرضاً واسعة، ومن بعيد موكباً طويلاً من عربات وأحصنة تتقدمها عربة بلوح خشبي تجرها الأحصنة، ومسحى عليها جسد مغطى بلحاف أبيض به آثار الدماء، فهمت

وأدركت، فقد كان اللوح أشبه بما أراه في المسلسلات التاريخية الكورية والذي توضع فوقه الجثث.

ثم رأيت في نهاية هذا الموكب الطويل، أسدًا ولبؤة حارسين خلف الحراس والجنود، ورمزًا للقوة والهيبة، وبجوارهما كان هناك حصان أسود مهيب وعلى ظهره فارسي (جَمْنون) بعضلات صدره البارزة وسيفه في يده ملطخ بدماء العدو.

عندما رأيته فز قلبي ارتياحًا كونه بخير، واشتياقًا لبعده عني حتى لو كان لفترة قصيرة، لذا أشرت له من بعيد وقلت للحارسين رجاء:

- أريد أن أذهب إليه.

كان يبعد عني مسافة كبيرة، هنا التفت نحوي الأسد واللبؤة وقد سمعا طلبي فركضا نحوي ولكنني بغريزة الإنس خفت وهتفت بذعر قائلة:

- لا، لا أنتما لا.. لا أريد.. لا تقتربا!

هنا التفت نحوي من بعيد (جَمْنون) وسمعه يأمر حارسًا بجواره قائلاً:

- أنت أحضرها.

هنا رأيت رجلًا يرتدي اللون الأبيض طار كبساط الريح نحوي، وفي لحظة حملني لأكون على ظهره وهو يطير بي نحو (جَمْنون)! لا أدري كيف؟ مع سرعة حركته وجدت نفسي أجلس خلف حبيبي على ظهر حصانه الراكض!

أمسكت بخصر (جَمْنون) ووضعت رأسي على ظهره العاري وأسبلت عيني شاكرة الله وقلت:

- الحمد لله أنك بخير.

قال بحزم:

- لن تهزمننا حشرة مثله، لجأ لأساليب مراوغة ليؤذي زوجتي حتى يكسر ظهري، ولكن أنا من كسرت شوكته، ولكنني أبقيت على حياته غارقاً في دمه وجروحه وكسوره لتحذيرهم ومعرفة المدبر لذلك، ونحن الآن منطلقون لعشيرته لننذرهم بأنه في المرة القادمة سنرسل رأسه فقط دون جسده.

ارتعدت لا أنكر، ولكنني افتخرت بقوته، نعم لا أنكر.

لحظات فقط لأجد نفسي في قبيلة عربية، وكانت الرهبة والخوف على وجوههم، كان شيخ العشيرة في حالة من الذهول والصدمة، وعندما رأى (جَمْنون) ارتعد وتوجس خيفةً وشرًا.

ألقى الحرس بجسد العدو عند قدميه، وكان أحد أبناء عشيرته.

رفع الشيخ رأسه وهتف قائلاً:

- إنه ابن أحد الشيوخ لدينا، ماذا فعلتم به؟ هل أخطأ في حقكم؟

ابتسم (جَمْنون)، إذ أدرك أن شيخهم فطين، فهم لا يعتدون على أحد دون سبب.

قال (شامر) ابن عمه (جَمْنون):

- هل أنت شيخهم وزعيمهم؟

قال الشيخ باعتزاز:

- نعم.

نظر (شامر) نحو (جَمْنون) الذي لسانه لا يخاطب من هم أقل من الشيخ والملوك.

كان الشيخ واضحًا عليه أنه يعرف قبيلة (جَمُنون)، إذ إنهم مشهورون في عالم الجن ويدرك أن هذا الشاب الوسيم هو ملكهم الشاب، كان ذلك واضحًا على محياه من قبل أن يُعرّف (شامر) ب (جَمُنون) ويقدمه لهم، تقدم (جَمُنون) ونزل من على صهوة جواده وبادلي النظرات فبقيت على صهوة الحصان أتابعهم.

كانوا يتحدثون العربية، كنت أسمع بعض حديثهم، وكان واضحًا أن الشيخ ضُعبق لفعلة ابن عشيرتهم، وأخذ يقسم الأيمان المغلظة إنه ليس على علم بذلك.

اعترف العدو وهو يلهث لشدة جروحه عن الخونة الذين حرضوه على أذيتي، فبعد أن يكونوا قضوا عليّ، ستقع وقية وفتنة بين مملكة (جَمُنون) ومملكة الطيور لنيتهم بالتأثير على شيخهم في استغلال الفرصة وأخذ بعض أراضي مملكة (جَمُنون) وبني (زديد).

تقرر أن تقام محكمة لتحكم على الخونة.

كنت ذاهلة مما يحدث أمامي، وكأني داخل ملحمة في أحد الأفلام الضخمة، يرغبون بالتخلص مني وحروب وووو... وأمور غريبة أعيشها!

في خضم أفكارني (جَمُنون) راضيًا عن كشف المؤامرة، وعقاب المعتدي ومن معه، ركل الحصان وانطلق بي عائدين إلى القصر الذي من المفترض أن منزلي فيه.

دخلت غرفتنا واطمأننت على طفليّ، فجأة شعرت بثقل في جسدي جعلني أستلقي على سريري الذي هو مختلف عن سريري في عالم الإنس، غشيبي النعاس فنمت بعمق، وعندما استيقظت أخذت أتأمل كل شيء حولي، إنه سريري وجدران غرفتي، نظرت صوب مهد توأمي الصغيرين فلم أره، التفت نحو مكان (جَمُنون) فلم أره، ولكنني شعرت بوجوده، هنا أدركت أنني في عالمي، عالم الإنس.

همست ل(جَمُنون):

- هل أنت مستيقظ؟

أجابني بحب كبير:

- مستيقظ منذ مدة أتأمل وجهك الجميل.

سألته عما حدث إن كان حقيقة أم حلمًا وجاءتني الإجابة التي زادت دهشتي من
العوالم أكثر فأكثر:

- لم يكن حلمًا، بل حقيقة، ولكن جسديك الأثيري الذي عاش هذه التجربة بينما
جسدك مستلق على الفراش.

قلت ذاهلة:

- غير معقول! لقد كنت أنهض من الفراش وأخرج من الغرفة وأعود إليها، كيف؟!
بصبر أجاب:

- لأن الحياة فيها من الغيبيات والأمور التي لا يستوعبها عقل الإنس المعتادين
على كل شيء مادي وملموس.

سألته بحيرة:

- أتعني أنني كنت في إسقاط نجمي؟

أجاب بهدوء:

- لا يا حبيبتي، بل كنت في عالم الجن، ولكن بجسدك الأثيري.

فهمت قصده وتأملت للحظات ثم قلت له بقلق:

- ويستطيع الجن إلقاء تعويذات تؤثر فيكم؟

تنهد بهم وقال:

- قد لا تؤثر فينا الأمراض، ولكن اللعنات تفعل، فكما أن لديكم سحرة فسحرتنا أقوى، ولكن كما أنكم لا ترون خادم السحر، ولا تعرفون مكان التعويذات التي يفعلها الساحر الإنسي، فالجن يعرفون، وهنا المفارقة الغربية والأمر العكسي! فبعض الإنس قد يرى التعويذة التي صنعها الساحر الشيطان والتي تضر الجني ويقدر الإنسي على فكها، والجني يكون معتمداً عليها.

تنهد واستطرد:

- حبيبتي لقد استطعت يا زوهريتي أن تفكي التعويذة بسهولة، فكم كانت خيبة ذلك العدو التافه كبيرة؟ فلا تخافي أنا وأنتِ معاً قوة لا يستهان بها، ولتطمئني فقد صدر الحكم بإعدامه لأنه اعتدى عليك، وأيضاً لأنك حامل فاعتبر ذلك اعتداء على طفلي ومن حقنا قتله، ولأنه كاد يصنع فتنة تؤدي إلى حروب وصراعات جمة.

أطرقت رأسي بعجب ثم ابتسمت براحة وأنا أعرف أنه يستحق العقاب، فالسحق لكل معتدٍ أثيم.

ضميني (جمنون) وقال بفخر:

- إن قوتك تزداد وتظهر أكثر فأكثر، وبصيرتك تقوى، وإني لراغب بذلك حتى يشرق نورك على الكون وتدركي أن الله أعطاك رزقاً عظيماً، لتعملي به وليس ليبقى خامداً.

البؤبؤ الأخضر

(تحكيها مني)

أشتاق إليه كل لحظة، كم أتمنى أن أراه كل ثانية، نمت وفي قلبي شوق يشق الأرض ويهد الجبال، كنت أرتدي قميص دانتيلا قصيرًا جدًا لونه أخضر، وهنا شعرت به.

نعم شعرت به يطير فوقى ويسحب من فوقى غطائي الحريري بخفة، ويطالعني (جَمْنون) وهو يرتدي لباسًا لونه أخضر من الحريري بقبعة خضراء وشعره طويل يصل إلى منتصف ظهره.

نظرت نحوه ذاهلة غير مصدقة، ابتسم وجلس عند قدمي ومد يده إليّ، فجلست وأمسكت بيده وأنا لا أزال في حالة الذهول والهيام.

سحبني نحوه بخفة لأجد نفسي فوق فخذي، إذ كان يجلس على سريري وقدماه تحت فخذي، وأنا بالمثل جالسة على فخذه بينما قدمي أسفل مني كالجلسة بين السجديتين.

ذاااب..

ذاب قلبي ووجهي قريب من عنقه، أخذت أتنشق عبيره العطر، وأنفي يداعب بشرة عنقه العاجي، فسمعتة يضحك بخفة وخجل قائلاً:

- أتشميني؟

لم أفق على الرد، فالكلام وقتها كان ترفًا لا أقدر عليه.

لقد اختنق صوتي هيأًا باللحظة نفسها، أبعدت وجهي عن عنقه، ثم أخذت

عيناى تطوفان بلهفة على ملامحه العذبة.

يا رب السماوات ما هذا الجمال؟

لم تر عيناى جمالاً بهذا الشكل! تينك العينان الواسعتان لونهما يتموج ما بين الرصاصى والأخضر العشبى، ذلك الأنف الناعم الرقيق، تينك الشفتان الباسمتان، ذلك الفك القوي والمنحوت وكأنه لآلهة الإغريق، وذلك الذقن البارز، وشعره الكستنائى الذهبى كان طويلاً ومموجاً، لأول مرة أراه مموجاً حتى يصل إلى أسفل ظهره.

كان يشعر بالخجل لتأملاتى الجريئة واقتحامى أسواره المحمية.

ابتسامته العذبة ورقته ونظراته الحنونة نحوي، جعلت نبضات قلبى تتسارع، فنطقت أخيراً قائلة بلهفة ورجاء:

- أريدك، أريد الحياة معك، ولكن لا تختفِ.

ابتسم برقة وهمس خجلاً قائلاً:

- (منيتى) أنتِ تلتهمينى الآن بنظراتكِ.

قلت هائمة وبصوت مختنق:

- أنا أحبك، أحبك بجنون.

نظر نحوي فلمعت عيناه بتأثر وعشق وقال هامساً:

- أحبك، أحبك فوق ما تتصورين.

انتبهت فجأة لوجود عين ثالثة تتوسط جبينه بين عينيه، ومرتفعة عنهما مكان

العين الثالثة، وكان بؤبؤها أخضر يتموج كالزمرد، بؤبؤ كبير خلاب.

نظرت نحوه بدهشة، وقلت بدهشة أكبر:

- (جَمْنون) لديك عين ثالثة أراها.

ابتسم بمرح وانقضّ على شفّيّ يقبّلهما بعدوبة أذابت روحي، وهنا وبطرف عيني، رأيت بؤبؤ العين الثالثة ل (جَمْنون) يخرج منه ويتدحرج من جبينه على وجنته وصولاً لشفتيه! فقام بإمساك البؤبؤ الأخضر بين شفّتيه وأخذ يقبّلي وهو يدخل بؤبؤ عينه الثالثة في فمي!

كان طعمها حلواً كالعسل، ولكنني خفت على حبيبي فصرخ عقلي خائفاً:

- (جَمْنون) عينك، عينك في فمي.

تسلّل صوته إلى عقلي يخاطبني أمراً:

- كليها، ابلعيها.

كان حرفياً يطعمني إياها بشفتيه فانصبت لأمره وبلعتها، أنهى قبلته الحلوة كالعسل ونظر في عينيّ ووجهه ينضح سعادة، ولم أعد أرى عينه الثالثة! فقال لي بحب يسع الكون كله:

- لكِ مني بصيرتي لتضيء بصيرتك فأنا وأنتِ واحد.

ارتعدت...

ارتعشت...

دمعت عيناى تأثراً، ما هذا الحب؟ فقد آثرني على نفسه، وجعلني في مصاف

الجن ورفعني إلى فوق!

قال لي مذكراً بحب:

- أتذكرين قبل سنوات ماذا قلت لك؟

كانت دموعي تسيل وأنا أترقب حديثه وهو يقول:

- سأفتح لك الآفاق.³

هزرت رأسي متذكراً وشاعرة بالندم لما فعلته به.

ضممني بقوة إلى صدره وهمس في أذني:

- أنا وأنتِ كيان واحد، روح واحدة، قلب واحد.

شعرت به يضعني على وسادتي وهمس لي برقة:

- لقد أجهدتِ نامي الآن وارتاحي.

غشيني النوم كالسحر فغططت في نوم عميق.

والأيام القادمة ستفتح أبوابها الواسعة لي بفضل الله أولاً، ثم حبيبي (جَمْنون)، فمن له بصيرة يحتاج أن يكون معه مرشد روحي، ومن أعظم إرشاداً من (جَمْنون)؟

³ - الجزء الأول من (جَمْنون).

الأسفار

أصبحت (منى) إنسانة لا تشبه الآخرين بشكل أكثر من ذي قبل، فإن شعرت بشيء فإنه يحدث وأحلامها تتحقق، بل إنها صارت ترى هالة الشخص قبل أن تراه ببضع ثوانٍ قبل أن يحضر! بصيرتها صارت قوية وحادة، فأحياناً ترى مشهداً مفاجئاً أمامها فيحدث، والأمر وصل إلى درجة أنها تشعر بأن شخصاً ما اليوم ستراه أو سيتصل بها فيحدث، بل الدهشة تسمع صوت ابنتها تناديهما، ولكنها لم تفعل وبعد ثوانٍ تناديهما، وهذا حصل لها مع أناس آخرين، فصارت وكأنها تستشرف الحدث قبل وقوعه.

في إحدى الليالي عندما استلقت لتنام، شعرت بنفسها وكأنها تسير وهي نائمة نحو ذلك الباب المُضيء في غرفتها، وعندما دخلته وجدت نفسها داخل مغارة كبيرة في جبل، وكانت تلك المغارة منيرة من ضوء الشمس، وواسعة جداً وكأنها بهو وسط الجبل، وقبل أن تكتشفها أكثر رأت عند مدخل تلك المغارة شجرة من شوك، أذهلها منظرها! فقد كان مربوطاً بكل شوكة عمل سحريٍّ، عُقد مكومة من مادة سوداء، ولكن الأعجب أنها رأت داخل كل عمل سحريٍّ جنياً يتلوى من الألم.

سمعت (جَمْنون) يهمس لها بحذر:

- (منيتي) نحن لا نرى الأعمال السحرية رغم معرفتنا بوجودها هنا، هؤلاء من قومي قيدتهم ساحرة لعينة من مملكة أخرى، وجعلتهم محبوسين هنا، حاولنا فك الأعمال، ولكن لن نستطيع فكها إلا إنسي زوهري فأرجوكِ ساعديهم.

أذهلها ما سمعت، وبطبيعة قلب وكره للظلم، تقدمت (منى) وأخذت كل عمل من الغصن في الشجرة، ثم قرأت عليه المعوذات، ويا لغرابة ما حدث!

العقدة تفك أمامها ليطير منها جني كالدخان وهو يهتف فرحًا.

وهكذا واصلت عملها والجن يطفرون في سماء الحرية عند مدخل تلك المغارة منطلقين إلى السماء العالية.

انتهت وقلبها يشعر بالسعادة، وبدلاً من أن تخرج من المكان سارت إلى الداخل بخطوات قوية حتى وصلت إلى فجوة داخل الجبل كأنها صومعة، وهناك رأت كتاب سحر عجيبيًا! جلده أسود وبه رموز نحاسية، وبجواره حجر كريم بحجم بيضة الدجاج وله الشكل نفسه، لونه أبيض مضيء وباهر للعين، محاط بخيوط لؤلؤية اللون دقيقة كالشعرة، ودون تردد ولا تدري كيف خطر ذلك على بالها، أخذت تلك البيضة وابتلعته، ثم أخذت الخيوط وحشرتها في فمها وبلعتها و(جَمُنون) يصبح بدهشة وفخر فقد تفاجأ من فعلها! ولكنه رحب به ولم يمنعها، حينها شعرت (منى) بقوة عجيبة تغمرها وكتاب السحر احترق فجأةً وصار رمادًا.

أخذ جلد (منى) يتحول إلى جلد أفعى كوبرا ذهبية اللون وبها لمعة ألماس، دُهلّت (منى) ومدت ذراعيها أمامها فلا تزال أطرافها الأربعة موجودة! رأت أن يديها تغطيها الحراشف اللامعة و(جَمُنون) يقول لها بفخر:

- لقد أحرقتِ الساحرة، أخذتِ قوة هذا الحجر العجيب.

وضعت (منى) يدها على بطنها المنتفخ قليلاً بسبب حملها فشعرت بالقوة أكثر، رفعت رأسها لترى (جَمُنون)، ولكنها رأت وجهها منعكسًا على مرآة معلقة على الجدار الحجري، فوجدت أنها تملك رأس أفعى الكوبرا، وعيناها تلمعان كالذهب، تفاجأت عندما شاهدت انعكاس ابتسامتها وصوتها الحقيقي يخرج منها وهي تقول بفخر:

- انظر إليّ يا (جَمُنون) أصبحت قوية كالعفريته، ولدي عمر وصحة ومهابة.

هنا اقترب منها (جَمُنون) وأمسك بيدها التي لا تزال بحراشفها وقال معجبًا:

- كلانا معًا قوة رهيبة.

لاحظت (منى) أن (جَمَنون) سحبها برفق من يدها ليخرجها من المغارة، ويدخلا ذلك الباب في غرفتها، فتعود لجسدها المسجى على فراشها وتلتحم به وتغط في نوم لذيذ.

كانت تشعر بخفة وصحة لم تشعر بهما وهي في السابعة عشرة من عمرها، بشرتها أخذت تتوهج، وجمالها كان يزداد، حتى لاحظ كل من حولها ليمطروها بالأسئلة وهي تجيب بأنها حلاوة الروح والعناية.

وقد كانت على صواب في ذلك، فالروح عندما تكون قوية وسعيدة فإن الجسد المادي الحاوي يصبح كذلك بفضل الله.

انتشر صيت (منى) وقدرتها على فك الأعمال السحرية في العالم الآخر، لذا وجدت نفسها يومًا من الأيام، وهي في شهر حملها الأخير بعد أن نامت، واقفة على تل في منطقة تحيطها بها الأشجار، وهنا خرج لها من خلف كومة الأشجار حمار وأسد.

ذهلت واتخذت وضعية دفاعية لوجود الأسد، ولكنها لاحظت أن وجه الحمار يختلف عن الحمير المعروفة، فقد كان أشبه بالدمية المحشوة بالقطن وكذلك وجه الأسد! أخذت تتساءل كيف؟ وما هذا؟

هنا سمعت صوتًا يقول لها:

- أرجوكِ يا سيدي ساعدينا.

انتفضت (منى) وهتفت بريية:

- من؟ من يتكلم؟

رد الصوت:

- أنا، أنا من يتكلم.

نظرت نحو مصدر الصوت لتراه قادمًا من ذلك الحمار الذي يبعد عنها مسافة عشرة أمتار، فقال لها:

- أرجوكِ يا سيدتي ساعدي سيدي.

التفت الحمار نحو الأسد، فأدركت (منى) أنهما جنيان مسخوطان وهذا الأسد هو السيد والحمار خادمه.

سألت لتتحقق:

- من فعل بكما هذا؟

قال الحمار بقهر:

- الساحرة سخطتنا ففكي عنا العمل.

نظرت نحوهما وشعرت بأنهما ليسا من قوم (جَمُنُون) قالت بحذر:

- وهل تعرفان مكانه؟

نظر الحمار خلفه وقال بخوف:

- إنه هناك عند ذلك الباب خلف الأشجار.

نظرت خلفه فرأت بابًا من الحديد الأحمر، به نقوش غريبة يتوارى خلف الأغصان.

توجست خيفة ونظرت نحو الأسد، وتساءلت بينها وبين نفسها:

- أيقولان الحقيقة أم أنهما يخدعاني ليغدرا بي؟

قالت بقوة:

- لحظة وأعود.

التفتت خلفها تبحث عن (جَمْنون) نادته في عقلها فحضر، أمسكت يده براحة وقالت:

- يطلبان مساعدتي أأفعل؟

نظر (جَمْنون) نحوهما ثم امتلأ المكان بجنوده وقال:

- نعم هذا ملك مغدور، وهذا خادمه وسنحصل على ولائهما لنا.

تنفست (منى) بقوة وقالت بثقة:

- فإدًا على بركة الله.

اتجهت نحو ذلك الباب وأزاحت عنه الأغصان، وهي لا تدري ماذا سيقابلها؟ وكيف هو العمل؟

ذكرت اسم الله ثم فتحت الباب ففُتح لها، شهق الحمار دهشة فقد كان الباب مغلقًا لا يستطيع الجن فتحه.

دخلت وحدها و(جَمْنون) ينتظرها خارجًا، كان المكان مظلمًا وموحشًا، وهناك رأت جمجمة حمار، وجمجمة أسد موضوعتين على عمود من خشب، وبداخل كل رأس تعويذات غريبة.

تقدمت (منى) وحملت رأس الأسد أولًا وهي تذكر الله وتقرأ آيات الكتاب الكريم،

أدخلت يدها داخل الجمجمة رغم تقززها وأخرجت التعويذة، ثم وضعت الجمجمة وأخذت تفك العقد وهي تقرأ المعوذات والآيات وتنفث، وهنا سمعت هتاف الجن خارجًا و(جَمُنون) يهتف بها:

- لقد تحرر الملك من لعنته.

ابتسمت برضا وشكرت الله، وبالمثل فعلت مع جمجمة الحمار، وسمعت (جَمُنون) يهتف لها:

- لقد نجحتِ هيا عودي إليّ.

قبل أن تخرج شعرت برغبة ملحة لفعل شيء ما، وكأنها غريزة تقودها كما حصل معها في مغارة الساحرة، تقدمت للعمق، وقد كان المكان كله عبارة عن غرفة صغيرة مترين في عمق مترين.

خطت حتى وصلت إلى نهاية الغرفة والجدار أمامها ممتلئ أتربة، ولكنها لاحظت رمزًا غريبًا يبرز من ذلك الجدار، ابتسمت بلوم وسخرية فغريزتها أنبأتها بأن هذه قوة وترنيمة الساحرة، فأخذت تقرأ القرآن وهي تطمس الرمز بيدها وتكسره حتى تبعثر، هنا علا صراخ حاد يتلوَّى ألمًا وذعرًا لامرأة لا تراها.

هتف الجن خارجًا بحماس: «قتلتِ الساحرة، قتلتِ الساحرة!».

تنهَّدت (منى) براحة وشكرت الله، ثم خرجت وأول ما رآها (جَمُنون) ركض نحوها يحتضنها بلوعة، وكأنها اختفت عليه دهرًا.

سقط الباب متهشمًا على الأرض، ورغم الأتربة التي كانت تملؤها إلا أن (جَمُنون) أمسك وجهها بين يديه وقبّل خديها المغبرين وقال بفخر:

- فخور بكِ يا مليكتي.

ابتسمت (منى) بخجل ورقة، ثم لاحظت شابًا ضخمًا، أسمر البشرة مفتول العضلات، وبجواره شاب قصير.

قال لها (جَمْنون) مؤكَّدًا شكوكها:

- نعم هذا الملك (نبهان) وخادمه قد عادا إلى هيتتهما الحقيقية.

ذهلت (منى) كيف أن جنياً ضخماً مثله سخطته ساحرة لحيوان؟ وكأن ما تراه من قصص ألف ليلة وليلة.

تقدم الملك منها وقال والدموع تغلبه:

- أشكركِ سيدتي، فقد كنت أسيراً بهذه اللعنة 100 عام، والآن كيف أوفيكِ حَقك؟

ابتسمت (منى) بحيرة وهي لا تصدق ما تراه!

قالت بحيرة:

- إن الشكر لله وحده.

قال الملك:

- هذا دين في رقبتي، وعليَّ أن أوفيكِ حَقك فيه.

نظرت نحو (جَمْنون) بحيرة ثم قالت:

- خذ الأمر من الملك (جَمْنون) عليك أن تكون موالياً لنا في السلم والحرب.

نظر الملك نحو (جَمْنون) وقدم الاحترام وقال له:

- بل إن دولتي تفتخر أن تكون موالية لملك عظيم مثلك.

قال (جَمْنون) منبهاً:

- لا تنادها بالسيدة، بل بالملكة فهي زوجتي.

شعر الملك (نبهان) بالحرص والحيرة معاً، فقال:

- هل أصبحت الإنسية ملكة؟ العذر منكما فلم أكن أعرف.

كان الخادم سعيداً جداً وفرحاً لأنه سمع عن قدرة (منى) على التجول بين العالمين وفك الأسحار، والآن عرف أنها زوجة للملك (بجنون).

انتهى اللقاء عند ذلك لتجد (منى) نفسها على سريرها، رائحة الغبار لا تزال عالقة بها، سمعت (جَمْنون) يقول لها ببهجة:

ش حبيبتي أكسبتنا ولاء الملك (نبهان) بدون مفاوضات أو حروب، أنتِ حقاً ملكة لشعبي وولدتِ لتكوني ملكة.

قالت (منى) بحيرة وذهول:

- (جَمْنوني) أكنتُ هناك حقاً، أم جسدي الأثري؟ الغبار يملؤني حقيقة فكيف؟

قال لها برقة:

- لا كيف ولا شرح، فهناك أمور يعجز عن فهمها البشر، ولكنك تعيشينها وتكشفينها يوماً بعد يوم يا مليكتي.

ملكة البحر والمفتاح

(تحكيها مني)

بعد فك الأسحار وتجربتي الغربية في العالم الآخر بيومين، فاجأتني زيارة من أخت (جَمْنون) (زالين) عندما كنت مستلقية على فراشي وبجوارها (جَمْنون) الذي قال لي:

- (مني) أحضري المفتاح من المغارة ولا تسلميه لأحد غيري.

قال ذلك واختفى، فغطت فجأة في نوم عميق لأجد نفسي أمام شاطئ البحر والشمس مشرقة، هنا ظهرت (زالين) التي قالت لي بحذر:

- أرجو أن تحضري المفتاح وتحميه، ولا تسلميه لأحد إلا لأخي.

فجأة انخفض منسوب مياه البحر، فظهرت بوابة مغارة كانت بين صخور المرجان، مشيت بغريزتي نحو المغارة ودخلتها، لأجد مفتاحًا ذهبيًا غريب النقوش، أخذته وأنا أتذكر كلمات (جَمْنون) الذي طلب مني إحضار هذا المفتاح له.

خرجت من المغارة وأثناء سيرتي بدأت المياه ترتفع حتى غطت باب المغارة وغمرته، وأصبحت أنا قريبة من الشاطئ، فكان الماء يصل إلى فخذي وهنا رأيت أمرًا عجيبًا...

كانت تجلس على صخرة مرجان، لم أنتبه لها من قبل، تفصل بيني وبين الشاطئ امرأة جميلة ذات شعر طويل جدًا شديد السواد وعلى رأسها تاج غريب، وكأنها

حورية بحر، ولكنها ليست كذلك، فقدماها ظاهرتان من تحت ثوبها السماوي اللون.

قالت لي بلطف جم:

- أحسنتِ، الآن أعطني المفتاح.

نظرتُ نحوها باستنكار وقلت رافضة:

- لا لن أعطيه لكِ.

كشّرت عن أنيابها الحادة كأسماك القرش، وقالت وهي تحاول أن تضبط أعصابها:

- أنا ملكة من ملوك البحر، وهذا المفتاح من حقي.

قلت لها بعزيمة:

- بل المفتاح من حق الملك (جَمْنون).

خرج منها صوت غاضب حاد وهي تقول:

- وما أدراكِ أنه ملك له؟

قلت بثقة:

- لأنني أشعر بذلك، وما أنتِ سوى جشعة ترغيبين بالحصول على قوة لا حق لكِ فيها.

صرخت بغیظ، فهجم عليّ مخلوق بحري أشبه بثعبان البحر لدينا، لم أخف منه، بل أمسكت برأسه وعصرته وأنا أذكر الله وحده.

خارت قواه فاستطعت أن أركض للشاطئ، وعندما وصلت إلى الشاطئ اختفت الملكة عندما ظهر (جَمْنون) مبتسماً لي، وجواره أخته فسلمته المفتاح فقال لي بفخر:

- انظري (منيّي) إلى نقوشه فهو ملك لعائلي، ولكنه حُبس هنا بتعويذة لا يفكها إلا إنسي قادر.

فرحت بذلك، ولكن شعرت بأن أمراً ما يحدث من خلفي عند شاطئ البحر، التفت فرأيت سبع دوامات بحرية تصطف على شاطئ البحر، ولكنها كانت بشكل عمودي أشبه بالبوّابات الدائرية، وداخل كل بوابة منها جن بحري يطلب مساعدتي.

تقدمت منهم، وعندما أصبحت أرى ملامح وجوههم وعمق نظراتهم، عرفت أنهم يخدعونني، حتّى إذا تقدمت من الباب ابتلعتني ليخطفوني في عمق البحر، عند مملكة ملكة البحر الحانقة.

هنا ضربت برجلي على رمل الشاطئ وأنا أقول بصوت جهوري:

«وَجَعَلْنَا مِنْ يَمِينِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» (آية 9 سورة يس).

هنا غشيتهم المياه وابتلعتهم ليعودوا من حيث جاؤوا.

صاح بنا (جَمْنون):

- لنخرج بسرعة.

أمسك بيدي فركضنا وأخته معنا نحو بوابة في ممر مُظلم كادت تُقفل علينا.

ركضنا بسرعة وهي تقترب وتقترب.. ودرفتا الباب تكادان تلتقيان فصرخت بقوة:

- يا الله ساعدنا!

وفي سباق مع الزمن استطعنا أن نخرج من ذلك الباب، لأجد نفسي واقفة في غرفتي و(جَمْنون) و(زالين) بجواري والمفتاح الذهبي يلمع في راحة يد حبيبي.

احتضني وقال بسعادة:

- لقد أعدت إرث عائلي وإرث أبنائك، فنامي الآن قريرة العين يا حبيبي.

وجدت نفسي مستلقية على سريري مبتسمة لأغط في نوم عميق ولذيذ.

(21)

(جمنون)

وسع العالم في عينيك

ونور البصيرة منك أعظم

ورحلة العالمين معك واقع ملموس

بين العالمين

غرائب وعجائب

أن تكون بين الناس تعمل وتضحك، تزور وتحضر الحفلات، تخرج للتسوق والمطاعم، وحياتك الاجتماعية ممتلئة بالفعاليات، ولكن من يصدق أن لك عالماً آخر، وحياة أخرى أنت فيها سلطان ومعالج، ولديك ذرية فيها.

كانت هذه حياة (منى)، بل وأيضاً حياة (جَمْنون) بالشكل المعاكس فهو أيضاً يحيا بين العالمين.

أصبحت (منى) قادرة على رؤية أطفالها ولو لبضع ساعات في اليوم، كان (السكندر) يشبه والده، بينما (ساندرا) مزيج من والديها.

بطن (منى) منتفخ وهي في شهرها الأخير وتتلقى العناية الكاملة من أطباء الجن والعجيب أن حملها لم يكن ملحوظاً للبشر! لأنه انتفاخ بسيط كحملها السابق كانت الوحيدة التي تعرف كل شيء ومسموح لها لأنها تستوعب ومباركة لهما هي أختها (سمية).

كانت تضع يدها على بطن (منى) وتشعر بالركلات فتتهتف في دهشة وحماس:

- يا سبحان الله!

مرت الأيام عذبة، وفي ليلة من الليالي قال (جَمْنون) ل (منى):

- حبيبتي هل من الممكن أن تجعلي أطفالك ينامون عند (سمية) ثلاثة أيام؟

تفاجأت من طلبه وسألته بحيرة:

- ممكن أكيد، لكن لماذا؟

ضحك وهو يقول:

- أليست إجازة الصيف الآن لديكم؟

ابتسمت (منى) وقالت بخفة:

- صحيح... ما رأيك بالسفر إلى (باريس) أنا وأنت شهر عسل؟ كان مؤجلاً، لنأخذ 10 أيام إجازة، وليبق الأولاد مع أختي. آه صحيح أعتقد بأن توأمينا سيأتيان معنا، أم تظن أن والدتك ستحضر للبقاء معهما؟

قال (جَمْنون) بغموض:

- لا هذا ولا ذاك.

قطبت (منى) جبينها تفكر فقاطع أفكارها عندما قال:

- سأخذك في زيارة لعالمي زيارة حقيقية، وابنانا سيكونان مع أخواتي هنا.

الدهشة، الفرحة، الرهبة والذهول! كلها مشاعر اعترت (منى) التي هتفت غير مصدقة:

- أتعني زيارة تختلف عمًا مررت به؟ حقيقة حقيقة؟ وأنا بكامل وعي بروحي وجسدي معًا؟ وليس عالمك في هذا المنزل؟

قال لها بهدوء:

- عالمي هناك خارج حدود بلادك!

ارتجفت (منى) من الحماس والدهشة، قال لها:

- ثلاثة أيام أخبري (سمية) أن تعتني بالأطفال ثلاثة أيام، بحيث نذهب ونعود ثم يرجعون إلى المنزل.

وهكذا كان، انبهرت (سمية) بالأحداث التي تمر بها (منى) وترجتها أن تخبرها بما ستره هناك، قالت (منى):

- المسموح لي من قبل (جَمْنون) أعدك أن أخبرك به.

أطفال (منى) يظنون أن أهمهم مسافرة إلى الشرقية لتزور صديقتها، أصبحت (منى) وحدها في المنزل، فالخدم كذلك تركتهم عند (سمية).

جاء اليوم الموعود وارتدت (منى) لباساً أنيقاً، ولكنه خفيف، لونه لؤلؤي وتزينت وجلست على سريرها مضطربة، حتى سمعت صوت (جَمْنون):

- اهدي.

تنهدت وقالت بحيرة:

- أين أنت لا أراك؟

قال بجديّة:

- يجب أن تكوني هادئة تنفسي ببطء وكأنك في حالة تأمل.

استجابت له وسحبت نفساً عميقاً، واسترخت وثقل جسمها، هنا ومن العدم ظهر لها (جَمْنون)، أول ما رأت قدميه بحذاء أسود، أخذت نبضات قلبها تتصاعد، رفعت نظراتها على مهل لترى ساقيه، كان يرتدي بنطالاً بلون أحمر قاني غامق، رفعت نظرها أكثر لترى قميصاً أبيض حريزاً، ثم رفعت أكثر لترى صدره بارزاً من ياقة القميص المفتوح، ثم رفعت ليطالعها عنقه العاجي، رفعت أكثر لتستقر عينها أخيراً على ملامح وجهه الجميل.

- أجمل منه لم ترَ قط عيني، حبيبي جميل حبيبي أثير.

ترددت تلك الكلمات في عقلها وهي تنظر نحوه بحب كبير، وقلبها يطير من السعادة، التقت عيونهما بعشق كبير.

مدّ يده نحوها فمدت بالمثل يدها فسحبها بخفة لتصبح ملتصقة على صدره فوصلتها رائحة عطره، قال لها ووجهه قريب من وجهها وأنفاسه العطرة تلفحها:

- (منيّتي) أمستعدة؟

همست كالمنومة مغناطيسيًّا:

- معك أنا دائمًا مستعدة.

قبّل جبينها بين عينيها، ثم شعرت به يحملها من خصرها بذراع واحدة، وتراءى لها باب مضاء يقبع خلفه، وما هي إلا لحظات حتى شعرت بنفسها طافية في دوامة غريبة! وضوء يبهرها.

فجأة شاهدت ساحة كبيرة مضاءة رغم عتمة الليل، ويقف أمامها جمل موليتها ظهره، كان منظره غريبًا ومختلفًا عن جمالنا.

نظرت نحوه بحذر، فلم تكن ممن يركب الجمال، همس لها (جَمُنون) مشجعًا:

- لا تخافي.

هنا رفعها (جَمُنون) بخفة لتصبح على صهوة الجمل، ولاحظت أن رقبته أعرض من الجمال في عالم الإنس، ورأسه أطول وأعرض كأنه مفلطح، فجأة بدون مقدمات رأت رأس الجمل يلتف نحو قدمها في مرونة عجيبة ويقبّلها! وهو يقول بصوت غليظ:

- أنا بأمرِك يا مولاتي.

انتفضت (منى) دهشة، فالجمل يتكلم ثم ابتلعت دهشتها، فما قد رأته من قبل لم يكن أقل غرابة.

رأت (جَمْنون) يمتطي صهوة جمل آخر أسود اللون وأكبر حجمًا، سار الجمل بسرعة الريح و(منى) تمسك لجامه بقوة لتجد نفسها في لحظة داخل غابة كبيرة خضراء مورقة، كان الجو يحمل برودة لطيفة بعكس حرارة الصيف في عالمها، والوقت نهار بعكس الليل في عالمها.

سمع (جَمْنون) أفكارها فقال لها:

- عالمي وبعدي عكس عالمك وبعذك، فإن كان نهار لديكم فهو ليل لدينا، وكذلك الفصول تتعاكس.

راحت (منى) تتأمل المكان بافتتان وقالت بانبهار:

- لا أصدق كمية الجمال الذي أراه!

اقترب مع جملة منها وقال وهو يشير بإصبعه نحو الأشجار:

- انظري إلى الجمال هناك.

نظرت حيث أشار فأذهلها ما رأت! حوريات الفيري، الفراشات الجنيات اللاتي كانت تقرأ عنهن وتراهن في الأفلام، واللاتي لدى أبنائها الإنس مرافقات مثلهن، وكن بأحجام كبيرة كالإنس، وحولهن الجنيات الفراشات الصغار كعقلة الإصبع.

كان منظرهن وهن يطرن خلابًا، بأجسامهن الرشيقة، وفساتينهن الحريرية القصيرة، وألوان شعورهن وأجنحتهن المتنوعة.

أخذت (منى) تسبح الله على عظم خلقه وتذكرت قوله تعالى:

«وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» (85 سورة الإسراء).

فجأة لاحظت تبدلاً في شكل بعض الأشجار، فتحت عينها للتحقق، وهنا هالها ما رأت، مخلوق خرج كالشجرة فقد كان متنكراً بهيئتها كبعض حشرات الإنس التي تتنكر وتموه لتخدع فريستها وتأكلها، أو ربما هذه هي هيئتها الحقيقية.

هجم المخلوق الطويل القبيح، وانقض على إحدى الفيري ليفترسها، هنا صرخت (منى) بذعر وأخذت تبكي بينما الجنيات أخذن يهربن، قال (جَمُنون) بحدة:

- لنخرج الآن من هنا.

اختفى المنظر وقد انتقلنا إلى مكان آخر.

قالت (منى) من بين دموعها بقهر:

- لماذا لم نساعدهن؟ لماذا؟

أقرب منها (جَمُنون) بجمله وضمها لجناحه وقال برقة:

- إنه قانون الطبيعة يا حبيبتي، فهناك المفترس وهناك الفريسة، وكما ترين في عالمي هناك الجمال وهناك القبح، هذا واقع الأمر، ولتزدادي قوة عليكِ برؤية كلا الوجهين للحياة، فأنتِ الآن ملكة، وعلى الملوك أن تكون حصانتهن النفسية أقوى من كل الخلق.

أخذت تقلب كلماته في رأسها ثم مدّت يدها وأمسكت بيده وابتسمت له وقالت:

- لندع جملينا يسيران جنبًا إلى جنب، لا تبتعد عني ولا تترك يدي وأرني المزيد أكثر.

سار الجملان قليلاً ثم توقفا لترى مشهداً لم تحلم أن ترى مثله قط!

كان أمامها بمسافة بعيدة أربعة رجال، ولكنهم ليسوا رجالاً عاديين، بل كانوا عمالقة!

نعم عمالقة!

وكانها تشاهد فيلماً أو رسوم كرتون.

عمالقة يصل طول الواحد فيهم إلى 15 مترًا تقريبًا وأجسادهم ضخمة، وعضلاتهم ضخمة وبأيديهم هراوات.

همست بدهشة:

- (جَمْنون) عمالقة! أهم موجودون فعلاً؟!

قال لها بهدوء:

- نعم، وفي مملكتي كل الأصناف التي تربيها، فأرضنا واسعة ومترامية الأطراف، متنوعة الأنواع والأديان.

هنا رأيت مجموعة جنود من الجن بحجم البشر وأشكال البشر، يجرون نحو العمالقة وهم يمتطون أحصنتهم، فهجم العمالقة عليهم، ورغم ضخامتهم لاحظت أن الجن العاديين أذكى ويراوون الهجمات، بينما العمالقة واضح عليهم الغباء، أم نقول: نقص الذكاء؟

هنا لم تتمالك (مئى) نفسها فتركت يد (جَمْنون) وانطلقت بجملها لتقف في المنتصف و(جَمْنون) يلحق بها ذاهلاً وخائفاً عليها!

صرخت بقوة:

- أوقفوا القتال.

توقف بالفعل الطرفان بذهول، و(جَمْنون) يقف معها، ليظهر من العدم حرسه فيحيطون بهما.

صرَّ (جَمْنون) على أسنانه وقال بحدة:

- ما الذي تفعلينه؟

قالت بصوت عالٍ:

- أَلستم بتابعين للحاكم نفسه والبلد نفسه؟

رد قائد الجيش المهاجم للعمالقة بحيرة:

- بلى.. وأنتِ لستِ من هنا.

نظر نحوه جنرال (منى) الحارس وقال بحدة:

- تكلم معها بأدب فهي ملكتنا.

تعجب القائد، ولكنه نظر نحو (جَمْنون) وحرسه فأدرك من أمامه ومدى قوتهم، ثم أجاب (منى) قائلاً:

- صحيح نحن نتبع القبيلة نفسها، ولكن هؤلاء العمالقة هربوا منا واتخذونا أعداء.

نظرت (منى) نحو أحد العمالقة ورأت مدى براءة وجهه.

طلبت من (جَمْنون) أن يرفعها، تردد لحظة ثم نظر لعينيها بثقة وفعل.

ترك جملة وحملها من خصرها وطار بها.

خاف العملاق، ولكن (منى) وقفت على كتفه وأشارت لـ (جَمْنون) أن يتركها، ابتعد عنها متراً واحداً فقط وعيناه مسلطتان على العملاق حتى لا يؤدي حبيبته.

همست (منى) في أذن العملاق قائلة:

- هؤلاء الرجال ليسوا بأعداء.

ارتبك العملاق وقال بلغة مكسرة:

- هم يهجمون، هم يتكبرون.

ابتسمت (منى) إذ أدركت أن إحساسها وبصيرتها كانا على حق، فهي شعرت منذ بدء المعركة بأن العمالقة لا يعرفون شيئاً ويفهمون النوايا خطأ.

أمسكت بكل شجاعة خده ووضعت وجنتها على خده، وأغمضت عينها تبث فيه الطمأنينة، فهذا العملاق وأخذ يبتسم براحة، تبعه في ذلك العمالقة الذين قلدوا أسلوبه فقد كان زعيمهم.

دُهِش الجن من صنعها وهم يرون هالة نور كبيرة تنطلق من جسمها وتكبر وتكبر، حتى قال العملاق بهدوء:

قديسة وملكة النور

عندما أصبحت (منى) على صهوة الجمل، لاحظت أن حرس زوجها اختفوا من جديد، أمسكت لجام الجمل بقوة عندما ركض بسرعة الريح لتجد نفسها في قرية

بها منازل فارهة، ولكنها لاحظت الفتيات فيها عابسات وبينهن لغط وهرج، سألت (جَمْنون):

- من هؤلاء؟

قال لها وهما يقفان بعيدًا عنهن:

- هؤلاء من إحدى قرى مملكتنا، ولهذا لن أظهر لهم.

قالت له بحيرة:

- فإدًا لماذا جئت بي إلى هنا؟

قال لها:

- (منيتي) إنهن من العوائل المعروفة في هذه القرية، وقد تعرضن لتعويذة أدت إلى مرضهن، فهل لك أن تعالجهن؟

تفاجأت (منى)، وقالت:

- كيف؟ أتعني بالرقية الشرعية؟

اقترب منها وقال:

- انظري إلى يدك.

نظرت (منى) إلى راحة يدها اليمنى، فصدمت للنور الأبيض الذي خرج منها!

نظرت نحو (جَمُنون) بدهشة وقالت:

- أهذا هو النور الذي أخبرتني عنه؟

قال لها بفخر:

- أنتِ في عالمي الآن، وعليه من المفترض أن تري هالات كل شيء، ومنها هالتك،
النور يغشاك، فأنتِ زوهرية ملكية، وطاقة النور تحيطك، ويدك معالجة.

نظرت نحوهن وقالت مفكرة:

- أحب أن أساعد الآخرين، سأحاول.

قال محذراً:

- لا تقولي سأحاول، فاليقين مهم جدًّا لنجاحك، بل قولي سأفعل بعون الله.

فعلت ما قال، ثم أخذها الجمل نحو أولئك الفتيات، نظرن نحوها فإذا بالجنرال
الحارس يقف جوارها، ففهم أنها من علية القوم، سألتها إحدى الفتيات:

- أنا ابنة شيخ هذه القرية مرحبًا بك، من أنتِ؟

ثم قطبت جبينها وتأمّلت (منى) بحيرة ثم قالت:

- أنتِ ما أنتِ؟ لستِ جنية.

قالت (منى) بثقة:

- جئت لأساعدكن.

نظرت الفتاة نحو التاج المستقر على رأس (منى) ثم نحو الحارس والشارة المعلقة
على صدره، هنا فهمت فانحنيت باحترام وقالت برهبة:

- أنتم من قصر الحاكم؟ أنا بأمرك.

هنا قفزت (منى) من على ظهر الجمل وكأنها تطفو، ففي بُعد الجن لديها خفة
وقدرات ليست كما في بعدها، ووضعت يدها اليمنى على رأس الفتاة وأخذت تردد

«نور على نور»، «الله نور السماوات والأرض»، كانت تشعر بطاقة نور هائلة تأتيها من السماء وتخرق جسدها وتخرج من يدها، فتغمر جسد الفتاة، ثم فعلت مع خمس فتيات أخريات، وهنا شعرت الفتيات بأن الألم والضيق انصرفا عنهن، و(منى) معلقة في الهواء والنور يشع منها، فصرخت الفتيات بتبجيل واحترام:

- إنها قديسة النور، إنها الإنسية قديسة النور، إنها زوجة الحاكم.

ثم خرج شيوخ القبيلة واندفعوا جهة (منى) وانحنوا احترامًا لها، همس الجنرال لها:

- لننصرف يا مولاتي قبل أن يلاحظوا وجود جلالته.

ابتسمت (منى) بانسراح عجيب وسلام داخلي، وقوة هائلة تغزو روحها، وتعجبت من وضعها الذي خلقها الله عليه والذي لم تكن ستعرف عنه لولا (جَمْنون).

طاف جسدها لتعود إلى ظهر الجمل، الذي سار بها بسرعة الريح، حتى وجدت نفسها في ساحة قلعة رخامية فاخرة لقصر جميل.

قالت ل(جَمْنون) بذهول وحيرة:

- للتو فقط بدأ عقلي يستوعب كينونتي، وها أنت تحضرني إلى هنا، أرغب أن أسترد أنفاسي قليلاً، ولدي أسئلة تحيرني.

اقترب منها وقال بحب وهدوء:

- اسألي ما شئت.

قالت بحيرة:

- لقد طفوت، أو طرت لا يهم المسمى، ولكنني كنت كأني جنية! كيف؟

- إنها قوة داخلية تكون لدى الزوهري المتمكن، أن يطير، أن يمشي على الماء، ولكن لأنك في عالمي وقد أطعمتك عينيًا ثالثة بها أسرار عظيمة، فأنت قادرة على ذلك، حتى لو كان لمسافات محدودة، وأنا أستطيع أن أطيّر بك لمسافات أطول، أيضًا وسائل أخرى تساعد على الطيران كالأحصنة المجنحة والتنانين وغيرها.

أخذت (منى) تتدبر كلماته عندما سمعت خربشة قادمة من بين الأعمدة.

نظرت نحو مصدر الصوت فرأت عائلة قبيحة دميمة، عظيمة الأجسام، بشرتهم تتراوح بين اللونين الأخضر والرمادي، وفكّهم طويل تبرز منه الأنياب، ولم يكونوا يرتدون الثياب، ومنظرهم مقزز وأطوالهم تقارب المترين، لاحظت وجود رجل وامرأة، وفتى شاب، وصبي وفتاة صغيرين.

تخاطر معها (جَمْنون):

- هؤلاء الغيلان.

ارتعدت (منى) للحظة ثم تماسكت وتأمّلت بصمت، فجأة خرجت عائلة أنيقة وجميلة من القصر، طفل ووالداه وخدم، يجرون صواني عملاقة على الأرض عليها قطع لحم نيئة، وأحد الخدم يجر ما يشبه الماعز التي لا تزال حية.

همس (جَمْنون) لـ (منى) قائلاً:

- هذه كالصدقة على الغيلان بشرط أن يأمنوا شهرهم، وعدم اعتدائهم على أهل هذا القصر.

طأطأت (منى) رأسها واستمرت تتأمّل المشهد.

أخذ الغيلان كل العطايا، وبدؤوا يرحلون عن المكان، هنا عادت الزوجة وزوجها والخدم داخل ذلك القصر، بينما بقي الطفل الصغير يقفز ويلعب.

وهنا سمعت (منى) و(جَمْنون) الغيلان يتحدثون بلغتهم، مما يعني أنهم لم يرحلوا بعد، ولكن الدهشة عندما فهمت (منى) لغة الغيلان وكان فحوى حديثهم: أن الطفل الغول يطلب من أمه الغولة أن يأكل طفل الجن الصغير الذي يلعب هناك لأن منظره أسال لعبه. والأم تقول بمكر:

- اخطفه بسرعة قبل أن ينتبه أهله.

هنا صرخت (منى) محذرة إياهم:

- هيبه، أنتم غدارون وناقضو عهد، أقسم إن اقتربتم من الطفل لأنحرن رؤوسكم، هذا تعدد وأنت أيتها الأم الماكرة، كان الأحرى عليك أن تعلمي ابنك معنى العهد والميثاق.

الدهشة لا توصف في نظرة الغيلان ل (منى)! لأن (منى) نفسها صدمت من اللغة التي خرجت من شفيتها! فقد كانت لغة الغيلان.

اقترب (جَمْنون) من (منى) فشاهدته الغيلان وعرفوا من هو، فخرخوا على الأرض وجثوا احتراماً، والأب يولول متضرعاً:

- لا تعاقبنا مولانا، لا تعاقبنا، التوبة التوبة!

هنا خرجت الزوجة وزوجها وقد افتقدا ابنيهما، وعندما حضرا فهما المشهد.

جثت الأسرة الراقية أمام (جَمْنون) وزوجته، وهم يشكرونهما على حماية ابنيهما، أصدر (جَمْنون) الحكم على الغيلان الغدارين بالنفي من هذه المدينة التابعة لمملكته، وهكذا حمت (منى) الطفل الصغير من الغدر والخيانة، وما أذهلها

قدرتها على فهم لغة الغيلان!

عندما همًّا بالرحيل نظرت (منى) إلى اللوحات التعليمية الموجودة في الطرقات بلغات الجن المتعددة، فأذهلها أنها تفهم فحواها، هتفت لـ (جَمْنون) بدهشة وفرح:

- حبيبي أنا أفهم لغتكم، كيف؟ كيف؟ أنت علمتني بضع كلمات ولكن كيف استطعت أن أفهمها دون دراسة متعمقة؟

مدَّ (جَمْنون) ذراعه نحو خصر (منى) ثم رفعها بسرعة وأجلسها أمامه على جملة، ونظر نظرة عميقة في عينيها وقال بقوة:

- وقد أطعمتك البصيرة، فهي كفيّلة بأن تريكِ العجائب وسأطعمك روجي نفسها إن كان في ذلك سعادة وقوة لكِ.

لمعت عينا (منى) في رجفة حب ودهشة من شخصه الكريم، قالت له بصدق:

- وأنا أفديك بروحي لأحميك وأفديك.

اقترب منها وهمس عاشقًا:

- روجي وروحك واحدة.

انحنى يقبلها بعمق أسكر روحها، وصوته يتسلل إلى عقلها قائلاً:

- انتهت هذه الرحلة، لنعد لطفلينا.

شعرت بأنها تطفو داخل غيمة بيضاء وذراعا (جَمْنون) تحيطانها، ثم ضوء قوي أجهر عينيها وشعرت بالضغط على مكان عينيها الثالثة، وهنا شاهدت البوابة التي عبرتها من قبل لثوانٍ معدودة رأتها وعبرتها، لتجد نفسها جالسة على سيرها وهي تستكن في حضن (جَمْنون). بقيت مستقرة على صدره لدقائق ثم رفعت رأسها ونظرت نحوه بعشق أسكر روحها، وهمست بصوت متحشرج:

- أحبك (جَمْنُونِي) أحبك، بل أعشقتك، بل أعبدك، أنت أنت العالم وما فيه أنت البدايات والنهايات غير المنتهية، ابقَ معي، ابقَ معي إلى الأبد.

قال لها بحنان ووجهه يعكس عذوبة روحه:

- إلى الأبد وما بعد الأبدية.

سمعت صوت ابنيها يهتفان: «ماما» «بابا».

نظرت بلهفة نحو مصدر الصوت لتشاهد فرحة طفليهما الصغيرين محمولين على أذرع العمات، وكانا يشيران بأكفهما الصغيرة أن: ضَمَّانَا ضَمَّانَا.

ضحكت (منى) مبتهجة واندفعت فحملت أميرتها الصغيرة، بينما (جَمْنُون) حمل الأمير الصغير.

قبّلت (منى) ابنتها بإفراط وتقدمت نحو ابنها الفرح بين ذراعي والده وقبّلتها بإفراط، ثم نظرت نحو حبيبها (جَمْنُون) وقالت ببهجة:

- من الجيد أننا بقينا بضع ساعات وعدنا لهما، ولم نبق ثلاثة أيام.

ضحك (جَمْنُون) وغمز لها قائلاً:

- بل غبنا ثلاثة أيام مرت كثلث ساعات في عالمي.

فغرت (منى) فاهها! فضحك أكثر وقال بمرح:

- بعد كل ما مررت به لا تزالين تصابين بالدهشة!

مد إصبعه ووضعها تحت فكها السفلي ورفع برقة للأعلى لتبصم شفثيها في حركة جعلت (منى) تضحك بخفة وقد احمرَّ خذاها حرجًا.

تجربة غريبة! لكنها أسعدت روحها التواقّة إلى العالم الواسع وخفاياه، رحلة أكد فيها (جَمْنون) وعوده وحديثه عن قدراتها.

شعرت بالسلام الداخلي ونامت في أحضانه قريرة العينين، حتى فاجأتها آلام المخاض وهي نائمة وترى ابنها في منامها يحمل أخاه التوأم على كتفيه، نهضت وهمست بألم:

- (جَمْنون).

فاجأها ردّه وهو يقول بتوتر حاول أن يخفيه:

- تتألّمين؟ أعرّف يا حبيبتي، لا تقلقي أُمّي في طريقها إلى هنا والأطباء حولك.

أدركت (منى) أن الجنّ سبقوها في معرفتهم بوضعها، أغمضت عينيها وسلّمت أمرها إلى الله وهي تدرك أنها في أيّد أُمينة، وأن الغد سيكون يومًا جديدًا مختلفًا عن اليوم.

(22)

(جُنْيَاه)

«إن القاتل يُقتل ولو بعد حين»

فعليك اللعنة أيتها الجنية

فعليك سينزل عقابي

مملكة الجن

(تحكيها منى)

جاء المخاض في ساعات صباح اليوم التالي، وكان والدا (جَمْنون) والحاشية ونخبة القوم والأسقف قد جاؤوا جميعًا.

كنت أشعر بالطمأنينة عندما أمسكت بيدي أم (جَمْنون) ووالده يمسك بيدي الأخرى، وإجراءات الولادة السابقة نفسها حدثت معي، ولكن آلام المخاض الآن أقوى، أم لأني أصبحت أراهم ودخلت عالمهم زاد شعوري بذلك؟ خفت من أن تكون الولادة مؤلمة وليست كالسابق.

هتف (جَمْنون) بحماس:

- الرأس أراه يا حبيبتي.

دفعت وأنا أدرك أن الألم لا يزال محتملاً وليس كما ولادتي بالإنس فالحمد لله.

وُلد الطفل الأول، الكل كانوا يهتفون حماسًا و(جَمْنون) يبكي فرحة، فبكيت فرحة برؤية صغيري الجميل، وضعه (جَمْنون) على صدري وهو يقبّل وجهي قائلاً:

- ابنا (كيناي).

كنت أنظر نحوه غير مصدقة فأخوه (السكندر) كنت أشعر به ولم أره لحظة الولادة، بل شعرت به وشممت رائحته، أما الآن فأنا أرى مولودي الصغير، أرى عينيه اللامعتين، وشفتيه الرقيقتين وبشرته الناصعة البياض كوالده، وشعره الأشقر الناعم.

قبّلته برقة وكأنه سينكسر، ورغم تعبي إلا أنني أخذت أرضعه، وما هي إلا 10 دقائق حتى عاودني الألم من جديد، فحملت أم (جَمْنون) الطفل استعدادًا لاستقبال أخيه.

هتف (جَمْنون) والدموع تغلبه:

- أرى رأسه.

خرج طفلي للحياة، وكان طبق الأصل من أخيه فهما توأمان متماثلان.

الدنيا لم تسع عائلة (جَمْنون)، لم أكن أرى الجميع بوضوح إنما كالظلال ما عدا والدة (جَمْنون) التي كانت واضحة أمامي.

همس (جَمْنون) بفرح وهو يقبّل جبيني:

- إنه طفل جميل ومعافى، هذا ابنا (كينون).

قبّلته وأرضعته ثم أخذوه مئّي لينظفوه، وهنا انهالت التبريكات من والد (جَمْنون) وأخواته، ثم سمعت تبريكات من البقية الذين لا أعرفهم حقًا، إلا أنني امتننت لتبريكاتهم وفرحتهم بطفلي.

أحضرت والدة (جَمْنون) (كيناي)، بينما أرى أحدًا يحمل (كينون)، ولكن ملامح من يحمله غير واضحة لي، ولكن شعرت بأنها أخت (جَمْنون) وعمة الطفل، وضعت أم (جَمْنون) الطفل على صدري بينما حمل (جَمْنون) الطفل الآخر ووضعه على صدري وساعدني لأرضعهما، كنت ممتنة لله أن أراهما وأرى حبيبي (جَمْنون)، والعجيب أن طفلي التوأم (السكندر) و(ساندرا) كانا حاضرين الولادة رغم أنهما طفلان صغيران، إلا أن وعيهما يتعدّى أطفال البشر في هذا العمر.

كنت مجهدة فحملوا مني الطفلين وشعرت بهم وهم يغيرون المفارش وثيابي، ثم

غططت في نوم عميق بعد هذا التعب ولذة الإنجاز.

ربما مر على نومي ثلاث ساعات وكنت أشعر بأن عظامي مكسرة، هنا شعرت بمن يسحبني من قلمي لأقع على الأرض.

تأوّهت بوجع. ما الذي يحدث؟

فجأة شعرت بمن يرفعني عن الأرض ثم يضربني على الأريكة المجاورة لسريري.

صرخت بألم وحنق:

- آآه توقف!

هنا لاحظت من المعتدي، كانت هي.

تلك الفتاة الخبيثة التي تعشق (جَمُنون) وتطمح أن تكون له زوجة، حتى لو زوجة ثانية، كانت هي ابنة رئيس الوزراء (تاسيا).

صرخت بحنق فيها رغم تعبي وأنا أحاول الجلوس على الأريكة فلا طاقة لي بأي جهد:

- توقي، أيتها الغبية أنتِ الآن لن تكسبي عداوتي فقط، بل عداوته هو.

أي (جَمُنون). هنا ويا لقوتها! أخذت ترفع الأريكة التي أجلس عليها بيدها لأعلى حتى صرت قريبة من السقف وهي تصرخ بجنون وحقق:

- عليكِ اللعنة لن تعيشي إلى الأبد، لن أدعك تعيشين، موتي موتي، فهو لي أنا.

همست بإجهاد:

- أعوذ بالله منك.

هنا شعرت بحضور (جَمْنون) وصوته الهادر يصرخ بها:

- أنزليها بهدوء الآن.

شعرت برجفة ذراعيها وهي تنزلي ببطء.

انطلق كالسهم نحوي وحملني بين ذراعيه وقال بخوف وتوتر:

- أنتِ بخير حبيبتي؟ هل تأذيتِ؟

هزرت رأسي بنفي وتعب:

- لا، لكنني متعبة جدًا.

نظر نحو (تاسيا) والشرر يتطاير من عينيه اللتين أصبحتا حمراوين كالدم، وشعرت بجلده يصبح أحمر متوهجًا كالنيران، صرخ بصوت زاجر غاضب:

- يا حراس! أخرجوا هذه الخبيثة فورًا قبل أن أمزقها، فمن اليوم هي عدوتي.

دخل الحرس باضطراب، فقد دخلت (تاسيا) بحيلة كونها ليست فقط ابنة رئيس الوزراء، بل وصديقة الأميرة (روبيكا).

كانوا مضطربين خائفين من خوف ملكهم ومن خطأ تقديرهم، أخرجوها بسرعة وهي لا تزال تكابر ألا يلمسها أحد، كانت الخبيثة تعرف مقامها وابنة من هي فاستغلت ذلك، ف (جَمْنون) لن يعاقبها عقابًا شديدًا حفاظًا على العلاقات التي تقيم المملكة.

أخذ يزفر ويزفر محاولًا أن يهدأ وأنفاسه كاللهب.

وضعتني برقة على سريري وأمر الجنرال ألا يتحرك من عندي أبدًا.

همس وهو يمسخ على رأسي:

- نامي وارتاحي.

مسحته على رأسي عملت عمل السحر فنمت بعمق، كنت أشعر بمن يخرج ثديي لأرضع الطفلين دون أن أبذل أي جهد يذكر.

في اليوم التالي سمعت رئيس الوزراء يقول بأدب:

- أعتذر لسموك عما بدر من ابنتي.

بقيت متسمة مكاني أركز فيما سمعت، هنا قال (جَمْنون) متخاطراً:

- لقد تم طرد ابنته من حضور الاحتفالات، وهذه إهانة كبيرة لأسرتها، فقد عادت مع أمها، وهذا اعتذار لك من والدها رئيس الوزراء بنفسه، وإنه اعترف منه وتقدير بمكانتك التي كان يتمناها لابنته.

قلّبت حديثه والموقف في رأسي للحظات، ثم قلت لـ (جَمْنون) متخاطرة:

- رئيس الوزراء مقامه عالٍ جدًّا في المملكة.

- صحيح.

- أفهم حساسية المنصب، ولكن أخبرني ليهداً غضبي، هل نهرتها بنفسك؟ هل صرخت عليها؟

- بالطبع، لقد تماكنت نفسي بالقوة، فكم تمنيت لو قتلتها.

زفرت بحرارة ثم قلت لرئيس الوزراء:

- أقبل اعتذارك وأقدر بادرتك، على ألا تكرر فعلتها مرة أخرى وإلا فسيكون عقابها

على يدي.

شعرت بتوتر وضيق انتشر للحظات في الجو منبعمها رئيس الوزراء الذي لا أراه، وما هي إلا ثوانٍ حتى اختفى الشعور بمعنى أنه قد رحل من أمامي.

قلت بحنق وغضب:

- لقد تضايق من تهديدي، فليبتلعه كيفما شاء، فأنا لن أعفر لهذه الخبيثة هجومها علي، ولن أدعها تقترب من أطفالي أبدًا.

ضميني (جَمْنون) لأهدأ وقال بقهر:

- المشكلة أنها ستكون موجودة في كل المناسبات، تعاملني معها وكأنها الظل الذي لا جسد له، المهم أنتِ زوجتي وحببتي وأم أطفالي.

أخذت أزر وأتنفس بقوة لأفرغ غضبي، هنا سمعت ابني (السكندر) يقول بلطف:

- ماما، ماما.

التفتُ نحو الصوت فشاهدته يفتح ذراعيه لأحمله، وعندما فعلت سرى في مفعول السحر فتغير مزاجي وراق خاطري.

كانت احتفالات استقبال المولودين على قدم وساق. قالت لي ابنتي (تولين):

- أي في البيت فرحة كبيرة أشعر بها.

ابتسمت وضممتها إلى صدري وقلت:

- ما تشعرين به حقيقة، فالفرح نحن نصنعه بأرواحنا الإيجابية المشرقة.

قال لي (جَمْنون):

- بعد يومين حفل السابع للطفلين، بعد ذلك يا (منيّتي) أرغب أن تبليغي (سمية) أن تأخذ أطفالك لديها مدة ثلاثة أسابيع إن أمكن.

قظّبت جبيني وقلت بدهشة:

- إنها مدة طويلة أغيبها عن صغاري.

قال متفهّمًا:

- أعرف، ولكن حان وقت تقديمك إلى عالمي بشكل رسمي.

قلت بفرحة وحيرة:

- حقًا؟ ولكن ماذا أقول لأطفالي والناس حتى لا يتصل بي أحد؟

صمت لحظات ثم قال بذكاء:

- اتفقي مع (سمية) أن تخبر الجميع بأنك في منتجع صحي يحتم عدم استخدام الهواتف، وبأن (سمية) فقط تستطيع الاطمئنان عليك عن طريق الرسائل النصية فقط.

نفذت ما طلب مني ووافقت (سمية) على ذلك بكل حماس وهي تقول بعتب:

- لم تحكي لي كل شيء عن المرة الماضية، ولكن هذه المرة أخبريني كل شيء، ولا تحملي هم عائلتنا، فسأستتر عليكِ بعبقريتي المعتادة.

ضحكنا وتركت أبنائي والخدم لديها، ثم عدت إلى منزلي، لم يكن مر على ولادتي سوى أسبوعين، ولكنني كنت نشيطة ورشيقة وكان شيئًا لم يكن.

أخبرني (جَمَنوني) بأن هذه المرة سيأتي كل أطفالنا الأربعة معنا إلى عالمه لنقدمهم

بشكل رسمي لعالم الجن.

كنت أشعر بالحماس خاصة لأن لدي تجربة سابقة، فلم أكن قلقة إلا من رد فعل الجن هناك على هذه الملكة الإنسية الدخيلة عليهم.

جاء اليوم الموعد وقد سبقنا والدا (جَمُنون) بحاشيتهما، والآن جاء دوري و(جَمُنون) وحاشيتنا وأولادنا.

جلست على السرير كالمرة الماضية وقد كنت أرتمي فستائًا من المخمل لونه أزرق ملكي ثقيل، فالجو في عالمه بارد عكس الصيف لدينا، وقد رفعت خصلات شعري الطويل للأعلى مع إنزال خصل منه، وتزيّنت بالألماس والزمرد الأزرق من عالم الإنس، ووضعت كذلك تبرجًا كاملًا أنيقًا وناعمًا وكأني ذاهبة لسهرة فاخرة وهي كذلك بالفعل، وأنا أدرك أنني أرتمي من مجوهراتهم ومن ثيابهم، ولكن أحببت أن أحضر بزيتي الخاصة بكل رضا عن ذاتي.

رأيت ضوءًا أجهر عيني ومنطقة العين الثالثة في عيني تنكمش بألم خفيف، وصوت تكسر كقشر البيض أسمعته في ذهني ثم صفت الرؤية فأريت بوابة تختلف عن السابقة كانت على الحائط الأقرب لسريري وبرواز البوابة من الذهب والنقوش الغربية، ظهر لي (جَمُنون) وهو يرتدي ثيابًا فاخرة تذكرني بثياب الأوروبيين الأرستقراطيين في القرن الثامن عشر، وكان يتعمد أن تكون ألوان ثيابنا متوافقة، فقد كان يرتدي اللون الأزرق الملكي مثلي، ونقوش ذهبية طرزت ثيابه.

تقدم نحوي بخفة وهو يطفو، كان باهرًا بتفاصيله وتاجه الذهبي المرصع بالجواهر، مد يده نحوي ووجهه ينطق سلامًا وراحة وقد حقق وعوده لي.

أمسكت بيده فوجدتني محمولة بذراع واحدة منه، قلت له لاهثة:

- وأبناؤنا؟

قال بمرح:

- لا تخافي هم معنا، ولكنك الآن لا ترينهم اصبري وسترين كل شيء.

دق قلبي بسرعة وأنا أعبّر الممر الضوئي، وجدت نفسي أقف في مكان مُظلم أشبه بالغابة، ومن بين الأحرّاش تقدم نحوي، نمر أسود جبلي، سواده بهيم، هيبتته تهزّ الجبل من تحت قدميه، كبير الحجم، جميل المحيا رغم أنه خطير ومفترس، كان يمشي الهويبي وهو يتقدم نحوي، حينها التقت عيناى بعينيه الخضراوين، قفز قلبي فرحة وأنا أرى الدفء والحنان والحب في عينيه، ركض نمر ال (جاكوار) نحوي، فتحت ذراعِيّ بلهفة لأضمه نحو صدري كم فرحت عندما استقر رأسه بين يدي لأضعه على صدري، فأخذ يفرك رأسه على صدري بكل محبة ودفء وشوق، وعندما رفعه لتلتقي عيناى بعينيه انتفض قلبي وأنا أرى تينك العينين.. كنت أعرف يقينًا أنه حبيبي (جَمْنون).

قال لي متخاطراً:

- اركبي على ظهري وتمسكي بي جيداً.

ركبت على ظهره وأمسكت بقوة بفروه الأسود الكثيف والناعم.

ركض بي بسرعة الريح لأصل لحافة الجبل الشاهقة فرأيت ما لا يحق للبشر رؤيته، وقد هالني ما رأيت!

كنت في وسط ظلمة المكان، إلا أنني أرى بوضوح أمامي غيمة كبيرة هائلة الحجم ومنفرجة من وسطها، ومن هذا الانفراج شاهدت بوضوح الشمس المشرقة وسماء النهار الزرقاء.

قلبي أنبأني بأن هذه الشمس هناك في بعد الإنس، أما أنا فهنا في بعد عالم الجن والليل والظلمة يستتران المكان.

كنت أرى الفُرجة أو الفجوة بين العالمين أو البعدين.. عالم الإنس والجن.

فجأةً شعرت بنفسى أرتفع إلى أعلى السماء في منطقة شديدة الظلمة، ودغدغة في معدتي لأنني أرتفع لعلو شاهق، ورغم رهبة الموقف إلا أنني كنت مطمئنة بأني بين أيدي أمينة، (جَمُنون) كان يحملني من خلفي بهيئته الحقيقية ولا أعرف كيف في لمح البصر تخلى عن هيئة النمر وحملني؟

هنا طار بي (جَمُنون) لأرى من تحتي بيوتاً غريبة ظهرت لي رغم عتمة المكان، كنا كلما مررنا فوق بيت يضاء عليه ضوء أبيض فيصبح ظاهرًا لنا.

رأيت بيوتاً وحيوانات، والجن يسرون بينهم، والأغرب وجود سيارات تشبه نوعًا ما السيارات في عالمي!

أنزلني (جَمُنون) على ربوة لأقابل رجلًا بهيَّ الطلعة ووسيمًا.

نظر نحونا وابتسم قائلاً:

- يا إلهي! انظري كيف استطعت أن تأتي إلى هنا؟ مرحباً بكِ في دولة (الأجاليل).

نظرت إليه بدهشة وسعادة وقلت:

- أهذه هي دولة الملك (جَمُنون)؟

قال بفخر:

- نعم وإنها من أقوى ممالك الجن.

شعرت بالفخر ثم قلت بفضول:

- وما حاجتكم إلى السيارات وأنتم تطيرون ولديكم حيوانات تطير بكم؟

ابتسم بأدب وقال:

- وماذا عن رفاهيتنا إن أردنا الترحال دون جهد؟

- أمممم، نعم هذا منطقي.

نظر نحونا بأدب ثم دق جرسًا لم أكن منتبهة له، فرن صوته عاليًا وهو يقول:

- مرحبًا بكما في مملكة..

فُتحت بوابة من العدم، وهنا ظهرت لنا عربة ذهبية فاخرة تجرها الأحصنة
المجنحة.

وضعني (جَمَنون) فيها وقال لي مشيرًا إلى الخارج:

- انظري إلى تلك العربة.

نظرت فوجدت عربة بالفعل فاخرة وأكبر من عربتنا تقف خلفنا.

قال لي برقة:

- أولادنا وعزاباتهم مع عماتهم في تلك العربة، وإن الحرس يحيطون بنا.

اطمأن قلبي فاسترخيت على كتفه وتأبطت ذراعه وأنا كلي حماس للقادم.

كانت دقائق معدودة قطعها العربة وهي تسير بسرعة الريح أم أنها كانت تطير!

نزلنا من العربة لأجد أمامي بوابة كبيرة جدًا من الذهب، ونقوش غريبة تبرز منها، وهناك في المنتصف كان شعار عائلة (جَمْنون)، شعار غريب مهيب ومميز.

فُتح الباب فجأةً فمد (جَمْنون) يده وأمسك بيدي، سحبني لنداخل وأنا لا أرى أحدًا معنا، والمكان شديد الظلمة وواسع، ولكن بعد أن عبرنا الباب لاحظت شجرة عليها إنارة تضيء على مجموعة من الأرائك التي امتدَّت على يميني، بينما (جَمْنون) يقف كالعادة على يساري، وهنا على آخر أريكة والتي تبعد تقريبًا عشرة أمتار، رأيتها.

تلك اللعينة (تاسيا) تجلس باسترخاء وتستلقي على الأريكة دون اهتمام.

نظرت نحوي بغلٍّ ولم تقف احترامًا ولا تقديرًا.

هتفت بحنق موجهة كلامي لـ (جَمْنون) وبصوت عالٍ ومسموع:

- انظر إليها كيف تستمر بتعاليتها، ولا تقدم لا تحية ولا أدبًا ولا اعتذارًا؟! إنها حتى لم تقف أمامك احترامًا لسموك.

نظر نحوها (جَمْنون) فلم يكن قد انتبه لها أساسًا، وهنا لاحظ تعاليها وقلة احترامها لي وله.

غضب (جَمْنون) فصرخ بها ناهرًا:

- قفي على قدميكِ وقدمي الاحترام لمليكتكِ ومليكِ.

هنا انتفضت (تاسيا) ووقفت وهي ترتعد خوفًا بطريقة لم أرها من قبل، حنت رأسها وقدمت التحية بصوت مضطرب، وفي لحظة كلمح البصر أُضِيئَت الأنوار لتسطع بقوة وكأننا في ملعب كرة، لأرى أمامي بدهشة ساحة واسعة ويحيط بها مدرجات كالتي نراها في أفلام العصر الروماني وتحكي عن مدرجات المصارعة لدى

الرومان، وعلى تلك المدرجات كانت العائلة الملكية تجلس في الجهة الموالية ل (جَمْنون) والثياب الفاخرة والألوان المتعددة الزاخرة تظهر لي كلوحة فنية غنية بالحياة، وعلى كل المدرجات جلس أقوام أثرياء من الجن من قبيلة (جَمْنون)، وكان ظهورهم المفاجئ بمثابة الترحيب بي والإقرار بقبولي.

حينها شعرت بالحرّج، إذ إنهم كانوا طوال الوقت يرونني وسمعوا سخطي وتدميري، لذا اندفعت بخجل نحو (جَمْنون) ورميت نفسي في حضنه ودفنت وجهي في صدره وأنا أمسك بياقي قميصه لأخفي وجهي المحمرّ وأنا أقول بحرّج ضاحك:

- يا إلهي لقد كانوا هنا منذ البداية.

أمسك (جَمْنون) بكفي يدي ووضع رأسه على رأسي وقال بصوته الدافئ العذب:

- ارفعي رأسكِ باعزاز يا حبيبتي فهم الآن عائلتك يحمونك ويحبونك.

رفعت رأسي فالتقت عيناى بعينيه وشعرت حينها بالقوة والشجاعة.

التفت نحو تلك المدرجات التي امتلأت بمئات الأشخاص، ثم شخصت عيناى نحو والدي (جَمْنون) وبدهشة كبيرة وجدت أطفال الصغار بين أذرعهما!

- متى؟ وكيف؟ لا يهم، فالجن ليسوا مثلنا.

هنا سمعت صوت رئيس الوزراء نفسه قادمًا من جهة ابنته، نظرت نحوه فرأيته وهيبته، فقد كان رجلًا ذا طول وهيبة ويبدو عليه النبل والذكاء والدهاء.

وضع يده خلف كتف ابنته ودفعها برفق في حركة تعني أن قدمي احترامك بشكل أكبر.

قال بصوت يظهر في أوتاره الذكاء واللؤم:

- نرحب بكِ مولاتي بيننا، أما ابنتي فاعذري لها صغر سنها وطيشها.

دفع ابنته فحنت رأسها وقالت بصوت مغلوب:

- أهلاً بكِ وأعتذر عما فعلت سابقاً.

نظرت بعمق نحو والدها لأدرك أنه من الدهاء والدبلوماسية حتى ينهي الخلاف، طالما أنني الآن زوجة الملك، وأم ولي العهد والأمراء.

قلت بروية:

- لا بأس، وأشكر لك ترحيبك وقدمك وحسن تربيتك.

كنت دبلوماسية مثله أيضاً، ولن أكون في عالم واسع نحيف كهذا العالم، وفي منصب عالٍ تراق الدماء لأجله دون أن أملك الفطنة والحنكة لمواجهة، ودعوت الله سرّاً أن يكفيني شره وشركل ماكر حاسد.

أرض الذهب

(تحكيها مني)

- ما هذا الثراء؟

كان هذا أول ما خطر على بالي عندما أخذني (جَمْنون) وعائلته في موكب فخم انطلقاً إلى قصر الحكم، فرأيت ما لم تره عيناى من قبل.

ما هذا القصر الذي أبوابه من الذهب الخالص؟

أخذت أنظر حولي مشدوهة فحتى أفخم قصور الإنس لم تصل إلى هذا الإبداع والرفاهية.

الأعمدة المزينة بالمجوهرات، الأثاث فاخر والسجادات محوكة بألوان ورسومات باهرة، ولكن المذهل هو الخيوط الذهبية والفضية المَحوكة بها.

كيف أصف ما لم يكن له شبيهه من قبل؟

كل شيء من الذهب، كل شيء ينطق ثراء.

كنت في حالة من السعادة وأنا أرى الجن من قبيلة (جَمْنون) الخدم والجنود المستشارين، والوزراء، وعائلة (جَمْنون) جميعهم من جدّيه وإلى أصغر فرد فيها، والمحبة والترحيب يغمرانني، ومحبتهم لأطفالي وتقديرهم لهم كانا أكثر شيء أسعد خاطري.

أخذني (جَمْنون) إلى جناح نومنا، فكان كقصر آخر لكبر المساحات وتشعب

الغرف فيه، وكان أبنائي مجاورين لجناحنا.

نظرت إلى مفروش السرير الحريري، والستائر الحريرية والمطرزة بخيوط ذهبية، ثم نظرت إلى حبيبي نظرة فهم مغزاها.

كانت تجربة جميلة، هنا في عالم الجن نسجنا الحب ألوًا.

كانت هناك بركة مياه في دورة المياه الفسيحة والمقسمة لأقسام، كانت المياه تناديننا لنستلقي داخلها، حملني من خصري وأنزلي برفق، وهنا شعرت بالخرج عندما دخلت الوصيفات يحملن صواني ذهبية عليها زجاجات عدة، وإسفنج وغيرها من أمور العناية.

تقدمن نحوي ليفركن جسدي، ولكن (جَمَنون) منعهن وأخذ يفرك جسدي بنفسه تحت نظرات الخجل والدهشة من الوصيفات اللاتي رأين هذا الجانب الرومانسي من شخصيته.

كانه يحمل زجاجًا بين يديه، كان هكذا يتعامل معي، برقة مدهشة وكأنه يخشى أن يخدشني.

صبين زجاجات الزيوت العطرية فانتعشت روحي.

ثم في غرفة الملابس، أذهلتي كمية الثياب التي صُنعت لي! متى حدث هذا؟

المجوهرات وحتى الأحذية كل التفاصيل جاهزة هنا.

اخترن لي ثوبًا معيّنًا ليكون لباسي في مناسبة الليلة، وكان متماشيًا مع ألوان ثياب حبيبي (جَمَنون) والذي بالمثل كان حوله وُصَفاء لمساعدته وخدمته في غرفة ملابس مجاورة.

ارتديت الثوب الحريري في دهشة وأنا ألمس نسيجه الغريب، ما هذه اللمعة؟
وما هذا النسيج الخلاب؟

حقًا إن الجن قد تفوقوا علينا في علومهم! تذكرت كيف أن الجن بنوا للنبي
(سليمان) عليه السلام صرخًا ممردًا من قوارير، كان معنى هذه قطعة زجاج كاملة
لا فواصل فيها، حتى حسبته (بلقيس) ملكة سبأ مياهاً.

لا أعرف كيف أصف مشاعري، كن يزين شعري زينة غريبة لكنها جميلة، ثم
وضعن تاجًا طويلًا جدًّا ذكرني بملوك وملكات الفراعنة.

التجربة التي أدهشتني هي مساحيق الزينة للوجه، كانت مصنوعة عضوياً فأعطت
وجهي لمعة ناعمة، أحببت هذا العالم بقوة، فكيف أقبل الآن أن أعود إلى عالمي
بعد ما رأيت هذا الجمال الباهر؟!

دخل عليّ (جَمُنُون) فانتفض قلبي انبهارًا لمرآه، كان يرتدي ثيابًا حمراء قانية
مطرزة بخيوط من الذهب، ومطعمة بالمجوهرات، وعلى رأسه تاج أطول من
ارتفاع تاجي، وعلى أكتافه امتدّت عباءة فاخرة استقرت على الأرض وامتدت وراءه
بمترين.

اقتربت منه بافتتان وأمسكت يافته أهندهما وهي لا تحتاج إلى هندام، وهمست
له وأنا أقترّب منه وأستنشق رائحته العطرة:

- أحبك أكثر من نفسي، ومن الحياة، ومن العالم كله ومن فيه.

نظر نحوي برقة وعاطفته تلمع في عينيه، وأخذ يتأمل جمالي في ثوبي المشابه
للون ثوبه وعلى أكتافه عباءة مثله، نظر إلى التاج على رأسي فابتسم بسعادة ثم
انحنى وقبل شفّي أمام الخدم، وقال بافتتان:

- وأنا أحبك أكثر.

مدّ ذراعه اليمنى فتأبطتها وسرنا محاطين بالحرس نحو قاعة كبيرة، وهناك رأيت العرش.

أذهلني ما رأيت. كان مرتفعًا جدًا جدًّا، تفصله عن الأرضية درجات صُنعت من الذهب الخالص، والعجيب دون فواصل، وكأنه صفيحة واحدة بنوا منها هذا الدرج الطويل، والأعجب أن الدرجات عريضة بعمق متر ونصف المتر في عرض 6 أمتار، ويربط بين كل ثلاث درجات عريضة مجموعة من الدرجات الصغيرة المعتادة على طرف، وفوق في الأعلى كان هناك العرش، كرسي ذهبي كبير، وعلى يمينه كرسي ذهبي أصغر وأقصر منه.

همس لي (جَمْنون):

- ذلك هو عرشي.

لم أنبس ببنت شفة، فما أراه فوق حدود إدراكي وخيالي!

أشار إلى الجهة المجاورة لعرشه فانتبهت هنا لوجود منصة عرش أخرى كخشبة المسرح الكبير، ولكنها أيضًا من الذهب اللامع، حتى تخيلت نفسي إن مشيت عليها قد تزل قدمي لنعومتها.

وفوق تلك المنصة كان عرش الملك والد (جَمْنون) يجلس على كرسي فخم به نقوش ذهبية غريبة، ودمغة شعار الأسرة منحوتة فيه، وبجواره كان كرسي أصغر تجلس عليه والدة (جَمْنون)، وعلى يساره كان جد وجدة (جَمْنون) ثم على يمينه كان مقعدان فارغان.

اقترب مني (جَمْنون) وهمس:

- هذان مقعدانا، وهذه منصة العرش المشتركة.

مشيت بأناقة جواره وأنا ألمح بطرف عيئي الجن الأنيقين نساء ورجالاً منحنين
لتقديم الاحترام.

كنت أسير وأنا في حالة من الدهشة حاولت أن أسيطر عليها.

لاحظت أنه بجوار منصة العرش توجد منطقة مرتفعة قليلاً عن الأرض عليها
أرائك فاخرة خاصة بالعائلة الملكية، وهناك شاهدت أطفالاً بأجمل حلّة بين
أذرع عماتهم.

ابتسمت وأنا أشعر بجمال العائلة في حياة المرء، الحماية والحب والدعم التي
نجدها من عوائلنا نعمة عظيمة.

عندما وصلنا جلس (جَمْنون) ثم جلست أنا، وهنا أشار بيده إشارة تعني بدء
الحفل وأن يرفع الأشخاص رؤوسهم.

قال لي والد (جَمْنون):

- مرحباً بكِ في عائلتك.

كان قلبي يرقص طرباً وكأني في حلم أو أتوهم كل هذا!

انطلق الحفل والموسيقى والرقص الذي لا يشبه رقصنا إلا قليلاً، فحركاتهم
رشيقة بشكل عجيب، كنت أشاهد مبهورة، وأتمنى لو أشاركهم الرقص، ولكنني
لاحظت أن العائلة الملكية لم يرقصوا لأنه حفل تعريف بي وبأطفالي.

عندما انتهت الرقصة، أعلن الحاجب قدوم العائلات للسلام على الملك، هنا
كانت كل أسرة راقية تتقدم بالسلام والتعريف عن نفسها وتقديم الهدايا.

شعور غريب أن أكون ملكة! أهذا حقاً حقيقي؟

ومن بين العوائل تقدمت أسرة جعلت قلبي يقفز من مكانه عندما عرف عنهم
الحاجب.

كان (شياط) وزوجته وابنته القاتلة (جُنياه)!

نظرت (جُنياه) في عيني نظرة تحكي ألف قصة وقصة وشعور، أهو الكره؟ الغيرة؟
الحقد؟ الهزيمة؟ الخوف؟ نعم هناك خوف بين كم المشاعر المضطربة داخلها
للعالم.

أما أنا فكان شعور الكره والحقد والغضب العارم حتى شعرت بدم رأسي يغلي.

شعري (جَمُنون) فأمسك يدي.

لم أسمع كلمات (شياط) وزوجته ولا حديث أسرة (جَمُنون)، لا شيء سوى
نبضات قلبي الثائرة.

فجأة، ودون شعور مني وتخطيط هتفت بحنق قاتلة:

- هذه قاتلة أمي، فكيف تتجرأ وتقدم لي الهدايا والتبريكات؟

هل تهورت؟

هل يحق لي أن أمارس دور الملكة عليهم من أول يوم؟

لا أدري، لا يهم.

أمي، أمي، أمي ماتت بسبب هذه الخبيثة، بل إنها عانت المرض والألم بسببها.

أكرهها وأنا التي لا تكره.

كان هناك هرج ومرج بين الحضور، بين مصدوم من فعلة (جنياه) وبين مصدوم من حديثي وقوة صوتي.

قال (جَمْنون) بقوة ليضع حدًا للنقاشات:

- نعم قتلت السيدة (جميلة) دون حق.

صمت الكل فجئت (جنياه) أمامنا وقالت بخوف:

- ألم نناقش هذه المسألة من قبل وقد فهم جلالته قصدي؟ كان الحق معي لأنتقم لك.

زفر (جَمْنون) وقال:

- وها أنا أمامك حي أرزق.

صاحت بهستيرية وهي تبكي وتلطم خديها:

- وما أدراني وقتها؟

هنا تكلمت بدهاء قائلة:

- لماذا لم تنقضي الحقيقة قبل أن توقعي حكم القصاص؟ فلا ميت دون جثة! هل رأيت الجثة بنفسك؟ أم تبعت الشائعات؟

هنا أسقط في يد (جنياه) وعاد الهرج والمرج بين الجن.

تقدم الوزير (شياط) وجثا جوار ابنته وقال برجاء:

- أرجو العفو والسماحة لابنتي فهي اتخذت القرار في لحظة هلع، وهي التي تحبك مولاي، فكيف للعقل وقتها أن يفكر؟

تدخل هنا جد (جَمْنون) قائلاً بحكمة بصوته العميق، الذي جعل الكل ينصتون باهتمام وهيبة:

- قد يكون تصرفها مبرراً حينها، ولكن أن تسلم من العقاب تمامًا فهذا ظلم وقع على بني الإنسان.

قال (جَمْنون) معقبًا بذكاء:

- صحيح، فهي لا بد أن تعاقب وإن سلمت من حكم القصاص.

قلت مؤكدة:

- نعم، فهي قد اعتدت على أُمي بالعذاب والألم دون وجه حق، حتى الوزير وحاشيته آذوا عائلتي دون وجه حق، فهل معنى ذلك أن لا عدالة في أرض الجن؟

عاد الهرج والمرج، فقال الملك والد (جَمْنون) بحزم وقد أخذت كلماتي وقعها في نفسه:

- بل نحن أهل العدل والميثاق والعهد، لذا على الوزير وابنته تحمل العقاب دون حكم القصاص.

كان هناك قاضي يجلس بين الحضور، فتقدم بأدب واستأذن أن يتكلم:

- هل لي بالحكم يا مولاي؟

أشار (جَمْنون) ووالداه إشارة موافقة فقال بحكمة:

- أحكم عليهم أن تنزع منهم ألقابهم ومكانتهم الاجتماعية.

صاح (شياط) وحاشيته وانهار وهو يتوسل:

- إلا هذا.. إلا هذا.. الموت والقصاص أرحم لي.

فهمت بأنه إن نزع لقبهم قَلت مكانتهم الاجتماعية، وبالتالي تُسحب منهم كل امتيازات المنصب، ولعلمهم أيضًا يحرمون من دخول القصر.

قال والد (جَمْنون):

- يا (شياط) نحن لسنا بمعتدين، وكان عليك أن تخبرني قبل أن تفعل.

ترجى وبكى قائلاً:

- بغيت أن أحمي ولي العهد حينها من الحياة مع الإنس والارتباط بهم، وأنتم لم تمنعوني.

نظر (جَمْنون) نحوي وقد احمرّت وجنتاي ثم استطرد (شياط) قائلاً:

- فهل جزاء صنيعي هذا العقاب؟

قال (جَمْنون) بحسم:

- بل جزاء التمادي لحد القتل يا (شياط)، أحكم عليك بأن تهبط من مرتبة وزير إلى مستشار ويسحب من زوجتك وابنتك لقب الأميرات رغم أن زوجتك من نسل الأمراء انتهى.

أمسك (جَمْنون) بيدي يضغظها، فنظرت نحوه بسعادة وامتنان، صحيح لم يحكم عليها بالإعدام، ولكنها خسرت، وأكبر خسارة لها هي رؤيتي على العرش بجوار حبيبي.

راق خاطري واستمتعت بالحفل الفاخر، والموسيقى والطعام الذي لم أذق مثله من قبل، كنت أحمل أطفالي وأتنعم بحماية عائلة زوجي القوية.

زوجي! نعم يا للعجب!

إنه زوجي، (جَمُنون) الذي هربت منه من قبل.

والآن لا أهرب منه إلا إليه.

فتحت أبواب المعركة

(يحكيها جَمُنون)

- ما أجملها وهي نائمة في عالمي، هل هي حقًا إنسية؟

ابتسمت لغرابة الخاطرة، فهي تفاجئني دائمًا! تارة أحسبها إنسية وتارة جنية، بل إنها مزيج من الاثنين.

مزيج خُلق لأجلي.

اقتربت أقبّلها ففتحت عينيها البندقيتين الواسعتين لأهيم داخلهما، قبّلتها فابتسمت وتمطّت وصدمتني بطلب غريب! لم أتوقع أن أسمع مثله:

- أرغب برؤية السجناء.

رددت بدهشة:

- ماذا؟

قالت وهي تضحك بخفة:

- نعم أرغب برؤيتهم، شيء داخلي يأمرني بذلك، أرغب أن أطمئن للعدالة في مملكتنا.

ابتسمت بفرح عندما قالت: (مملكتنا) ها هي تعد نفسها حقًا من عالمي.

قلت لها بعد تفكير:

- لا بأس لنذهب غدًا.

قالت بعزم:

- بل الآن ووحدي.

قطبت جبيني متسائلًا، ولكنها فسرت وقالت:

- وحدي لأستشعر الصادق من الكاذب، وحدي لأؤدي دوري الحقيقي كملكة،
وأثبت لهم ذلك، وحدي لأن وجودك سيربك الوضع بالتأكيد.

زفرت وأنا أخاف عليها إن بعدت عني، ولكنني احترمت قرارها وعزيمتها فقلت
مشترطًا:

- مع الجنرال. يجب أن يرافقك.

قالت بخفة وحماس:

- اتفقنا والآن لأنجهز.

قلت لها متعجبًا:

- الآن لنفطر معًا.

اقتربت بخفة وغمزت لي:

- سأفطر معك دائمًا، لكن الآن أرغب أن أفطر من فطور السجناء لأعيش
وضعهم.

نظرت نحوها بحيرة وتعجب! أعرف شخصها العادل، ولكن منذ متى وهي بهذا
القدر من الرشاد والحكمة والعدل؟ لقد فاقت (منيتي) توقعاتي.

طأطأت رأسي لها ذاهلاً! فنهضت لتستعد وارتدت أبسط فستان لديها حتى لا تكون بمظهر البهجة أمام السجناء، ولكن ولشدة دهائها لبست التاج كإشارة لهم ليعرفوا من هي حقاً.

ذهبت وجلست في وسط ساحة الزنانات، وأكلت الخبز وشربت الحليب، وهم يطالعونها بدهشة! ثم أخذت تسمع شكوى كل واحد وهي تقيس مدى صدقه من كذبه، ومدى استحقاقه للحكم المحكوم به عليه.

كنت أعرف أخبارها وأتابعها من بعيد، وقدرها في قلبي يكبر أكثر فأكثر.

لقد خلقها الله لي لتكون زوجتي، لتكون ملكة النور على مملكتي، بل إنها نور يشع في العالمين.

عادت لي مجهدة طاقيًا لكثرة الطاقات التي احتكت بها، أمرت بأن يجهز لها حمام بارد مع أعشاب عطرية ليجدد طاقتها، أخذت أمرر الماء على بشرتها الناعمة وأنا أدخل طاقتي وهالتي على هالتها لأنظفها من أي سلبية مرت عليها في السجن.

كان هناك احتفال رسمي بي وبها في المساء، احتفال فيه إقرار بملكي وكونها زوجتي.

تزيينا بزينة الملوك باللون الذهبي، وكانت حبيبتي مشرقة كالشمس، تأبطت ذراعي واتجهنا إلى قاعة الحكم، كانت الآن تعرف المكان فاستأنست روحها عندما وصلنا، سبقتها أخواتي البنات وأجلسنها بينهن، وأطفالنا حولها يرتدون لون الثياب نفسه، لم تكن تعرف (منيتي) الذي ينتظرها.

تركتهما واتجهت مع حاشيتي وحرسي إلى عرشي الذهبي الذي كان يرتفع كثيرًا عن القاعة، ورغم وجودي في منطقة عالية إلا أن روحي وعيني تراها وأطفالي هناك كالبدر الساطع.

كنت أنتظر هذه اللحظة منذ زمن مضى وأخيرًا حانت.

الحضور اكتمل لعلية القوم ووالداي يجلسان على عرشهما مع جدّي و(منيّي) محاطة بأخواتي وأخويّ، وهنا حانت لحظة إعلاني، فهتفت بصوت حاسم جهوري زلزل القاعة قائلاً:

- إن كل هذا الملك والأملاك يكون مناصفة بيني وبين الملكة (مني).

صمت مطبق عمّ على القاعة ولم أستغرب ذلك.

هل فتحت بنفسني أبواب الجحيم؟

وهل كانت المرة الأولى التي أفعل؟

حق علي وهي زوجتي، وأم أطفالي، وولي العهد موجود بين ذراعيها، أن تكون ملكة متوّجة على عرشها، ولها نصف أملاكي، حتى وإن كانت من الإنس.

فلا يهم ماذا يفعلون؟ وليُظهر الصادق صدقه، والكاذب كذبه.

وهكذا كانت المعركة القادمة.

(23)

رمز القوة والحماية

والعشق قوة لا تظاهيها قوة

والقصص الملحمية في العشاق، هي من يُحارب

عُشاقها

تسيل الدماء والدموع

ولكن الحب يبقى خالدا

تمرد ودماء

(تحكيها مني)

شعور لا يوصف وأنا أسمع صوت حبيبي (جَمْنون) من أعلى ذلك العرش ذي الدرجات الذهبية المرتفعة، وهو يخبر الكل بأن لي نصف ماله.

لم أكن طماعة يومًا من الأيام، إلا في حبه.

نظرت نحوي أخته الغالية (تيانا) وهمست مشجعة:

- اذهبي إليه.

نظرت بتوتر نحو أخواته ووالديه، فرأيت الابتسامة والتشجيع، ووالدته تشير إليّ بيدها أن أذهب إليه.

وقفت برهبة وتقدمت أمشي ببطء والجنرال يمشي ورائي، كان قلبي يخفق بقوة، فعندما وضعت قدمي على درجة السلم الأولى خفت أن تنزلق قدمي مع هذا الذهب المصقول الناعم، لكنني ثبتت وسحبت نفسًا وأنا أدرك طول المسافة وارتفاع مكان (جَمْنون) عني، وفي سعي حثيث لأصل إليه تحاملت على نفسي ومشيت بخفة ورشاقة حتى لا أقع، فأشمت الجن بي.

كان يقترب أكثر وأكثر وابتسامته الصافية تبرز لي، إلهي لماذا عرشه مرتفع وكأنه ثلاثة طوابق؟ هذا عالم الجن العجيب! ويبدو أن لا مساعدة تحملني بسرعة للأعلى، فيجب أن أخطو هذه الخطوات بنفسي لأكون جديرة به.

وأخيرًا وصلت إليه، فنهض وأمسك بيدي وأنا ما زلت ألهث تعبًا وحماسًا.

سحبني برفق وعيناي تلمعان في نشوة، هتف من جديد قائلاً وأنا أقف عن يمينه:
- هذه هي ملكتكم زوجتي وأم ولي العهد، الملكة (منى).

هتف الجن وقدموا الترحيب وهم يصفقون ويصيحون، فاطمأن قلبي، جلس ثم بيده أجلسني على كرسي العرش بجواره وكان من الذهب دون وسائد، جلست عليه وأنا أنظر إلى الأسفل إلى قومه ولمعة المكان كالكريستالات، كان المنظر عجبياً وجميلاً.

كنت صامتة، متعجبة، حائرة، وفجأة من العدم ظهر خمسة أشخاص يحملون سيوفهم، والغدر في أعينهم كانوا من بين الحرس لذا استطاعوا الوصول إلينا.

صرخت بذعر وقفزت أحمي (جَمْنون) بجسدي وأنا أضمه إلى صدري، لأسمع أصوات صليل السيوف من خلفي و(جَمْنون) يصرخ بغضب.

سحبنا الجنرال خلف العمود المجاور للعرش، وأخذت المعركة تحتد، فالخمسمة صاروا عشرة وأكثر وأكثر، كان تمردًا، بل انقلابًا.

سالت الدماء واجتمع الحرس ليحموا الملك والأسرة المالكة.

كنت أحتضن (جَمْنون) بعنف وأصرخ:

- أبنائي، أبنائي.

برز رأس الجنرال من خلف العمود وهتف بي:

- سنتخلص من العدو مولاتي، أبنائك قد أخرجوا من هنا فاخرجوا.

فتح عباءته وأدخلني و(جَمْنون) داخلها، ثم حملنا وقفز طائرًا لنجد أنفسنا فجأة أمام مدخل جناحنا الخاص!

قال الجنرال بسرعة:

- أنتما بخير هنا مع الحرس.

صرخ به (جَمْنون):

- والداي.

هتف الجنرال:

- الجميع بخير المهم سموك.

اقترب الحرس والحاشية ليحمونا، وأنا في حالة من الذعر والخوف، ما هذا الذي يحدث؟!

أمسك (جَمْنون) بيدي وقال بحدة:

- لنذهب إلى غرفتنا أولاً، وهناك مدخل سري لغرف أطفالنا.

أطعته وتبعته وهو يمسك بيدي لنجري نحو غرفتنا.

هنا خرج من بين الحرس عشرة جنود غدارين وشهروا سيوفهم، خمسة فصلوا بيننا وبين الحرس المخلصين، ليواجهوهم فيتمكن الخمسة الآخرون من الهجوم علينا رغبةً بقتلي.

حينها صرخ (جَمْنون) صرخة كزئير الأسد وأخرج من تحت عباءته سيفاً ضخماً عريضاً لم أكن أعلم بوجوده، فتحت باب الغرفة بقوة ثم بيده أمسك بي ودفعني بسرعة داخلها، ثم أغلق الباب وهو يصيح بي:

- ابق في الداخل لا تخرجي.

رجعنا إلى السرداب السري نفسه والجميع انطلقوا طائرين مسرعين نحو غرفتي.
عندما دخلنا جلست مع أبنائي، والأميرات ووالدة (جَمْنون) أخرجن الخناجر
واحمرّت أعينهن لأدرك أن نساء الجن قويات كرجالهن.
شهرن أسلحتهن وقالت أم (جَمْنون) بغضب:

- علينا بهم جميعًا.

في تلك اللحظة انفتح الباب، و(جَمْنون) يستعدّ لقطع رأس الداخل علينا لنفاجأ
بالجنرال المغطى بالدماء يهتف بحماس:

- مولاي لقد تخلصنا من الأعداء.

زفرت براحة أخيرًا، فخرج (جَمْنون) ووالدته ركضًا لوالده وجده ولكي يرى الخونة
وكم الخسائر.

بقيت أرتجف شاعرة بالذنب، فكل هذا حدث بسببي.

اقتربت مني (كيرا) وأمسكت بذراعي وقالت تهدئي:

- لا بأس عليك، سواء كنتِ من الإنس أم من الجن، فالخائن ينتظر أي فرصة
لينقلب ويتمرد، وبالعكس فرصة عظيمة أن استثارهم أمر أخي فأظهروا أنفسهم.

صحيح كلامها، لذا طأطأت رأسي وابتسمت لها، وضممت ولي العهد وأخذت
أستودعهم الله وأرقيهم، حتى ظهرت لي هالة الحماية عليهم.

جاء الحرس وأخذونا جميعًا إلى مقر الجد واجتمع فقط أفراد الأسرة الملكية،
أخوات وإخوة (جَمْنون) ووالداه وجداه، والعمات والأعمام وأبناؤهم، وأنا وأبنائي.

قال الجد بجدية:

- أخطأنا أننا قدمناها لقومنا، قبل أن يكون هناك زواج رسمي وترسيم رسمي.

أيد أقواله والد (جَمْنون) قائلاً وهو يفكر:

- لقد شعروا بأنها دخيلة عليهم أخذت كل شيء، وبدأت تحكم عليهم، لذا يجب أن نقيم زفافاً رسمياً كبيراً يحضره عليّة القوم، ويجب أن ترسم كزوجة الملك شرعياً، ويكون هناك موكب رسمي في البلاد.

أضاف (جَمْنون) بغضب:

- وترسيم لابني ولي العهد المولود من الإنسية.

نظرت نحوه أمه وقالت وهي تطأطئ رأسها:

- صحيح وليعلم الكل بأنه ولي عهد عشير، وهذا يضيف إليه قوة فوق القوة.

اقتربت مني جدة (جَمْنون) ووضعت يدها على كتفي مما فاجأني وقالت بإعجاب:

- لقد فديت حفيدي بنفسك في بداية الهجوم، وكلنا من مكان العرش العالي استطعنا رؤية ذلك، وهذا زاد رصيد محبتك عندنا، والحمد لله على السلامة.

قلت وأنا أقاوم دموعي:

- لا أستطيع أن أراه يتأذى ولا أبنائي، أستطيع أن أحميهم، وليسكن جسدي هو وأبنائي إن كنت سأكون لهم الحصن الحصين.

اقتربت مني (تيانا) واحتضنتني وقالت:

- لا تخافي نحن من القوة بحيث نهزم الأعداء.

قال (جَمْنون) ولا يزال غاضبًا:

- كنت أعرف أنني سأفتح أبواب الجحيم بإعلاني، توقعت أصواتًا معارضة ومن يظهر كرهه وعدم ولائه، ولكنني لم أتوقع هجومًا مباغتًا سريعًا كهذا ومن بين صفوف الحرس، يستحقون جميعهم الموت الذي حصدهم.

قال والده بحكمة:

- لولا ذلك لبقوا يخفون أحقادهم، وربما تعرضوا لولي العهد أو لك، بالعكس من الجيد أن أعصابهم فلتت، لنكشفهم سريعًا ونقضي عليهم.

قال الجد مؤكّدًا:

- صحيح، ويا ابنتي لقد سبقتك سمعة عظيمة في مدننا، بأنك زهرية معالجة وقوية، وأنتِ قديسة النور، فلتنتشر هذه الأخبار حتى عندما يكون ترسيمك، وموكب الملكين الزوجين، يكون لك القبول بذلك حاضرًا قبل حضوركما.

أيده الجميع وكان هذا هو الاتفاق، قال (جَمْنون) بحسم:

- وسأعطيها رمز الحماية الأعظم.

نظروا نحوه، ثم نحوي، ثم بيننا وكانت عينا (جَمْنون) صارمتين مصممتين، لم أفهم ما هو الرمز الأعظم، ولم أملك وقتًا للسؤال، إذ جاء رد جد (جَمْنون) قائلاً:

- نعم نفذ ذلك يا بني.

حينها اقترب مني (جَمْنون) واحتضني وطفلاي الرضيعان يرضعان في حضني، وقال بحب:

- لن أدع مكروهاً يصيبكم يا حبيبتى.

تذكرت كيف شهر سيفه وحماني، تذكرت قوته وعضلات ذراعه وسيفه الذي قطع أعدائي، تذكرت رغم أنه الملك وحمايته تأتي أولاً إلا أنه آثر أن يحميني داخل الغرفة ويواجه الأعداء بنفسه.

ابتسمت له بحب وثقة وقلت بأمان:

- لن أخاف وأنت معي من بعد الله.

حسم والد (جَمْنون) الأمر وقال وهو يقف بهيبة:

- إدا حَضَرُوا للزفاف بعد ثلاثة أيام، ولنرسل الدعوات لأعلى عوائل الجن في كل البقاع.

ارتجفت بحماس لهذه المحبة والحماية من عائلتي الثانية، وفرحت لأن زفافاً حقيقياً سيقام لي ولحبيبي (جَمْنون)، لذا انتظرت الغد بأمل كبير.

الكوبرا

كانت (منى) نائمة على سريرها في عالم الجن بعد أحداث ذلك اليوم المجهد والحافل بالأحداث، ومن بين أحلامها المضطربة سمعت صوت (جَمْنون) يناديها.

فتحت عينيها، ومن بين أهدابها رأت خياله، لم تكن متيقنة فجلست لتتيقن، وهنا صُغت! فأمامها كانت أفعى كوبرا ضخمة تقف على ذيلها، وحراشفها تلمع كالذهب، وقبل أن تهلع سمعت صوت (جَمْنون) يقول لها:

- حبيبتى لا تهلي، لا تهلي إنه أنا.. أنا هو الكوبرا الواقف أمامك.

هتفت في دهشة:

- (جَمْنون) أحقًا هذا أنت؟ أسمع صوتك قادمًا حقًا من جوف الأفعى، إذًا حقًا هذا أنت؟

نظر في عينيها بعمق وقال يطمئنهما:

- كما جئتك من قبل كنمر أسود فأنا الآن أفعى، لذا فاتبعيني.

أخذ يطفو أمامها وجذعه العلوي مرتفع، أما ذيله فكان مفروَّدًا كأنه على الأرض، ولكنه كان يطفو في الهواء موليا ظهره، سارت خلفه والحرس ينظرون إليه بهيبة واحترام كبيرين.

كان يطفو والكل صامتون خاضعون، وهي تسير وراءه حتى فُتحت بوابة أمامه دون أن يفتحها أحد، وكأن (جَمْنون) فتحها بقواه، دخل فدخلت وراءه، فإذ بها

داخل جبل وكأنه كهف كبير، داخله نبع مياه تصب فيها شلالات صغيرة، ولون المياه يتألاً كالزمرّد، وكانت الحجارة تلمع كمعدن الذهب ولكنه متعدد الألوان، الأخضر، والأحمر، والأصفر.

وقفت على الصخرة الكبيرة و(جَمُنون) معها، وأخذت تنظر إلى المياه والجدران بانبهار، هنا التفت (جَمُنون) نحوها وهو لا يزال بهيئة أفعى الكوبرا.

نصب جسمه ليقف من جديد على ذيله، كان حجمه كبيرًا وطويلاً كطول (جَمُنون) الفعلي.

بعينه الصفراوين والمشقوقتين طولياً، نظر بعمق في عينيّ (منى) وقال:

- اقتربي.

رغم رهبة الموقف وكونه أفعى، إلا أنها اقتربت منه بثقة ومحبة فهو حبيبها (جَمُنون).

عندما أصبحت أمامه مباشرة، صدرت منه حركة كالذي يرغب بأن يخرج شيئاً من جوفه، لحظات وإذ بها تراه يخرج من فمه بيضة بحجم الكف من الذهب، أمسك بالبيضة بين شذقيه وقال أمراً:

- ابلعها.

فتحت (منى) عينيها بدهشة ودون مقدمات قام (جَمُنون) بحشر البيضة في فم (منى) وعيناه منصوبتان في عينيها فاستطاع أن يتحكم بها، استرخت أعصابها وأطاعته وفتحت فمها ليتسع للبيضة وبلعتها.

بلعتها بكل سلاسة لا يستوعبها العقل، وهنا شعرت بلذة عجيبة تغمر روحها!

طاقة قوة عجيبة امتلأت نفسها بها!

شعور بالقوة والتّمكن، هنا وضع (جَمُنون) رأسه على رأسها وقال براحة:

- (منى) أنتِ الآن محمية.

عاد يطفو أمامها ثم أخذ يزحف على الصخور نازلاً إلى المياه الزمردية اللّامعة، وصوته يأمر (منى):

- اتبعيني وانزلي في النبع.

أطاعته وهي تشعر بخفة في جسدها، وقوة أذهلتها وعقلها يتساءل:

- ما هذا الذي أطعمني إياه؟ أشعر بأن جينات جسمي تغيرت.

عندما أنزلت قدميها في المياه الباردة، شعرت بأن الأرض الصخرية للنبع تختفي من تحتها فأخذت تسبح وراء (جَمُنون) الذي أخذ يطوف داخل النبع سبع مرات والشلالات تسقط عليهما، لم تتعب (منى) رغم السباحة المطولة وطوفانها معه، هنا بدأ (جَمُنون) يسبح نحو الضفة ثم زحف خارجاً فتبعته (منى) وخرجت من المياه التي رغم برودتها كانت تشعر بالنشاط والخفة ولا تشعر بالبرد.

وقف (جَمُنون) على ذيله ثم ارتجف جسده وأخذ يتموج ويتموج حتى عاد لهيئته الحقيقية.

دُهلّت (منى) من قدرته على التشكّل والعودة أمام عينيها هكذا!

نظر نحوها بحب ثم ابتسم وفتح ذراعيه وقال:

- تعالي.

ارتمت في حضنه بسرعة فقتل رأسها وقال براحة:

- مبارك، أنتِ الآن لديكِ رمز الحماية الأعظم، حماية مطلقة لكِ خاصة بأفراد عائلتنا المالكة، لا أحد يستطيع أن يتفوق عليكِ بعد اليوم يا (منيتي) الحبيبة.

فهمت (منى) الآن ما كل هذا، فإدًا هذا هو الرمز الذي تحدثوا عنه قبل ساعات.

ضمّته أكثر لتشعر بقلبه على قلبها ونبضاتها تنبض معًا، عادا لغرفتهما تحت نظرات الرهبة والاحترام من الحرس وهم يرون رمز الأسرة يتشكّل كالوشم الذهبي على ظهرها، من رقبته إلى أسفل ظهرها واضحًا من تحت ثوب النوم الأبيض الحريري الذي صار ملتصقًا على جسمها وشفافًا بعد أن بللته مياه النبع.

لم تنتبه (منى) للرمز وهو يتشكل ويُرسم على ظهرها، حتى وصلت إلى غرفتها ورأتها من انعكاسها على المرايا حولها فشهقت بدهشة وانبهار:

- ما هذا؟ يا الله عجيب وجميل! كيف يرسم هكذا فجأة!؟

ثم تذكرت وهتفت فرحةً:

- (جَمْنون) إنه الوشم نفسه الذي على جانب خصركِ الأيسر، ولكن وشمي طويل على ظهري.

احتضنها ثم أخذ يمرر أصبعه على ظهرها فوق النقوش وقال برقة:

- هذا الرمز له فوائد عظيمة، فأنتِ رسميًا أصبحتِ من عائلتنا، ومكان النقش يختلف حسب مكانة الشخص، وسيحصل أبنائنا عليه أيضًا غدًا.

كانت (منى) متحمسة وسعيدة، فرغم الصعاب إلا أن الله كان معهم وحماهم جميعًا.

حضرت (منى) مع (جَمْنون) مراسيم الحماية لأبنائهما، كان الحدث غريبًا والأب كأفعى الكوبرا والصغار يتلعون البيضة من والدهم بسلاسة.

من قال إن الجن كالإنس؟

ما تراه (منى) يوماً بعد يوم يكشف لها وسع العالم وعجيب صنع الله.

قبيلة (جَمُنون) أقرب إلى هيئة الأنس، ولكن هناك من الجن أنواعاً وأصنافاً وقدرات، فكانت دائماً تردد داخلها: «سبحان الله فيما خلق».

العائلة الروحية

كانت ترتيبات الزفاف قد تَمَّت وجاء اليوم الموعود، كانت (منى) مصابة بالدهشة والحماس وهي ترى فستان زفافها الحريري الأبيض، فستانًا من صنع الجن!

كانت آية في الحسن بهذا الفستان المتألئى وكأنه مصنوع من اللؤلؤ، زفها والد (جَمْنون) في قاعة أشبه بالقصص الخيالية للأميرات. شخصت أعين الحضور عليها، بينما شخصت عيناها على ذلك الشاب الوسيم الذي ينتظرها عند المذبح، ببدلته البيضاء المطرزة بخيوط الذهب والمرصعة بالمجوهرات، وعن يمينه وشماله أخواته الوصيقات تتشج ملابسهن بلون سماوي ويحملن أبناءها، وعن يسار (جَمْنون) كان ولي العهد (السكندر) وأخته التوأم (ساندرا) وعلى يمينه التوأم الذكران (كيناى) و(كينون)، كانوا يرتدون ثيابًا مطرزة خضراء اللون مع اللون الأبيض، ما عدا ابنتها (ساندرا) أضيف لها اللون الوردى، بينما ولي العهد تميز بإضافة اللون الذهبي وشال طويل يصل إلى الأرض ملفوف به تمييزًا له عن إخوته.

ارتجفت من أعماقها، وأخذت تتنفس بسرعة وهي ترى حبيبها (جَمْنون) يقف بانتظارها وعيناه ترسلان لها ألف إشارة وإشارة، وألف عاطفة وعاطفة.

ابتلعت ريقها محاولة السيطرة على دموع الفرح، وأخيرًا زفاف علي وزواج رسمي أمام الجن، كانت هالة الحب فيها تكبر وتكبر، والجن يشاهدون شاكرة القلب لديها تشج، ابتسموا وذابت قلوبهم لمرأى قديسة النور بهذا الجمال وهذه العذوبة.

اقتربت خطواتها خطوة خطوة، أقرب إليه فأقرب حتى وصلت إليه أخيرًا، ووالده الملك يسلمها إليه.

التقت نظراتهما بحب وسعادة لا يمكن وصفها، قال لها بصوت مرتجف:

- أجمل منك لم تر عيني قط.

ابتسمت (منى) بخجل وهمست له بالمثل:

- وأجمل منك لم تر عيني قط.

أخذنا يرددان النذور والوعود ورئيس الأساقفة يعلنهما زوجًا وزوجة، قبّلها (جَمْنون) بحرارة والكل يهتفون ويصفقون.

ثم التفت (جَمْنون) نحو الحضور، فصمتوا، وهنا اقتربت أخته الكبرى التي تحمل ولي العهد بين ذراعيها، سلمته ل (جَمْنون) الذي قبّله ورفعته عاليًا قائلاً بصوت جهوري:

- قدموا الاحترام لولي عهد المملكة الأمير (السكندر).

وقف الجن وانحنوا باحترام لولي العهد، و(منى) تشعر بقلبها يقرع كالطبول وهي تدرك مقام ابنها في عالم الجن.

أخذت ترسل إليه الدعوات والأمنيات السرية داخلها، وهنا تقدمت والدة (جَمْنون) حاملة خنجرًا ذهبيًا نصله أسود.

تعجبت (منى) وتحفزت، ولكنها في الوقت نفسه سلمت ثقتها لزوجها وعائلته، وأخذت تراقب تقاليدهم في دهشة وعجب!

قطعت والدة (جَمْنون) راحة يدها فخرج الدم منها، ثم مسحت يدها على رأس حفيدها، فانطلقت الهتافات عاليًا بين الحضور.

التفتت الملكة الأم نحوهم ورفعت يدها الدامية نحو الحضور، فزاد الهتاف

وتقافز الجن عاليًا عن الأرض.

فهمت (منى) أن هذا نوع من الترسيم لولاية العهد للأمير الصغير، وسيحدث له ترسيم آخر عندما يكبر، وتذكرت ما حدث لـ (جَمْنون) عندما ترسّم وكيف أن أمه الملكة فعلت الشيء نفسه، ولكن في راحة يد (جَمْنون).

لكل شيء معنى خاص في عالمهم، لا يحق للبشر أن يكشفوا ويعرفوا أسرارهم.

بعد ذلك أحضرت الأخوات بقيّة الأطفال نحو أخيهم ولي العهد، ثم قام (جَمْنون) بمسح راحة يده على دماء أمه التي على رأس ولي العهد، ومن ثم يمسخ يده على رأس أخته ثم أخويه التوأمين.

وهذا إعلان لهم بالولاء لأخيهم، وبالتمييز كأمرء في المملكة، ولهم مناصب عالية مستقبلاً، فكل ملك على الممالك يحتاج ملوِّغاً على تلك الأراضي يتبعونه ويدعمونه، ولا يوجد أفضل من دعم الإخوة والعائلة.

جاء الملك والد (جَمْنون) وأخذ ولي العهد منه ورفعته عاليًا وهو يقول:

- ولي العهد الصغير ابن ملك الملوك (جَمْنون بن جلاديس الجاكسيس) وزوجته الملكة (منى ابنة عبد الله الجاكسيس).

هنا هتف الحضور بحرارة، وبالمثل فعل مع باقي أبنائها، وهذا إعلان رسمي بأحقية هؤلاء الأطفال المسمين بـ (الطفل العشير) بهذه العائلة وهذا الملك، وبأن الإنسية هي رسميًا والدتهم وحاملة للقب عائلتهم، ملكة زوجة ملك وأم لملوك.

عندما خرجوا من تلك القاعة حضروا مأدبة على أشعة الشمس الساطعة والأغاني تداعب روحها وهي ترقص بين ذراعي (جَمْنون) بهيام وسعادة لا مثيل لهما.

كان هناك وقت استراحة قضته مع (جَمْنون) بافتتان، انتقل من روحيهما وقلبيهما وشع على بشرتها الناعمة البيضاء.

كانت (منى) مسترخية على بطنها مغمضة العينين، وغطاء الحرير الأبيض يغطي جزأها السفلي بينما بقي ظهرها وأكتافها عارية، كان (جَمْنون) يتأملها بفتنة وحب كبيرين وهو يمرر أصابعه على ظهرها فتضحك لدغدغته لها.

قَبَل كتفها وقال برقة:

- هل تستعد مليكي لحفل الزفاف المسائي؟

نظرت نحوه بكسل وقالت بدلال:

- هل هذا ضروري؟ لنبقى معًا.

ضحك وهو يداعب شعرها، وقال يشاكسها:

- بقيت ستة أيام لنكمل سبعة أيام احتفالاً، فهل ستبقيين في السرير متكاسلة أسبوعًا كاملاً؟

ضحكت بخفة واستلقت على ظهرها وقالت بغنج:

- نعم إن كنت سأبقى بين ذراعيك.

قَبَلها بشغف وأنهضها ليتجهزا.

كان حفل المساء يختلف عن حفل الصباح ف (منى) ارتدت ثوباً أحمر فاخراً بذيل يتعدى خمسة أمتار مطرراً بالذهب، وبالمثل كان (جَمْنون)، القاعة طرزت باللونين الأحمر والذهبي وكانت أحجار الياقوت الأحمر تزين كل شيء.

سار الزوجان معًا، حتى وصلا إلى والد (جَمْنون) الذي ألبس ابنه (جَمْنون) تاج الحكم الأكبر، غير الذي كان على رأسه، وبالمثل فعل مع (منى) ورغم حجمه الكبير إلا أن (منى) امتنّت لله أنه لم يكن ثقیلاً على رقبتها، التفتا إلى الحضور فتعالت الهتافات وهما يشاهدان رسمياً الملك والملكة.

كان الحفل فاخرًا وممتعًا وأبناؤهما حاضرون معهم.

في اليوم التالي كان حفلاً ارتدوا فيه اللون الذهبي، وكان راقصًا ممتعًا في قاعة تختلف عن قاعة أمس، واليوم الثالث كان اللون الأزرق الملكي، واليوم الرابع الأرجواني، وكان في قاعة وسط غابة غناء بزهور بنفسجية خلابة ليست موجودة في عالم الإنس، ثم اليوم الخامس كان اللون البرتقالي، واليوم السادس كان الأخضر، أمّا اليوم الأخير فكان اللون الوردی.

مرّت الأيام السبعة كل يوم كان له لونه، وحفله ذو طابع يختلف عن غيره.

هنا أخيرًا قال لها (جَمْنون):

- سأخذك إلى مكان العسل.

هتفت (منى) ببهجة:

- شهر عسل؟

ضحك (جَمْنون) وقال بخفة:

- بل أيام عسل، أما الشهر فسيكون في عالمك.

نظرت نحوه بدهشة وقالت:

- (جَمْنون) كم بقينا في عالمك؟ أشعر أنها أيام قليلة.

اقترب منها وقبّل جبينها وقال:

- مع الخبرة ستعرفين كيف تحسبين فارق الوقت بيننا وبينكم، ولا تنسي أن عمر توأمينا الآن أكثر من شهر.

قالت بصدق:

- ما أسرع الأيام! أصدقك القول لقد اشتقت إلى أولادي الإنس، صحيح أخبارهم عندي وأستطيع رؤيتهم في قدر الماء العاجي، ولكنني اشتقت إلى أن أحضنهم وألمسهم.

احتضنها وقال:

- لكِ ذلك، لدينا أسبوع عسل قبل الليلة الأخيرة التي سنقضيتها هنا.

قالت صادقة والحنين بدأت تشعر به منذ الآن:

- لقد تعلقت بعالمك وأتمنى لو أعيش هنا إلى الأبد، كيف سأحتمل فكرة البعد عن هذا المكان الساحر الذي يشبه روجي؟

وضع يده تحت ذقنها ورفع رأسها، وقال وعيناه الرصاصيتان تلمعان كالمعدن:

- أعدكِ بأن نأتي للزيارة كثيرًا كثيرًا وقتما تشائين.

انطلقا لرحلة العسل مع الحرس والحاشية وأبنائهما، فهو ملك وليس له خصوصية بالمعنى التام.

عندما وصلا هالها ما رأت! فهذا المكان الخلاب قد رأته من قبل، وهنا تذكرت، هتفت بفرحة ودهشة:

- (جمنوووونو) إنه بيت الشاطئ الذي حلمت به ورأيت طفلينا (السكندر) و(ساندرا).

قال لها بحماس وهو يضحك:

- حقًا؟ كنت قد أمرت ببنائه ليكون ملاذًا لنا، وعندما حلمت به عرفت أنه سيكون حقيقة، والآن دعينا نهنأ معًا بهذه الطبيعة الخلابة ورمال البحر والمياه.

قالت (منى) بحيرة:

- أهو بحر من عالم الإنس، أم من عالم الجن؟

اقترب منها وقال بغموض:

- لتكشفي كل العجائب بنفسك.

مرّت الأيام هانئة سعيدة حتى عادا إلى قصر الحكم، لينسجا ليلة أخيرة تختتم رحلتهم الحالية لعالم الجن، مع وعد بزيارات أكثر، وقصص أغرب، وحياء لا تشبه حياة البشر!

الذاتمة

(تحكيها مني)

قمة السعادة تتحقق بين ذراعيه أنا وهو منتشيان معًا في نعيم عالمه، محاطان بالرفاهية والدلال وأبناؤنا سعداء.

كانت أيامًا كالحلم لا أصدق أنني بالفعل عشتها، وأنها مرت أسابيع في عالمه وليلتنا هنا هي الأخيرة، إلا أنني تقبلت فكرة كوني مسافرة رحالة بين العالمين، فكما أقضي أوقاتًا هنا، يجب أن أقضي أوقاتًا هناك.

وكما أنني ملكة هنا، فأنا دكتورة أكاديمية وامرأة أعمال هناك.

ولكن الحقيقة أن الجن وعالمهم معي سواء هنا أم هناك.

وكوني ملكة وأم ولي العهد والأمراء، وزوجة لـ (جَمُنون) هنا وهناك.

ومن قال إن عالم الجن فقط هنا؟ فبالمثل هناك عالم جن تتداخل تفاصيله مع عالمي، فبيتي من صنع البشر يبتلعه قصر من عالم الجن، فأنا سأبقى أراهم جنبًا إلى جنب مع رؤيتي للإنس، وهذا سيجعل الحنين إلى هذا القصر مقبولاً لأن تفاصيلهم ستبقى معي كما هنا، فأيضًا هناك في عالم البشر.

أغمضت عيني لأنام، وفي عمق أحلامي، وكنت حتى في عالم الجن لا أزال أحلم وأرى الرؤى، رأيت فيما يرى النائم قصرًا به حدائق خضراء، وكنت أمشي بين أشجاره وثماره، هنا رأيت بوابة ذهبية كبيرة فُتحت فجأة ليسطع منها نور خلّاب، ومن بين هذا النور خرجت طفلة صغيرة ذات ثلاثة أعوام، كانت جميلة بشعرها البني المموج وشرائطها البيضاء والوردية التي زيّنت شعرها، كانت تمشي بأناقة

وكبرياء لا يتماشى مع طفلة إلا لو كانت أميرة، وفتانها الأبيض المزركش جعلها أشبه بالدمية.

سارت بخطا خفيفة حتى وقفت أمامي، وكان قلبي يذوب حبًّا لها، فسألتها برقة وحب:

- من أنتِ؟

قالت ببهجة:

- أنا؟ أنا الفرح، وهذا أخي نور.

قالتها وهي تُشير وراءها، لأرى صبيًّا بمثل عمرها وجمالها يقف خلفها وينظر إليّ مبتسمًا وهو يقول:

- أحبكِ ماما.

فجأة تغير المكان وإذ بي أرى (جَمْنون) يقاتل شخصًا في السماء وهو يتحول تارة إلى نمر، ثم أسد، ثم ذئب عملاق، ثم نسر ضخّم وهو يقطع ذلك العدو إربًا حتى تناثرت دماؤه في السماء، هنا سمعت صوتًا يقول:

- إنها أمي.

تبعث مصدر الصوت فإذا بي أرى ابني ولي العهد (السكندر) ولكنه كان شابًّا ويرتدي ثيابًا خضراء ومن ورائه جيش عظيم، ومن أمامه فتیان محاربون وهنا هتف أحد الجنود قائلاً بفخر:

- هؤلاء هم أبناؤك.

صرخ الفتیان الذين كانوا أبنائِي صرخة شجاعة والسيوف بين أيديهم، وهم

يركضون باتجاه والدهم ومن خلفهم أخوهم ولي العهد والجيوش.

سمعت صوت صهيل خيل قادمًا من ورائي ليتقدم نحوي وينزل من فوقه أجمل فتاتين رأيتهما في حياتي، فقالت الكبرى وكانت ابنتي (ساندرا):

- أحي نحن معكِ دائمًا.

وهتفت الصغيرة بمرح:

- وأنا الفرح وأنتِ نور قلبي.

انقطع المنام فجأة، وأنا أنظر نحو سقف الغرفة الذي حجبني عنه ستائر سيرينا، فنظرت نحو (جَمْنون) النائِم بجواري، وما هي إلا ثوانٍ حتّى شعري، ففتح عينيه وهمس بنعاس وكسل:

- لماذا استيقظتِ يا (منيّتي).

تأمّلت وجهه العذب للحظات، ثم ابتسمت ابتسامة عريضة وقلت بسعادة ويقين:

- (جَمْنون).

رد عليّ بحب:

- يا عينيه.

ابتسمت أكثر وأنا أقترِب من حضنه وأقبّله وأنظر في عينيه بعمق وأقول بثقة وبهجة:

- يبدو أن لدينا في المستقبل زائرين يحملان معهما الفرح والنور.

قَطَّبَ جبينه متسائلاً فاستطردت قائلة:

- وسيكون أبنائنا محاربين شجعاناً، وولي العهد بطلاً ذا عزيمة قوية، وكلهم يد واحدة، وأنا سأكون حاضرة معكم.

حكيت له الرؤيا، فضحك ببهجة واحتضنني بقوة وقال بحب وامتنان:

- ممتن لله الذي جمعنا معاً رغم الصعاب، ورزقنا الذرية الطيبة، والحياة أمامنا محمية من الرب، مشعةً بالنور والفرح والحب.

قَبَلْتَهُ وقلت له وبصيرتي تقودني:

- القادم يحمل لنا الكثير والكثير، وما هذه إلا البدايات، فانظر ما قد خضناه من قبل ولا تزال الحياة بمغامراتها وعجائبها تنتظرنا أكثر.

ضمني بقوة إلى صدره ثم نظر في عيني بعينيه اللتين لمعتا كعيني النمر الأسود (الجاكوار) وهو يقول بثقة وشغف وعشق:

- نعم وبحب كبير، فقصبتنا ملحمة عشق، قصة عشق لن تنتهي.

(جَمَنُونِ) قصة عشق لن تنتهي.

هل حدثت هذي الأحداث
حقًا في تلك الأيام؟!
والشخصيات المكتوبة
هل عاشت أم كانت أوهام؟!
الراوي قد يُلبس عصرًا.. أثنابًا من عصر آخر
قد يدعو زيدًا عمرًا.. ويعير الخير قناع الشر

مستمعي فكّر

وتصوّر

وتمتّع حينًا

وتنوّر

وإذا كنت ذكي الفطرة

فابحث في الحال عن العبرة

كان يا ما كان كان يا ما كان

فتذكّر... وتذكّر...⁴

⁴ - أغنية شارة النهاية لمسلسل كان يا ما كان.

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

ميساء طه.

جميع الحقوق محفوظة ©



مكتبة ضاد الإلكترونية
t.me/twinkling4



أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
<https://t.me/twinkling4>

جَمْنُون ٢

JHAMNUN II

من بين الأحراش تقدم نحوي، نمرُ أسودُ جبلي،
سواده بهيم، هيبتَه تهز الجبل من تحت قدميه،
كبير الحجم، جميل المحيا رغم أنه خطير
ومفترس، كان يمشي الهويبي وهو يتقدم نحوي،
حينها التقت عيناى بعينيه الحضراوين: ففز قلبي
فرحة وأنا أرى الدفاء والحنان والحب في عينيه،
ركض نمر ال (جاكوار) نحوي، فتحت ذراعي
بلهفة لأضمه نحو صدري، كم فرحت عندما
استقر رأسه بين يدي لأضعه على صدري، فأخذ
يفرك رأسه على صدري بكل محبة ودفاء وشوق،
وعندما رفعه لتلتقي عيناى بعينيه انتفض قلبي
وأنا أرى تينك العينين.. كنت أعرف يقيناً أنه
حبيبي (جَمْنُون) قال لي متخاطراً:

اركبي على ظهري وتمسكي بي جيداً.
ركبت على ظهره وأمسكت بقوة بفروه الأسود
الكثيف والناعم.
ركض بي بسرعة الريح لأصل خافة الجبل
الشاهقة: فرأيت ما لا يحق للبشر رؤيته،
وقد هالني ما رأيت!
كنت أرى الفُرجة أو الفجوة بين العالمين أو
البعدين..
عالم الإنس و الجن.



د. نادية الشهري

٨

@Authornadiah



9 786038 499375

adabambic7
@adabambic7
servicesbook1
www.adab-book.com

